في بلاد همبكستان!

مقالات ساخرة

دكتور
مصطفى رجب

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٨١٤
ر . م

رجب، مصطفى.

في بلاد همبكستان : مقالات ساخرة / مصطفى رجب .- ط1.-

كفر الشيخ : العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2008.

١٩٢ ص ؛ 24سم .

تدمك : 5 – 238 – 308 – 977

1. المقالات العربية .

رقم الإيداع : ٢٠٣٧٤ / ٢٠٠٨.

الناشر : العلم والايمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : 0020472550341 - فاكس: 0020472560281

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

2009

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

التغمية بالتنمية!!

بدأ الاهتمام الحقيقي بتنمية الصعيد في حقبة التسعينيات ، مع تزايد موجات الإرهاب واستهداف بعض المواقع والشخصيات الأمنية في محافظات : قنا وأسيوط والمنيا واستهداف بعض البنوك ومحال الذهب في محافظة سوهاج ، ولم يكن من العسير تفسير هذا القدر الكبير من العطف والولع والهيام والغرام الذي وقُرّ في قلب حكومات مصر المتعاقبة بالصعيد ، فالحكومات خافت على مصالحها ورجالها ، فقررت " التنمية " وظهرت التنمية في إنشاء آلاف "المطبات" الصناعية الشديدة العنف على طريق القاهرة / أسوان السريع ، وأتذكر أنني في عام ١٩٩٩ كنت متوجهاً من سوهاج لأسيوط لمناقشة رسالة علمية بجامعة أسيوط ، وكان بصحبتي نفر من زملائي وتلاميذي ، وكان أحدهم من هواة الأرقام فأحصى المطبات على هذا الطريق السريع في هذه المسافة التي تبلغ مئة كيلو متر ، فوجدها أربعين مطباً بالتمام والكمال ، أيسرها يكفي ل (شقلبة) الدبابات والمصفحات ، لولا أن سائقي المنطقة اعتادوا على الالتفاف حولها اقتداء بحكومتهم في الالتفاف على التشريعات التي تصدر أحيانا – على سهو من الحكومة – فتبدو فيها شبهة احتمال رائحة راحة للمواطن !! فتسرع الحكومة بالالتفاف حولها حفاظاً على سكان مصر من الركون إلى الراحة والتلذذ بها مما يعطلهم عن (الإنتاج) !!

وإيماناً من الحكومة بـ (التنمية) أقامت عشرات الأكمنة ونقاط التفتيش على الطريق البائس المذكور، لأن الأربعين مطباً يستحيل أن تغطي مئة الكيلومتر، فكان وجود الأكمنة ونقاط التفتيش – في غير مواقع المطبات – ضروريا لتكتمل مسيرة الأمن والأمان وتنتعش منظومة التنمية ، و(يلعلع) الاستقرار في ربوع الديار. وبالطبع لا يمكن أن يعمل في تلك الأكمنة ونقاط التفتيش لواءات أو عمداء أو عقداء أو مقدمون، فهذه رتب عليا لا

يصح تعريضها لمتاعب الطرق ، وإنما هم الملازمون والملازمون الأولون والنقباء ، والرواد أحيانا ويجلس الواحد منهم داخل الكمين، ويضع المخبرون والعساكر السدود والقيود على الطريق ، ويوقفون العربات حتى ليكاد طابور الانتظار يصل إلى خمسمائة متر ريثما تفحص أوراق كل عابر، ولا عبرة بمن يريد أن يلح موعداً ، أو يوقف نزيفاً ، أو يؤدي امتحاناً ، أو يشهد جلسة في محكمة ، إذ (لا صوت يعلو فوق صوت التنمية !!) .

ولو أن أمر التنمية وكل إلى الأمن حقيقة لرأينا سجوناً تبنى في المحافظات المحرومة من نعمة السجون ، ولكن لم أشهد بناء سجن واحد خلال ربع قرن ، في تلك المحافظات ، بل يتوجب على من لهم أبناء مسجونون أن يتكبدوا مشاق السفر من أقصى الصعيد إلى أدنى الأرض في سجون القاهرة والقناطر والشمال بوجه عام .. وقد يسافرون ويتكبدون المشقة والجهد والمال ثم يحال بينهم وبين رؤية ذويهم .

والحديث عن السفر إلى القاهرة ذو شجون ، فعدد القطارات لم يزد ، وأحوالها فقط هي التي تزداد تردياً وانتكاساً ، وخلال كل شهر يضطرني عملي في المجالس المتخصصة والمجلس الأعلى للثقافة أن أسافر للقاهرة ثلاث مرات على الأقل ، وفراً من عذاب المطبات على الطريق الزراعي ، أستخدم القطار، وأشهد الله تعالى أنني ركبت ثلاث مرات متتاليات في شهرين قطارات من أفخم ما على الخط فما وجدت مرة واحدة دورة مياه بها مياه ، ولكنني قرأت تصريحا للوزير المختص يؤكد أن الخدمة تحسنت وأشهد الله أنها ساءت ومعي الملايين يشهدون ، وكارثة احتراق القطارات تتكرر كل شهرين وتتدخل العناية الإلهية في اللحظات الأخيرة لأن قومنا فقراء ضعفاء وكفاهم ما هم فيه من بؤس وشقاء ، والجثث التي يقدمونها يومياً على الطريق الذي وصفت وفي القطارات تعادل ثلث ضحايا الطرق في العالم طبقاً لإحصاءات دولية نشرت هذا العام

وعدد الشهداء يومياً (ولا أقول القتلى كما وصفهم عاطف عبيد يوم حادث القطار) يفوق من تقتلهم إسرائيل في غزة والضفة والحدود .

وحتى لا أكون متجنياً أو متشائماً أو عميلاً للأمريكان والروس والأفغان معاً ، فمن الحق أن أشيد بأن مسيرة التنمية ازدهرت جداً في محافظة البحر الأحمر ، فقد اكتشف (الجماعة) أن الغردقة جوها يخلب اللب ، ويهدئ النفس ، فتكأكأوا عليها وأقاموا بها قرى سياحية ونادياً للعراة ، وفنادق متعددة الأنجم ، ومطاعم فخمة تقدم كل ما طاب ولذ لكل من سما وبذ ، وقامت قيامة – لا مؤاخذة – التنمية في تلك الغردقة ، وبيعت أراضيها لبعض الكبار الذين يضيرهم ظهور أسمائهم ، وتستروا وراء أسماء تجار معروفين لا يضيرهم ظهور أسمائهم فتسورس من تسورس ، وتبهجت من تبهجت ، وتفرد وتخمس من شاء أن يتفرد ويتخمس وتعينن من تعينن ، وتحول أهل الصعيد الأصليون إلى سمار ليال ، وخدم موائد ، وفتيات ليل ، فازدهرت (التنمية) شر ازدهار حتى ترك الغربيون بلادهم فراراً من جمود التنمية بها وهرعوا سراعاً إلى بلادنا ليشهدوا "منافع " لهم .

أما أن تكون التنمية مضاعفة عدد القطارات لتضاعف عدد مستعمليها أو تحسين أحوالها ولو بتخليصها من الفئران ، ووضع مياه بدورات مياهها ، وأما أن تكون التنمية بإنشاء طرق برية بديلة ، وتخفيف القهر والعذاب اليومي للناس في نقاط التفتيش وعدم إيقاف إلا المشتبه بهم ، وإزالة "المطبات" القاصمة للظهور ، وأما أن تكون التنمية إنشاء مستشفيات كبرى كتلك التي تتفرد بها القاهرة وأخواتها ، وإنشاء مصانع كبرى تمتص العمالة المكدسة في المقاهي ، وأما أن تكون التنمية تصحيحاً لمفهوم قديم يعتنقه(الجماعة) وهو أن الصعيد مجموعة من عائلات النفوذ يتحتم أن تكون هي الممثلة لا غير – للناس ، وأما أن تكون التنمية إدخال الصرف الصحي في المدن والقرى فهذا كله

أضغاث أحلام ، وسفسطة أكاديميين ، أحرى بهم أن تلهوا بها في أبحاثهم وكتبهم فالتنمية الحق في عرف حكوماتنا هي (التغمية) : أي تغمية الصعيد وإلهاؤه في مشروعات وهمية ريثما يتم استثمار آخر شبر من الغردقة لأن بعض جيران الجماعة وأصحابهم كانوا مشغولين ولما يلحقوا بإخوانهم الذين سبقوهم بالاستثمار في تلك البقعة (الطاهرة) من أرض الكنانة .

أقول قولي هذا وأنا مازلت أحس إحساسا عميقا – ولا أعرف لماذا - أن هناك وجه شبه شديداً وواضحاً ، بين علي المصيلحي ومعاوية ولد سيدي أحمد صايع !!

فقر الفكر وفكر الفقر !!

من الظواهر التي تستوقفني كثيراً في حياتنا العربية المعاصرة ظاهرة متكررة ملموسة محسوسة في جميع مناشط حياتنا بدرجات مختلفة ، وهي ظاهرة يمكن أن نقترح لها أحد اسمين :إما أن نسميها

(تكييس الخيبة !!)

ويمكن أن نسميها بما جعلناه عنواناً لهذا المقال ، أعني (فقر الفكر وفكر الفقر) والمقصود – في الحالين – وصف ما تتفتق عنه أفكارنا وتصرفاتنا مما نظنه (إبداعاً) وما هو بإبداع ولا (بتاع !!) ، والتمس ما شئت من أدلة على صحة ما أزعم ، فستجد تلك الأدلة ملقاة على قوارع الطرق ، فالتفكير في حل مشكلة الدروس الخصوصية – عند من يرونها مشكلة – يبدأ وينتهي عند أسلوبين اثنين : إما تشديد العقوبات على المعلمين ، أو تغيير نظم الامتحانات !! فهل يمكنك أن تسمي هذا إلا فقراً في الفكر ؟ وكيف لا يكون فقراً وهناك عشرات الحلول لتلك المشكلة – إن كانت فعلاً مشكلة – أيسرها وأقربها إلى العقل وأدناها إلى الصواب هو تحسين أحوال المعلمين المادية (كما هو الحال مع القضاة والضباط) حتى لا يبحثوا عن موارد أخرى ليحيوا الحياة "المستورة " ولا أقول اللائقة أو الكريمة ، ومن تلك الحلول أيضاً ، تغيير أنماط الإدارة المدرسية بحيث تصبح لمدير المدرسة سلطة واسعة نهائية في الثواب والعقاب فتعود للمدرسة هيبتها التي أضاعها أذناب الصهاينة ورعاة التطبيع يوم قدموا مسرحيتهم العفنة (مدرسة المشاغبين) ليدمروا أعز ما في المجتمع من قيم ترعاها أسمى ما في المجتمع من مؤسسات .

وهناك حلول أخرى كثيرة لكنها لم ولن تخطر على بال أولئك النفر المشبوهين من أساتذة التربية الذين دأبت الوزارة على شرائهم بالمنح والعطايا والسفريات فاستمرأوا

القيام بدور المحلل الديوث الذي يحلّ ما حرم الله بثمن بخس ، ولسوف يشهد تاريخ التعليم المصري بعد انجلاء الغمة تسجيل صفحات سود تحوي وجوهاً كالحة أباحت – باسم التربويين وهم لم يفوضوها ولم يعترفوا بها يوماً – إلغاء السنة السادسة الابتدائية ، ثم عادت الوجوه نفسها بابتساماتها الباهتة ، ووجوهها الصُّفر لتسوّغ لصاحب القرار إعادة تلك السنة بعد أن نال الرأسماليون مبتغاهم وأنشأوا جامعاتهم ومعاهدهم الخاصة ، التي لم يجدوا مسوّغا للتعجيل بالموافقة عليها إلا بأن تكون هناك سنة بها دفعة مزدوجة من حملة التوجيهية .

فكيف لأصحاب تلك العِظام النّخِرة أن يبدعوا حلولاً ؟ أو أن يقترحوا جديداً ؟ هاهم أولاء يعيدون خبز ما عجنوه في الستينيات تحت مسمى (الكفاية الإنتاجية) ليقدموه تحت اسم (متطلبات الجودة) ويتحدثون عن (الرؤية) و (الرسالة) وهم يعلمون ألا رؤية في بلادنا إلا لمن يطعمهم من جوع !! أفليس هذا فقراً في الفكر نجم عن فكر فقر؟انظر إلى قناتين تتنافسان هما دريم الثانية والمحور ، لتجدهما في صراع عجيب ، تقدم الأولى برنامجا مرتبطا في اسمه بالتوقيت هو "العاشرة مساء " وينجح البرنامج فتستنسخه أختها منها حذوك النعل بالنعل كما يقول المثل العربي القديم فتنتج برنامجا مرتبطا في اسمه بالتوقيت هو " ٩٠ دقيقة " ولا مقارنة - للأمانة – بين منى الشاذلي بوطنيتها وذكائها وخفة ظلها وحرصها على العربية الفصحى ، والأخ معتز الدمرداش المولع بكلمة (cool) والمفتون بها بحيث يرددها ستين مرة في كل حلقة بخفة ظل تضحك الثكالى !! ، وحين تقدم " دريم الثانية " برنامجاً مرتبطاً في اسمه بالصحافة اسمه (الطبعة الأولى ويقدمه صحفي لبق مثقف رائع هو أحمد المسلماني ، تسارع " المحور" فتقدم برنامجاً مرتبطاً في اسمه بالصحافة اسمه (الصفحة الأخيرة) يقدمه مواطن لم أفلح في

حفظ اسمه على مدى ربع القرن الأخير... وشتان !! الشاهد فيما سبق هو الاستنساخ الذي يدل على فقر في الفكر ومجانبة للإبداع ، وتجاف عمدي عن بذل أي جهد وقل مثل ذلك فيما تتفتق عنه أفكار وزرائنا المحروسين ، فحين تفاقمت مشكلة طوابير الخبز، أفلتت من فم أحدهم عبارة (فصل الإنتاج عن التوزيع !!) ودخلت هذه العبارة البليغة الخالدة التاريخ من (أوسخ) أبوابه لتستقر مع أخواتها الهوالك: " النفط مقابل الغذاء " – الأرض مقابل السلام – التي تطورت إلى " انسحاب كامل مقابل تطبيع شامل ".

واستمسك الكبار بتلك العبارة وغفلوا عما وراءها من خبث نية ، فـ" فصل الإنتاج عن التوزيع " فيه إيحاء بأن الخبازين لصوص ، وهو ما جاء حرفياً على لسان قاض جليل هو المستشار عدلي حسين محافظ القليوبية الذي نسبت إليه جريدة "المصري اليوم" بعددها رقم ١٤٢٧الصادر يوم السبت الموافق العشر من مايو ٢٠٠٨ قوله :" لما ممكن يكسبوا ٢٠ جنيه بالحلال في الجوال الواحد، ويختاروا يكسبوا ٢٠٠ جنيه في الجوال الواحد ببيعه في السوق السوداء، يبقي أكيد همّ مستعدين يروحوا جهنم بجوار شجرة الزقوم "..!! وأضافت الجريدة : " هكذا عبر المستشار عدلي حسين، محافظ القليوبية عن ضيقه الشديد من ممارسات بعض أصحاب المخابز، الذين وصفهم بـ « الحرامية » و« أصحاب الحيل الشيطانية ». ولم يكتف عدلي حسين عن التعبير عن غضبه، بل هدد في اجتماع مجلس محلي المحافظة، أصحاب المخابز المتلاعبين بإلغاء تراخيصهم كعقوبة أخيرة، لمواجهة ممارساتهم وحيلهم الشيطانية لسرقة الدقيق أو الخبز أو تغيير مواصفاته وتشغيل ٥٧ مخبزاً جديداً بدلاً منها.

وأضاف: «لن أترك المواطنين يذلون أنفسهم لأصحاب المخابز (الحرامية) والمحافظة تملك أكثر من ٥ مخابز اشترتها من حصيلة الغرامات التي بلغت ٢ مليون جنيه وتستطيع سد العجز في الخبز».

واتهم المحافظ أصحاب المخابز بالعمل علي إفشال خطة الدولة بفصل الإنتاج عن التوزيع، ووقف تهريب الدقيق، كما دافع عن قراره تخفيض وزن الرغيف ٢٠ جراماً، لتوفير ٥.٢ مليون رغيف، موضحاً أن الرئيس مبارك فوض المحافظين في تحديد وزن ومواصفات الرغيف وقال إن عقد المخابز مع وزارة التضامن يسمح لهم بخصم ١٠ جرامات من وزن الرغيف وجرامين آخرين هدية من الوزارة، وباقي الـ ٢٠ جراماً هي من عجينة الرغيف بسبب عدم خبزه بالمواصفات المطلوبة.

وتراجع حسين عن قرار تعبئة الخبز في أكياس، لمواجهة مشكلة ارتفاع سعر السولار مشيراً إلي أن (التكييس) يكلف صاحب المخبز ٧ جنيهات، وتكلفة زيادة سعر السولار حوالي ٨٥.٣ جنيه، كما تراجع عن قرار خصم رغيفين، ليحصل المواطن علي الخبز كاملاً.

انتهى ما نشرته الجريدة وفي كلام معالي المحافظ عدة بوائق :

الأولى: وصف فريق من المصريين الذين يستثمرون أموالهم فيما ينفع الناس بإنشاء المخابز بأنهم لصوص !! أهكذا يصف الحكام المحكومين؟ أيعكس هذا الوصف ما استقر في وجدان الحكومة عن شعبها الصبور.؟

والثانية: قوله بالحرف " أن الرئيس مبارك فوض المحافظين في تحديد وزن ومواصفات الرغيف " والتفويض – كما يعلم أي دارس للقانون - فرع من أصل ، وتنازل عن اختصاص أصيل أنيط بصاحب سلطة ثم رأى بذله لمن هو أدنى منه درجة في سلم

الوظائف فهل يكون [تحديد وزن ومواصفات الرغيف] اختصاصاً أصيلاً لرئيس الدولة حتى يفوض فيه رجاله ؟ ما هكذا يكون العبث بمقام رئيس الدولة أيتها الحكومة ، لو قال هذه العبارة رجل لا صلة له بالقانون لقبلناها وقلنا إنه يعني غير ما قال ، أما أن يقولها من يعرف حقيقة التفويض فتلك بائقة بلا شك .

والثالثة: التفكير في حل المشكلة بخلق مشكلة أخرى هي (تكييس الخبز) وهو من فرائد وغرائب إبداعات القليوبية ، وهو ليس من باب فقر الفكر ولا فكر الفقر ، ولكنه من باب لما تعرفه البشرية حتى الآن من أبواب العبقرية .

وقديماً كان أحد الأدباء قد ابتلي بكاتب يملي عليه فيكتب له بالأجر ، وكان ذلك الكاتب في عبقرية الأخ معتز فقال ذلك الشاعر فيه :

يعي غير ما قلنا ، ويكتب غير ما

يعيه ، ويقرأ غير ما هو كاتبُ

وأخيرا لا يسعنا إلا أن نردد :....." فلتحي مصر حرة .. خمسين ألف مرة " كما قال أخونا الزعبلاوي الدمياطي !!!

دروس من كتاب (التهجي) !!

الدرس الأول :

شـريف تلميـذ نشـيط – شـريف يصـحو مبكـراً ويشـرب اللـبن ويـذهب إلى المدرسة – شريف يمشي على يمين الطريق ويعبر الشوارع من الأماكن المخصصة لعبور المشاة – مدرسة شريف (برغم أنها في قلب الواحات) ، مدرسة جميلة ونظيفة ومتطورة ومنتجة وصديقة للبيئة !! – ولهذا ظهرت عليها علامات الجودة والاعتماد !! – شريف مبسوط لأن مدرسته نالت جائزة التميز المدرسي

الدرس الثاني :

"زغلول أفندي " أمين مختبر بكلية حقوق العلوم الصيدلانية البيطرية التربوية بجامعة " الصبر طيب " بجمهورية همبكستان والتي حصلت منذ عامين على المركز الأول من بين أسوأ ٥٠٠ جامعة على مستوى العالم – عميد الكلية رجل مهذب وعلى خلق رفيع ويتميز بالجودة والاعتماد، ومشهود له بالكفاءة في العمل بالمشروعات المشتركة ، وهو بالإضافة إلى ما سبق: جميل ونظيف ومتطور ومنتج وصديق للبيئة !! – السيد العميد عيَّن زغلول أفندي مساعداً أول للسكرتير الثالث لسعادة مدير عام مكتب الأستاذ الدكتور/ النائب الثاني لمدير وحدة الجودة بالكلية – زغلول أفندي تفانى في أداء عمله فكان يقضي بالمكتب ست ساعات كل ليلة ليرضى عنه رؤساءه – وكلما طالبته زوجته بـ" الجودة " في أداء حقوقها الزوجية تعلل بأن إجهاد العمل أمر طارئ – وبأن ما ينتظره من مكافآت (في نهاية المشروع) سيخصص معظمه لعلاج الآثار (الجانبية) للإرهاق " والصبر طيب ومحمود العاقبة ".

الدرس الثالث :

تم توزيع مكافآت المشروع [المخصص له نصف مليون جنيه] على النحو التالي :

- معالي الوزير (راعي المشروع) ٢٥٠ألف جنيه.
- مدير عام مكتب معالي الوزير (مسؤول المتابعة للمشروع) ٥٠ألف جنيه.
- معالي رئيس الجامعة (المشرف العام على المشروع) ١٢٠ألف جنيه.
- نائب رئيس الجامعة (نائب المشرف العام على المشروع) ٨٠ ألف جنيه.
- عميد الكلية (مدير المشروع) ٥٠ألف جنيه.
- وكيل الكلية (المدير التنفيذي للمشروع) ٣٠ ألف جنيه.
- السادة الدكاترة (أعضاء المشروع) ١٨دكتوراً ×٢٤١جنيه لكل منهم.
- السيد أمين الكلية (المسؤول الإداري للمشروع) ١٥٥٦٩جنيه.
- السيد مدير مكتب رئيس الجامعة (المسؤول المالي للمشروع) ١٨٩٩٢جنيه.
- زغلول أفندي (الذي سهر ٢٥٠ ليلة × ٦ ساعات ، وكتب على الحاسوب ٨٦٥٤ صفحة A٤ وسافر تسع عشرة سفرية من ماله الخاص واستهلك ٤٥٨كارت محمول فئة ٥٠جنيها) خصصت له مكافأة مجزية تقديرا لجهوده غير العادية بلغت ٨٩ جنيها .

الدرس الرابع :

زغلول أفندي يرقد في المستشفى الجامعي مصاباً بجلطة – المستشفى جميلة ونظيفة ومتطورة ومنتجة وصديقة للبيئة !! – رئيس الجامعة بتواضعه المعروف تولى الكشف الطبي بنفسه على زغلول أفندي [مع أن تخصص معاليه "محاسبة " ، لكنه .. تواضع العلماء الأجلاء !!] – التقرير الطبي لزغلول أفندي يشير إلى أنه يعاني من صعوبات

في النطق مصحوبة بإسهال عنيف ، وحالة من التهتهة ، ويردد عدة كلمات بشكل هستيري (الجودة – التميز – الاعتماد)- زوجة زغلول أفندي خلعته بدعم كبير من المجلس القومي للمرأة بجمهورية همبكستان – وقبل انتهاء عدتها تزوجها نائب رئيس الجامعة زواجاً عرفياً طمعاً في الحصول على المكافأة التي نالها زوجها السابق زغلول أفندي من المشروع !!

الدرس الخامس :

شريف بن زغلول أفندي سعيد لأن مدرسته دخلت مرحلة الاعتماد (على القروض) – زغلول أفندي بحاجة إلى علاج على نفقة الدولة – الدولة مشغولة " حبتين " عن زغلول أفندي بأحداث طارئة –

الدرس السادس :

شريف أنهى دراسته في المدرسة الابتدائية ثم الإعدادية ثم الثانوية ثم تخرج في كلية السياسة الطبية والاقتصاد الهندسي لعلوم البيئة بجامعة ١٨ يونيو الخاصة بمدينة ٢٤أبريل التي تحولت إلى ولاية خاصة في التنظيم الجديد لهمبكستان – شريف بحث عن عمل حكومي فلم يجد – فلم يضع وقته والتحق بفرقة موسيقية تصاحب راقصة رشيقة – الراقصة تتميز بجسد حساس جذاب أشد مرونة من قرارات يوسف بطرس غالي – شريف عمل طبَّالا فأظهر مهارة فائقة أهَّلته للترقي إلى رجل أعمال كبير.

الدرس السابع والستون بعد المائة التاسعة عشرة :

شريف بك تبنى مشروعاً قومياً لإدخال التكنولوجيا لكل مدارس الدولة بشرط أن تكون المدرسة قد قامت بواجباتها خير قيام حتى ظهرت عليها علامات الجودة والاعتماد !! فأصبحت مدرسة جميلة ونظيفة ومتطورة ومنتجة وصديقة للبيئة !!

====================

راجع :

كتـاب التهجـي (تعلـيم القـراءة والكتـابـة) تـأليف محسـن حسـان حسـونة حسـن حسين البهلواوي وآخرين ، الطبعة الثـامنة والتسعون – القـاهرة الجديدة – دار " تفتيح المخ " للطباعة والنشل والتوليف – ٢٢٢٥ ميلادية

==========================

حمامة لكل مواطن ..!!

من فضائل شعبنا المصري المعروفة ، أنه شعب عاطفي ، ما أن تحدث كارثة أو تحل مصيبة حتى تتكاتف جماهيره ، وتتألف قلوبها ، وتتناسى آلامها ، وترتفع فوق أزماتها وتتغلب عليها بالصبر والتسلية والتسرية ، وهذا ما يجعل الناس قادرة على الحياة برغم المحاولات المستميتة "الذكية" التي تستهدف هذه الروح المعنوية ، وبرغم انهيار المئات ولجوئهم إلى الانتحار عجزاً عن الاستمرار ، ولو أن أولئك المنتحرين تحلوا بالصبر والمصابرة وجددوا تفكيرهم ، واستدروا ذكاءهم لألهمتهم فطرتهم آلافاً من الحلول لمشكلات الغلاء التي أخرجتهم من صوابهم ودفعتهم إلى الانسحاب قبل اكتمال المباراة .

فمثلا : غلاء أسعار الحديد ، يئن منه ملايين لا صلة لهم بالبناء والتعمير ويستكثرون على مواطن شريف مكافح أن يحتكر الحديد ويوالي رفع أسعاره – كأنها لعبة أسبوعاً بعد أسبوع ، وقل مثل هذا عن اللحم والدجاج والسمك والأسمنت .

فما الذي يضر المواطن من رفع أسعار تلكم السلع ؟ في الحقيقة أنا مندهش ومستغرب ومستنكر جداً لهذه المناحة التي ترفعها فوق رؤوسنا يومياً منى الشاذلي ومحمود سعد وأمثالهما من مقدمي برامج (التنكيد) على هذا الشعب السعيد ..!!!

ما لأهلنا نحن وما للأسعار ؟!! فليرفعوا ما شاءوا ، ومن لا يعجبه سعر سلعة فليقاطعها أو فليستبدل بها غيرها !!

فمثلا : من لا يعجبه الخبز فليأكل بسكويتاً ، ومن لا يعجبه سعر الدجاج فليأكل لحم غزال ، ففي بلادنا – لمن لا يعلم – مئات المزارع المتخصصة في تربية الغزلان لأن لحومها (فيما يقال) أشهى وألذ ، فمن لم يجد ، فعليه بلحوم الحمام ، فمن لم يجد فليخرج للصيد والقنص ؟ هل منعه أحد من الصيد في الغابات ؟ هل احتكر أحد الغابات؟

ثم هؤلاء الذين ينوحون من ارتفاع أسعار اللحوم ، ماذا يريدون غير تعطيل (المسيرة) وتهديد (الإنجازات) وتشويه معدل النمو الذي وصل إلى ٧٪ ومازالوا لا يحسون به !! عليهم – لو كانوا مصريين وطنيين ديموقراطيين حقاً – التوقف عن التشكيك وعلى من لا يعجبه سعر اللحوم أن يتوقف عن أكلها ، دون لت وعجن وصراخ وعويل .. !!

قاطعها في صمت ، والجأ – أخي المواطن – إلى الأسماك ، فإن لم تجد فعليك بالجمبري فإن لم تجد فعليك بالصوم فإنه صحة لك وعلاج أكيد لمشكلات السمنة والكبد والكلى . فإن لم تطق عن اللحوم ابتعادا ، فعليك بالمطاعم التي تقدم لحوم الحمير، فمن ذا الذي أكل لحم حمار ثم تضرر منه ؟ من عشرات السنين وتلك المطاعم سادرة في غيّها ، تقدم لحوم الحمير صنوفاً مختلفة ألوانها ، والناس يأكلون ويتجشأون ويحمدون ويشكرون ويخرجون ويدخلون وهم كالعفاريت صحة وقوة وذكاء وانطلاقاً وتفاؤلاً . فمالهم إذا حدث خلاف بين شريكين ولفقت لتلك المطاعم والفنادق قضية غش تجاري ، وذاع وشاع أنها تطعم الناس حميراً هاج الإعلام وماج وطبل وزمّر وأوسع تلك المؤسسات الوطنية تشهيراً وتوبيخاً ، وكأن هذا يحدث لأول مرة .

ثم هؤلاء الذين ينوحون من ارتفاع أسعار الحديد ، هل كان بقية أهلهم مقاولين ؟ تعاقدوا عقوداً عجزوا عن تنفيذها ؟ أبداً ، أبداً ، إنما هي (شرذمة) من الكتّاب والصحفيين والإعلاميين أدمنت العويل ، وتتحسن صحتها بالنواح والصراخ ولطم الخدود وشق الجيوب هل يريدون من الحكومة أن تحتسب الحديد سلعة استراتيجية فتقدمه بالرقم القومي : سيخاً لكل مواطن ، وما عسى أن يفعل هذا المواطن بالسيخ؟ !! كيف سيتخذ منه (إن كان بلطجياً) مطواة قرن غزال ؟ وكيف سيبني به شقة إن كان مقدماً على الزواج ؟ فالسيخ لن يبني شقة ولا يصنع باباً ، لكن المصريين سيؤلفون جمعيات أهلية

فيما بينهم ، فالأسرة المكونة من خمسة أفراد سيكون لها خمسة أسياخ مدعومة شهرياً فتتجمع عشر أسر من ذوات الأسياخ الخمسة فيتألف من ذلك نصف طن ، ونصف مع نصف يتكون سقف فسلم فعامود فتأتلف شقة فيتزوج عريس بمعدل عريس كل ثلاثة أشهر ، وكما قال الشاعر الحلمنتيشي رحمه الله :

وقرشُ على قرشٍ يصيران حتةً
بخمساءَ، في يومين تمسي عشرشرا

هل يريد أولئك الشكّاؤون البكّاؤون من حكومتنا أن تعلن هذا الشعار: [سيخ لكل مواطن- سمكة لكل مواطن – ورك أو صدر لكل مواطن – حتة كبدة لكل مواطن – حمامة لكل مواطن – كوب عصير لكل مواطن – علبة دخان لكل مواطن]

إن الذاهبين هذا المذهب من التفكير يغالون في الأحلام ، ويسيئون الظن بطاقة الحكومة الذكية ، التي منعت – بقرار مصيلحي عظيم صدر العام الماضي – نفسها من شراء القمح من الفلاحين فباعوه للمستثمرين ، ثم ذهبت هي – بذكائها الخارق – لتشتريه ممن اشتروه من الفلاحين فوجدتهم قد احتكروه ورفعوا سعره وطحنوه وباعوه للمخابز التي تصنع الخبز الفخم والحلويات ، فاشترته منهم بالسعر الذي فرضوه ، وتكبدت ملايين الجنيهات زيادة ذهبت لجيوب المحتكرين ، فلما قامت القيامة ولم تجد المطاحن ما يكفي لم تثب الحكومة لرشدها وتلغي قرارها الذي يضاعف دخول المحتكرين . ولم تقبل تلويث يدها النظيفة بالشراء من (الرعاع) الفلاحين مباشرة ، بل افتعلت معركة وهمية مع بضعة أجولة تسرق هنا وهناك في بعض المخابز واخترعت مقولة (فصل البتاع عن البتاع) لتوهم الناس أن الأزمة لا علاقة لها بعدم شراء القمح من الفلاح وتقديمه بسعر مدعوم للمطاحن وإنما الأزمة كلها تكمن في تلك الأجولة المسروقة !! (شفت النباهة ؟)

ثم ما هذا الذي يريده هؤلاء المتشائمون؟ أتوزع الناس الأسياخ للناس حتى يرضوا عنها؟ أتتدخل الحكومة بين المنتج والمستهلك ؟ حاشا للاقتصاد الحر!! وكبر مقتاً عند أذناب الرأسماليين الجدد أن تحول الحكومة بين منتج ومستهلك ، فالعلاقة بينهما قائمة على التفاهم والتراضي !! فإن أمن بعضهم بعضاً ، أو سرق بعضهم بعضاً فما شأن الحكومة بذلك؟ أليست هذه هي آليات – لا مؤاخذة – السوء؟ [بعضهم يخطئ فيكتبها " آليات السوق "] بصراحة ، هذا إسراف من الناس في أحلام اليقظة ، وسوء فهم لدور الحكومة وتحميل للبرلمانات فوق ما تحتمل ، فعلى هذا الشعب – كما قال السادة رؤساء تحرير الأخبار والأهرام والجمهورية – أن يتحمل " مسؤولياته التاريخية " ممثلة في:

١- الحمد والشكر، والصبر- كما قال أحد الشيوخ إجابة عن سؤال حول الغلاء.

٢- الرضا بالقليل لأن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

٣- الخروج للصيد والقنص والتمتع بالطبيعة الساحرة.

٤- التمتع بفن عادل إمام (الهادف) – بالدال – !!

٥- التمتع بالنظر إلى أزياء عجائز مذيعات القناتين الأولى والثانية – والعياذ بالله

٦- التمتع بتأمل كليبات المطربين الجدد الذين يغنّون بكل أجسادهم ماعدا أصواتهم.

٧- العودة إلى الطبيعة (اتخاذ خيام بدلا من زحام بناء الشقق).

ما سبق كان تقريراً تفتق عنه ذهن أحد رواد مقهى (السعادة) واستحلفني برحمة أموات أهلي أن أطرحه على القراء الكرام وهأنذا قد فعلت ، وأعد بأن أنقل للمقهى كل تعقيبات القراء بكل أمانة ، تمهيداً لعقد جلسة مشتركة تجمع المعقبين ورواد المقهى للوصول إلى حلول مرضية لمشكلة هروب الحضري ..!! لأن هذه المشكلة هي الأولى بالاهتمام وإن جهل الجاهلون ..!!

هيئة [النشل] العام

تعودت أن أقضي ليلة الأربعاء من كل أسبوع على مقهى (السعادة) مع بعض أصدقائي الشعراء غير الحداثيين . ولمقهى (السعادة). المجاور لمحل كوارع وعجلاتي أمام محطة السكة الحديد نكهة خاصة. فزبائنه ثابتون . وقلما وفد إليه غرباء إلا من أولئك الذين تلقي بهم القطارات إلى محطتنا على سبيل السهو والخطأ والنوم أو للبحث عن ذويهم الممزقين في أعقاب حوادث القطارات الأسبوعية .

وفي ذلك المساء ، أرخيت أذني إلى رجلين يتحاوران في المقاعد المجاورة ، احتدم بينهما النقاش فرأيت الموضوع جذاباً فأعرتهما أذنيّ بينما كنت أتمايل طرباً – على سبيل النفاق – لقصيدة يلقيها أحد أصدقائنا الشعراء في جلستنا وكانت [للأمانة] قصيدة في غاية الرداءة ودليلا لا يقبل الشك على سوء التربية (والتعليم بالمرة) .

قال أحد الرجلين لصاحبه وهو يحاوره : لقد أصبحت أفكر جدياً في اعتزال مهنتنا بعد أن تسلل إليه الدخلاء من أولاد الحرام وصارت مهنة من لا مهنة له .

قال الآخر وهو يشد نفساً عميقاً من شيشته يدل على حكمة حشاش قديم : يا أخي دع الملك للماااااالك ! .

قال الأول ضيق الصدر : في كل يوم يمسكون ببعض الصبية يمارسون المهنة دون تدريب وكفاءة مما يسيء إلى سمعتنا جميعاً .

قال صاحبه : وماذا يضيرنا نحن ؟ بالأمس شققت جيب أحد الأفندية وأخذت المحفظة وكان قلبي يتمزق مع قماش البدلة الجديدة . وكان منظر الأفندي مؤسفاً وهو يتأمل امرأة بدينة أمامه في نهم صارخ . . ولما عدت إلى البيت لم أجد في المحفظة إلا ريالاً ومسودة قصيدة شعر حداثي ، ولا أدري ما سر هذه (العنطزة) التي تجعل أفندياً كهذا يغرر بنا بحمل مثل هذه المحفظة الفخمة .

قال الآخر : إن مهنة النشل أصبحت في خطر. وما لم تتدخل الحكومة لتنظيمها سوف تنقرض على أيدي هؤلاء السفهاء الذي دخلوها بلا تاريخ .

قال صاحبه : وكيف تتدخل الحكومة أيها العبقري ؟

قال الرجل : عليها أن تقوم باستخراج تراخيص بمزاولة المهنة - بعد امتحان عسير- ثم تقوم بعد إعلان النتائج وتكريم المتفوقين - بتوزيع النشالين الناجحين (المحترمين) ذوي الخبرة المشهود بها على خطوط المواصلات العامة وفقاً لـ (سركي) أو (خط سير) مثل الذي مع السواقين والكمسارية ، وإذا ضبط نشال ينشل في غير الخط المعين له يكون بذلك مخالفاً للقانون وتواجهه تهمة التربح غير المشروع . ويمنع من ممارسة المهنة .

سحب زميله نفساً عميقاً من شيشته وأطرق إطراق ناقد أدبي من أصحاب الحداثة حين يطرقون دون مبرر في وسط أحاديثهم ثم قال : وما الذي يمنع بعد ذلك من أن تنشأ لنا نقابة ترعى شؤون النشل ويكون لها (ميثاق شرف) يتضمن المبادئ الأخلاقية العامة للمهنة والتي من أهمها ألا ينشل نشالاً نشالاً ، وألا ينشل أحد إلا في منطقته ، وألا ينشل نشال صبياً ولا كهلاً ولا أرملة ولا مريضاً ولا ضحية من ضحايا القطارات .

كنت قد استغرقت تماماً في الحوار حين فوجئت بجاري يلكزني منتظراً أن يسمع رأيي في القصيدة التي انتهى صاحبها من إلقائها منذ حين . فعقبت قائلاً : في الواقع أنا شعرت بأن شاعرنا خرج عن (الخط) الذي كانت تسير فيه القصيدة أصلاً إلى خط آخر كما أحسست أنه (اقتبس) صوراً من قصائد أخرى لشاعر لا اذكر اسمه وعدت أرخي أذنيّ لبقية الحوار القانوني اللذيذ الذي يذكرك بطعم الاستفتاءات من غير إشراف فضائي [بالفاء] ،،،،،

أهداف الجامعة الأمريكية – بالقاهرة
(دراسة وثائقية منذ النشأة حتى عام ١٩٨٠م)

هذا كتاب خطير. يأتي في إطار محاولة للكشف عن الدور الثقافي للجامعة الأمريكية بالقاهرة. في دعم تبعية المجتمع المصري للمجتمعات الغربية، وبصفة خاصة أمريكا، وذلك عندما نقف على الأهداف المعلنة التي تبنتها الجامعة كأساس لعملها وكذلك الممارسات المرتبطة بتلك الأهداف من جانب ومدى علاقتها بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مر بها المجتمع المصري منذ نشأت الجامعة عام ١٩٢٠م وحتى عام ١٩٨٠م من جانب آخر. وعلى هذا فقد استهدف الكتاب محاولة الوصول إلى حقيقة الأهداف المعلنة للجامعة والأهداف غير المعلنة في المدة التاريخية السابق تحديدها.

والكتاب من القطع المتوسط ، وقد جاء في ٣١٠ صفحة مشتملاً على ثمانية فصول ، بخلاف المقدمة والخاتمة ، وقد صدر عن دار " فرحة " للنشر والتوزيع بالمنيا مؤخراً ومن الجدير بالذكر أن الكتاب قد أعد أساساً كرسالة ماجستير للدكتورة " سهير حسين البيلي " وهي مدرّسة بكلية التربية جامعة طنطا.

ترى المؤلفة في بداية الفصل الأول أن أية ظاهرة تحكمها مجموعة من العوامل المتفاعلة. بحيث لا يكون هناك عامل واحد مسئولا عن ظهورها، والظاهرة موضوع الدراسة هي انتشار التعليم الأجنبي في مصر. وهي ظاهرة تحكم نشأتها وتطورها عوامل داخلية وعوامل خارجية متفاعلة. وتركز المؤلفة في هذا الفصل اهتمامها الرئيسي على عدة عوامل .

أولها العوامل الداخلية:

كالسياق الاجتماعي؛ فقد كان المجتمع المصري مهيئاً داخلياً لتقبل الهيمنة الاستعمارية، والتي كان من مؤشراتها نمو التعليم الأجنبي في البلاد. ومن جملة الأوضاع الاجتماعية في مصر الانهيار الاقتصادي فلم يكن هدف محمد على – في بداية مشروعه النهضوي - الأخذ بالأساليب العصرية وتنظيم الدولة فقط، وإنما كان يسعى إلى استقلال مصر في مواجهة الدول الأخرى وثاني هذه العوامل تقديم حكام مصر المساعدة للأجانب فلم يعارض محمد علي الوجود الأجنبي في البلاد فقد استعان بهم في بناء دولته الحديثة وبدأت البعثات الدينية التبشيرية تظهر في مصر مع سياسة محمد علي التي اتسمت بالتسامح الديني معهم لدرجة أنه أتاح لهم حرية الدعاية الدينية. ، ثم تلا ذلك عهد سعيد والذي شجع الإرساليات الأجنبية عن طريق المساعدات التي قدمها لها وكان ذلك عهد بداية التغلغل الأجنبي في البلاد ، ثم عهد إسماعيل الذي شجع الإرساليات في البلاد وذلك لإرضاء الدول الأوروبية التي كانت تمده بالقروض وثالث هذه العوامل هو تغلغل الثقافة الأوروبية التي بدأت مع حملة نابليون ثم تبني محمد على مشروع إنهاض مصر على أسس من النموذج الغربي ، والبعثات التي أرسلها محمد على للخارج ثم ظهور الصحافة ومنها صحافة الجاليات الأجنبية والصالونات الأدبية ، وأخيراً مقاومة أقباط مصر نشاط الإرساليات .

وترى المؤلفة أن العوامل الداخلية سالفة الذكر قد هيأت مصر للخضوع للهيمنة الأجنبية.

وأن العوامل الخارجية

قد عجلت بتحقيقها ومنها : الامتيازات الأجنبية ، و التنافس الاستعماري على مصر، متمثلاً في الحملات العسكرية والتحالفات السياسية ، والهيمنة الاقتصادية ، ثم

تدفق الأجانب على مصر، ثم الإرساليات التبشيرية، والاستشراق، والواقع أن مفهومي : التبشير والاستشراق يتضمنان نفس الأهداف ولكن التبشير تنحصر دعوته في حدود التأثير المباشر في عقول الناس من خلال التعليم المدرسي والعمل الاجتماعي في المستشفيات والملاجئ ، أما الاستشراق فقد اتخذ لنفسه صورة البحث وادعي لنفسه الطابع الأكاديمي. وآخر العوامل الخارجية هي رحلات "السان سيمونيين"، والرحالة الأوروبيين الذين وفدوا على مصر.

ونتيجة للعوامل الداخلية والخارجية السالفة تهيأت البلاد لبسط الهيمنة الأجنبية من خلال تغلغل التعليم فكثرت بذلك المدارس الأجنبية ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

أولاً: مدارس الطوائف غير الإسلامية . ويندرج تحتها مدارس الأقباط واليهود.

ثانياً : مدارس الجاليات الأجنبية . وتضم مدارس الأرمن ومدارس الجاليات الإيطالية واليونانية والألمانية .

ثالثاً: مدارس الإرساليات والفرق الدينية . وتضم الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية ومن المدارس الأخيرة الإرساليات الأمريكية.

ثم يأتي الفصل الثاني والذي تركز فيه المؤلفة الاهتمام على التعليم الأمريكي بصفة خاصة ، منذ بداية تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في البلدان العربية مع مطلع القرن التاسع عشر. وقد مثلت الإرسالية الأمريكية أول شكل من أشكال التغلغل الثقافي الأمريكي في البلدان العربية وفي مصر، وقد تناولت المؤلفة ذلك من خلال استعراضها لبدء تغلغل النفوذ الأمريكي ، في الوقت الذي كانت فيه مصر قبلة للإرساليات والبعثات الدينية والتبشيرية من كل الطوائف ، وكانت الولايات المتحدة مشغولة بأمورها

الداخلية . وحتى بداية القرن التاسع عشر لم يكن لها أية مصالح تجارية في مصر أو أي تمثيل قنصلي في الدولة العثمانية بأكملها وقد ظل هذا الوضع حتى عام ١٩٣٠م ، عندما عقدت الولايات المتحدة الأمريكية الاتفاق الودي التجاري أو " المعاهدة التجارية" مع السلطان العثماني . ولفتت الإرسالية الأمريكية أنظار القناصل الأمريكيين إلى أهمية رسالتها المقدسة ، فأصبح من واجبهم معاونة أعضاء الإرسالية وحمايتهم في مهامهم التبشيرية .

وقد بدأ وجود الإرسالية في مصر مع بداية عام ١٨٥١م، وكان غرض الإرسالية في البداية ، تحويل أقباط مصر إلى المذهب البروتستانتي ، وأيضاً التبشير بالمسيحية بين المسلمين وتم تسخير التعليم لخدمة الغرض التبشيري ، ففي البداية استمر التوسع في مدارس الإرسالية على مستوى مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي فقط . وأدرك المبشرون الأمريكيون أن التأثير في قادة الرأي العام في البلاد ، وفي الجيل الناشئ في الشرق ، لا يمكن أن يتحقق إذا لم يكن ثمة تعليم عال، وعلى هذا الأساس أوجد المبشرون الأمريكيون الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة ، وكان لهم وجهة نظر في إقامة الكليات في المراكز الإسلامية ، لذلك لم يكتفوا ببيروت وإنما أرادوا أن يكون لهم وجود في القاهرة بجوار الجامع الأزهر.

و في الفصل الثالث يلقي الكتاب الضوء على نشأة الجامعة الأمريكية بالقاهرة والعوامل التي واكبت هذه النشأة، على النحو التالي :

أولاً: بداية التفكير في إنشاء الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وقد تشكلت لجنة من مبشري الإرسالية الأمريكية، والتي وصلت في تقرير لها إلى أن مصر مؤهلة في هذا الوقت لإقامة هذا المشروع، وتشكلت لجنة ثانية عام ١٩١٢م قام أعضاؤها بفحص شامل للأنظمة التعليمية

وقد قررت اللجنة ضرورة إقامة جامعة مسيحية بمصر، بسبب سوء التعليم العالي بمصر متمثلاً في الأزهر أو الجامعة الأهلية الوليدة .

ثانياً: ظروف مهيأة لنشأة الجامعة الأمريكية بالقاهرة بسبب أوضاع مصر الداخلية لكونها خاضعة للاحتلال البريطاني وكذلك استمرار التيار المسيحي العالمي في نشاطه.

ثالثاً: الخطوات العملية لنشأة الجامعة الأمريكية بالقاهرة: وقد تناولت المؤلفة جهود "تشارلز واطسون" لدعم مشروع الجامعة، واختيار القاهرة كأفضل مكان للجامعة من حيث كونها مركزاً فكرياً للعالم الإسلامي، أما عن الموقف البريطاني من فكرة إنشاء الجامعة فغير واضح من البداية حتى عام ١٩١٤م فقد قوبل الطلب الأمريكي بالرفض لأن تحديد مكان الإنشاء بالقرب من أهرام الجيزة غير مناسب لأنه يشوه الشكل الجمالي وكذلك الاعتراض على تسمية الجامعة باسم "الجامعة المسيحية"، ثم وقع أخيراً اختيار "تشارلز" على قصر "نيستور جانكليس" بشارع القصر العيني بجوار ميدان الإسماعيلية [التحرير حالياً] بالقاهرة، ولكن وقت الحرب العالمية الأولى حولت جميع المباني الحكومية إلى مستشفيات لصالح مصابي الحرب، وعقب انتهاء الحرب في محاولة للتودد للقوة الأمريكية الصاعدة وافقت بريطانيا على مشروع الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وسهلت لها الحصول على المبنى الذي كانت تشغله كمستشفى أثناء الحرب.

رابعاً: الجامعة الأمريكية بالقاهرة والمؤسسات المدنية والدينية وتناولت المؤلفة في هذا الجزء موقف السلطات البريطانية الذي تحسن عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وكذلك موقف السلطات المصرية المؤيد للجامعة لكونها تجربة جديدة في الحياة التعليمية في البلاد، وقد حدثت بعض المشاكل بين الإرسالية والجامعة لأن

الاعتمادات المالية توجه للجامعة مباشرة بعد أن كانت تذهب للإرسالية ومنها للجامعة وكذلك ارتفاع راتب مدرسي الجامعة مقارنة بمدرسي الإرسالية في حين ترى الإرسالية وجوب حدوث العكس لتشجيع المبشرين، فعقد مجلس الجامعة في عام ١٩٢٣م اجتماعاً وفيه تقرر استقلال الجامعة الكامل عن الإرسالية.

خامساً: تناول الكتاب التوجهات السياسية للجامعة، فقد اتضحت توجهات الجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ البداية، وذلك من خلال العرض التاريخي لنشأتها. وهذه التوجهات: هي التوجه الديني وقد أوضحت إحدى وثائق الجامعة أن الهدف هو ضمان الشخصية المسيحية للجامعة وتنمية الولاء المسيحي لدى المدرسين والطلاب وكذلك التوجه الاجتماعي والتوجه الأكاديمي، وقد تم اجتماع في ١١ يوليو ١٩١٩م "بواشنطون" أسفر عن إصدار بنود قوانين الجامعة الأمريكية بالقاهرة كما يلي:

أولاً الاسم: الجامعة الأمريكية بالقاهرة (*The American University at Cairo*).

ثانيا الهدف: "تقديم التربية المسيحية لشباب مصر والأراضي المجاورة لها، وذلك عن طرق إقامة معهد للتعليم على أعلى المستويات التربوية الفعالة، لتظهر للعالم الإسلامي السمات الخلقية للسيد المسيح، التي باستطاعتها وحدها تنشيط الحياة الفكرية وبعث روح التجديد في المجتمع، وإصلاح حياة الفرد".

سادساً: أقسام الجامعة كالتالي: كلية الآداب والعلوم، ومدرسة الدراسات الشرقية وقسم الدراسات الممتدة، وكلية التربية، ومركز البحث الاجتماعي، ومعهد اللغة الإنجليزية.

ويتجه اهتمام الفصل الرابع للوقوف على العلاقة بين الأهداف المعلنة للجامعة والممارسات الداخلية في المدة من ١٩٢٠م حتى عام ١٩٥٦م، حيث قد ظلت الوجهة التبشيرية خلال هذه المدة هي المحور الذي تدور حوله بقية الأهداف المعلنة من إعداد

النخبة، ونشر الثقافة الأمريكية، وخدمة المجتمع المصري وكانت الجامعة تسعى لتحقيق أهدافها من خلال أقسامها المختلفة.

وكان الهدف الديني أن تمثل الجامعة قمة الهرم التعليمي التبشيري في وادي النيل وأن تقوم بتقديم دروس لطلاب المرحلة الجامعية ودراسة مهنية لكل من المسلمين والمسيحيين في مصر والأراضي المجاورة. وكانت هذه الدروس تشمل تعليم الإنجيل وعلومه، وإعداد النخبة الحاكمة وفقاً للمبادئ المسيحية وقد طورت الجامعة عل هذا الأساس ما تمارسه من وسائل لتحقيق أهدافها وذلك من خلال الاجتماع الديني، المحاضرات العامة، المناهج الدراسية اختيار أعضاء هيئة التدريس، وأنشطة الجامعة الأخرى. ويمكن القول بأن الجامعة قامت بدور خطير في كشف دقائق الأمور والمشكلات الاجتماعية في مصر ودول الشرق الأوسط، بحيث تستطيع أمريكا من خلاله بسط الهيمنة الثقافية على المجتمع المصري. ومما سبق نستطيع أن نلمس الأهداف الحقيقة للجامعة، وهي السعي لتنصير المجتمع المصري، وإيجاد تبعية ثقافية أيضاً وقد جاءت التبعية في إطار الجانب الديني.

واهتم الفصل الخامس برصد واقع المجتمع المصري، وتحليل أوضاعه في النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والوقوف على مدى ما أسهمت به تلك الأوضاع في إيجاد مناخ مهيأ للجامعة مكنها من الاستمرار في تبني أهدافها، وقد تناول هذا الفصل الأوضاع الفكرية في الواقع المصري وركزت المؤلفة على الفكر الليبرالي، والفكر الاشتراكي، والفكر الإسلامي التجديدي. ثم الأوضاع السياسية في الواقع المصري، ثم الأوضاع الاقتصادية في الواقع المصري وقد أظهر هذا الفصل أوضاع المجتمع المصري الفكرية وما أحدثته من تغيرات على الأصعدة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية ، كما تأثر المجتمع المصري أيضاً بالمتغيرات العالمية في تلك المرحلة من الصراع بين المعسكرين الغربي والشرقي

والتنافس بين الدول الكبرى على بسط نفوذها على العالم ، وقد انعكست كل هذه الأوضاع على الجامعة الأمريكية بالقاهرة وأهدافها، لذا نجد في أعقاب ثورة يوليو حتى عام ١٩٦٣م تغييراً في الأهداف المعلنة للجامعة الأمريكية لكي تتواءم مع النظام الجديد، كما نلمس نوعاً من الكياسة والحذر في الإفصاح عن المضامين الدينية التنصيرية وظهر ذلك أيضاً في ممارسات الجامعة الداخلية. وعام ١٩٦٣م له دلالة حيث لم يظهر التغيير في الأهداف المعلنة للجامعة إلا في هذا العام .

وبرغم كل الاحتياطات التي وضعتها الجامعة في تلك المرحلة، فإن دافع الجامعة للحفاظ على إعداد نخبة تعمل لصالح الغرب، و التركيز على التقرب من الحكومة والطبقة الحاكمة الجديدة في المجتمع، جعل الجامعة تستثني أبناء مجلس قيادة الثورة الجديدة، من شرط الحصول على مجموع الدرجات المطلوب للقبول.

وتناولت المؤلفة في الفصل السابع وضع الجامعة الأمريكية بالقاهرة في الستينيات والأهداف المعلنة للجامعة الأمريكية بالقاهرة في ظل التحول الاشتراكي، فقد انعكست الأوضاع والظروف في المجتمع المصري والعلاقات المصرية الأمريكية المضطربة خلال فترة التحول الاشتراكي في مصر على الأهداف المعلنة للجامعة الأمريكية. وتبنت الجامعة أهدافاً جديدة، لكي تتناسب مع الأوضاع المجتمعية والعالمية المتغيرة، ولكي تحاول إثبات أنها تعمل لخدمة المجتمع المصري حتى تتمكن من الاستمرار في وقت كانت الاتجاهات العدائية تتعاظم نحو كل ما هو أمريكي. والممارسات والأنشطة المتعلقة بتحقيق الأهداف المعلنة والذي تمثل في صورة المسؤوليات التعليمية وخدمة المجتمع المصري ومواجهة تحديات التنمية والطباعة والنشر وأيضاً تعامل الجامعة مع النخبة.

ويلقى الفصل الأخير الضوء على وضع الجامعة الأمريكية مع بداية التوجه الجديد للنظام السياسي المصري – في عهد السادات – نحو إقامة علاقات وطيدة مع الغرب ومع أمريكا على وجه الخصوص والذي بدأت مؤشراته مع بداية السبعينات وتبلور بصورة واضحة عام ١٩٧٤م مع تبني مصر سياسة الانفتاح الاقتصادي . وقد سارت الأحداث بخطى سريعة لتدعيم مصالح الجامعة الأمريكية، فقد اعتمد الرئيس "السادات" البروتوكول الرسمي للجامعة في عام ١٩٧٦م، الذي تضمن أهداف الجامعة الأمريكية ونظام العمل فيها، وقد تناول هذا الفصل وضع الجامعة في السبعينيات، ثم بروتوكول عام ١٩٧٦م وتأكيده استقلالية الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وأخيراً الأهداف المعلنة والممارسات الداخلية التي تمثلت في المسؤوليات التعليمية والثقافية، وخدمة المجتمع المصري وإعداد الصفوة.

وفي النهاية نستطيع استشراف دور الجامعة الأمريكية (*AUC*) من خلال التوضيح الرائع الذي ظهر به هذا الكتاب المهم وما قام به أيضاً من تحليل لأهدافها الأولى وما طرأ عليها من تغيير وامتداداتها في الواقع الراهن ، ويمكننا القول أنه بفضل ما تقدمه من القيم والثقافة الأمريكية تمثل هذه الجامعة أحد آليات الهيمنة الأمريكية والتبعية وبخاصة في عصر العولمة التي تسعى فيه أمريكا للسيطرة على العالم وذلك لكون خريجي هذه المؤسسة روادا لهذا المجتمع وطليعة هذا العصر بما يحملونه من قيم وثقافة الدولة المسيطرة عالمياً.

وهناك قيمة إضافية لهذا الكتاب الخطير تتمثل فيما حواه من وثائق سرية استطاعت المؤلفة الحصول عليها لتوثيق رؤاها وتدعيم تحليلاتها . فتحية لها وللناشر على هذا الجهد المحمود .

جمعية البكاء بالعكس !!!

هذه الجمعية هي الوحيدة من نوعها على مستوى الوطن العربي من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر، لأنها لم تتألف بقرارات فوقية ولا تحتية، ولا شرقية ولا غربية ، بل تألفت هكذا - كما تسقط الثمرة من الشجرة - و تهتم هذه الجمعية بتصنيف الشعراء وفقاً للعقود التي تنتمي إليها قصائدهم من وجهة نظر الأعضاء المؤسسين ، فهذا من الستينات وهذا من السبعينات وهذا من الثمانينات وهذا من مدرسة التعلب فات ، ولأن اللي فات مات . فالتعلب مات !.

والحداثة هي شعار هذه الجمعية ومن أهم مبادئها :

١. الجمهور المستمع أو القارئ ليس طرفاً في عملية الإبداع الشعري . لأن الشعر أساساً فن أحادي التأثير - ينخعه الشاعر لنفسه فقط - أما إذا تفضل بإلقائه على الناس ولم يفهموه فهذا تواضع منه وجهل منهم . والجهل يعالج بمزيد من الجهل كما أن الديمقراطية تعالج بمزيد من الديمقراطية .

٢. للجمهور الحق في رفض أي قصيدة والعكس .

٣. الشاعر الحداثي كائن أسمى من النقد كما أن النقد أسمى من الشاعر الحداثي .

٤. يجوز للشاعر الحداثي أن يكسر القواعد النحوية والعروضية ويحطم الأصول اللغوية ومع ذلك يظل له الحق في أن يوصف بأنه "شاعر" !!.

٥. الشعر العمودي سمي بذلك نسبة إلى عامود كان منصوباً يربط فيه الشاعر إذا لم تعجب قصيدته الجمهور . ويربط فيها أيضاً إذا أعجبت قصيدته الجمهور .ومن

هنا يرفض أعضاء الجمعية الشعر العمودي شكلاً حتى ولو استشهدوا به ضمناً وبالعكس!!

٦. يشترط لقبول أي عضو جديد في الجمعية أن يعرب عن رغبته في عضويتها بصرف النظر عن موافقة الهيئة التأسيسية .

٧. المقر الدائم للجمعية هو مركز أهناسيا بمحافظة بني سويف ويجوز إقامة فروع أخرى لها في أي مكان آخر بدون أي شروط مسبقة .

٨. يمارس أعضاء الجمعية البكاء مرتين سنوياً على الأقل [بين يدي زرقاء اليمامة] أملاً في تطوير وتثوير وتنوير وتحوير وتدوير وتبوير أرض الشعر العربي الخصبة .

٩. يجتمع مجلس إدارة الجمعية أربع مرات سنوياً ، وتصدر القرارات النهائية في الاجتماع الرابع الذي يعقد في شهر بؤونة من كل عام . ويشترط لصدور القرارات النهائية أن يكون القرار قد نوقش في الاجتماعات الثلاثة السابقة دون أن يحظى بموافقة أي عضو.

١٠. والنقد الأدبي السليم – في رأي الجمعية - هو ما نادت ومازالت تنادي به المدرسة الزازية (وهي المحطة النقدية التالية مباشرة لمحطة المدرسة الدادية) ويقصد به أن يتم نقد العمل الأدبي قبل قراءته ضماناً لأكبر قدر ممكن من الموضوعية والحياد الإيجابي لأن قراءة العمل الأدبي قبل نقده قد يعرض الناقد للانحياز إلى العمل الأدبي والتأثر به أو العكس وبالتالي يفقد النقد مصداقيته .

وحوشٌ ..و "وحوش" !!

سأل التلميذ الفتى أستاذه الشيخ : من هو الدكتور يحيي المشد ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : الدكتور يحيى أمين المشد من مواليد عام ١٩٣٢. قضى حياته في الإسكندرية، وتخرج في كلية الهندسة، جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٢، بُعث إلى الاتحاد السوفييتي لدراسة هندسة المفاعلات النووية عام ١٩٥٦، ثم أسند إليه القيام ببعض الأبحاث في قسم المفاعلات النووية بهيئة الطاقة النووية في مصر وسافر إلى النرويج عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤ لعمل بعض الدراسات، ثم انضم بعد ذلك للعمل كأستاذ مساعد ، ثم كأستاذ بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية. وأشرف الدكتور المشد في فترة تدريسه بالكلية على أكثر من ٣٠ رسالة دكتوراه، ونُشر باسمه خمسون بحثاً علميًّا تركزت معظمها على تصميم المفاعلات النووية ومجال التحكم في المعاملات النووية ، وفي مطلع العام ١٩٧٥ كان صدام حسين نائب الرئيس العراقي وقتها يملك طموحات كبيرة لامتلاك أسباب القوة، فوقّع في ١٨ نوفمبر عام ١٩٧٥ اتفاقاً مع فرنسا للتعاون النووي. من هنا جاء عقد العمل للدكتور يحيى المشد العالم المصري، والذي يعد من القلائل البارزين في مجال المشروعات النووية وقتها ووافق المشد على العرض العراقي لتوافر الإمكانيات والأجهزة العلمية والإنفاق السخي على مشروعات البرنامج النووي العراقي، وفي الثالث عشر من يونيو (حزيران) عام ١٩٨٠ وفي حجرة رقم ٩٤١ بفندق الميريديان بباريس عُثر على الدكتور يحيى المشد جثة هامدة مهشمة الرأس وقُيدتْ القضية ضد مجهول !!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هي الدكتورة سميرة موسى ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هي عالمة مصرية في أبحاث الذرة وتلميذة للدكتور على مصطفى مشرفة سافرت لأمريكا أواخر الخمسينيات، وكانت تنوى العودة

لمصر لكي تستفيد بلدها من أبحاثها حيث أنها كانت تستطيع إنتاج القنبلة الذرية بتكاليف رخيصة وقد تلقت عروضاً لكي تبقى في أمريكا لكنها رفضت بقولها: " ينتظرني وطن غالٍ يسمى مصر. وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية في ضواحي كاليفورنيا في ١٥ أغسطس ١٩٦٢. وفي طريق كاليفورنيا الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقي بها في وادي عميق. قفز سائق السيارة واختفى إلى الأبد، وأوضحت التحريات أنه كان يحمل اسماً مستعاراً، وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها. وقيدت القضية ضد مجهول كالعادة . !!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور سمير نجيب ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : العالم سمير نجيب عالم الذرة المصري من طليعة الجيل الشاب من علماء الذرة العرب، فقد تخرج من كلية العلوم بجامعة القاهرة في سن مبكرة، وتابع أبحاثه العلمية في الذرة. ولكفاءته العلمية المميزة تم ترشيحه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة، وعمل تحت إشراف أساتذة الطبيعة النووية والفيزياء وسنه لم تتجاوز الثالثة والثلاثين، وأظهر نبوغاً مميزاً وعبقرية كبيرة خلال بحثه، فعرضت عليه إغراءات كثيرة بالبقاء في أمريكا ولكنه قرر العودة إلى مصر، وفي مدينة ديترويت كان الدكتور سمير يقود سيارته والآمال الكبيرة تدور في عقله ورأسه، يحلم بالعودة إلى وطنه لتقديم جهده وأبحاثه ودراساته على المسؤولين، ثم يرى عائلته بعد غياب طويل.

وفي الطريق العام فوجئ الدكتور سمير نجيب بسيارة نقل ضخمة، ظن في البداية أنها تسير في الطريق شأن باقي السيارات. حاول قطع الشك باليقين فانحرف إلى جانبي الطريق لكنه وجد أن السيارة تتعقبه. وفي لحظة مأساوية أسرعت سيارة النقل ثم زادت

من سرعتها واصطدمت بسيارة الدكتور الذي تحطمت سيارته ولقي مصرعه على الفور، وانطلقت سيارة النقل بسائقها واختفت، وقُيِّد الحادث ضد مجهول !!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور نبيل القليني؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : قصة هذا العالم غاية في الغرابة، فقد اختفى منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن !!!! وكان هذا العالم قد أوفدته كلية العلوم في جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات في الذرة. وقد كشفت الأبحاث العلمية الذرية التي قام بها عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية .

ثم حصل على الدكتوراه في الذرة من جامعة براغ. وفي صباح يوم الاثنين الموافق ٢٧/١/ ١٩٧٥دق جرس الهاتف في الشقة التي كان يقيم فيها الدكتور القليني، وبعد المكالمة خرج الدكتور ولم يعد حتى الآن !!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور نبيل احمد فليفل ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : الدكتور نبيل أحمد فليفل عالم ذرة عربي شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية، وأصبح عالماً في الذرة وهو في الثلاثين من عمره وعلى الرغم من أنه كان من مخيم "الأمعري" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التي انهالت عليه - وفي الخفاء وعن طريق الوسطاء – للعمل في الخارج، وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العلمية. وفجأة اختفى الدكتور نبيل، ثم في يوم السبت الموافق ٢٨/٤/١٩٨٤ عثر على جثته في منطقة "بيت عور"، ولم يتم التحقيق في شيء .

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور العلامة على مصطفى مشرفة؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هو أحد أهم علماء مصر المعاصرين تولى عمادة كلية العلوم جامعة القاهرة أواخر الأربعينيات ، وقد تتلمذ على يد العالم الفيزيائي الكبير ألبرت اينشتاين وكان أهم مساعديه في الوصول للنظرية النسبية وأُطلق عليه " اينشتاين العرب " وقد عثر – فيما يروى - على د. مصطفى مشرفة مقتولا في ١٦ يناير عام ١٩٥٠ بطريقة بدائية للغاية بالسم.

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور جمال حمدان ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هو أهم جغرافي مصري، وصاحب كتاب "شخصية مصر". عمل مدرساً في قسم الجغرافيا في كلية الآداب في جامعة القاهرة، وأصدر عدة كتب إبان عمله الجامعي. تنبأ بسقوط الكتلة الشرقية قبل ٢٠ عاما من سقوطها، وألف كتاب "اليهود أنثروبولوجيا" يثبت فيه أن اليهود الحاليين ليسوا أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين .

وفي سنة ١٩٩٣ عثر على جثته والنصف الأسفل منها محترق، واعتقد الجميع أن د.حمدان مات متأثراً بالحروق، ولكن د. يوسف الجندي مفتش الصحة بالجيزة أثبت في تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقاً بالغاز، كما أن الحروق ليست سبباً في وفاته، لأنها لم تصل لدرجة إحداث الوفاة، واكتشف المقربون من د. حمدان اختفاء مسودات بعض الكتب التي كان بصدد الانتهاء من تأليفها، وعلى رأسها كتابة "اليهودية والصهيونية"، مع العلم أن النار التي اندلعت في الشقة لم تصل لكتب وأوراق د. حمدان، مما يعني اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل. وحتى هذه اللحظة لم يعلم احد سبب الوفاة ولا أين اختفت مسودات الكتب التي كانت تتحدث عن اليهود .

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هي الدكتورة سلوى حبيب؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : د. سلوى حبيب كانت أستاذة بمعهد الدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة – وكان عنوان كتاب الدكتورة سلوى حبيب الأخير "التغلغل الصهيوني في أفريقيا "، والذي كان قيد النشر، مبرراً كافياً للتخلص منها. فقد عُثر عليها مذبوحة في شقتها ، وفشلت جهود رجال المباحث في الوصول لحقيقة مرتكبي الحادث ليظل لغز وفاتها محيراً، وبخاصة أنها بعيدة عن أي خصومات شخصية، وأيضاً لم يكن قتلها بهدف السرقة، ولكن إذا رجعنا لأرشيفها العلمي سنجد ما لا يقل عن ثلاثين دراسة لها عن التدخل الصهيوني في دول أفريقيا على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبشهادة الجميع كانت هذه النقطة من الدراسة ملعبها الذي لا يباريها أحد فيه.

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور سعيد سيد بدير ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إنه ابن الفنان الراحل سيد بدير وكان عالماً فذاً في هندسة الصواريخ، تخرج في الكلية الفنية العسكرية وعين ضابطاً في القوات المسلحة المصرية حتى وصل إلى رتبة مقدم وأحيل إلى التقاعد برتبة عقيد بناء على طلبه بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من إنجلترا، ثم عمل في أبحاث الأقمار الصناعية في جامعة بألمانية الغربية، وتعاقد معها لأجراء أبحاثه طوال عامين وهناك توصل المهندس الشاب من خلال أبحاثه إلى نتائج متقدمة جعلته يحتل المرتبة الثالثة على مستوى ١٣ عالماً فقط في حقل تخصصه النادر في الهندسة التكنولوجية الخاصة بالصواريخ٠ وقد رفض الجنسية الألمانية كما رفض كل من سبقوه ورفض البقاء، وقرر العودة فزادت التهديدات، فعاد إلى وطنه وطلب الحماية من السلطات بالإسكندرية حين شعر بالتهديد يصل معه إلى وطنه،

وهناك قتل، وقال إعلامنا وقتها إنه مات منتحراً بفتح أنبوبة الغاز، وإمساك سلك كهربي عار، وشنق نفسه!! هكذا نشرت صحف ذلك العام أواخر الثمانينيات دون أدنى خجل!!!

وبنفس الطريق قتل العالم اللبناني رمال حسن رمال، أحد أهم علماء العصر في مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة لوبوان، التي قالت أيضا إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمي في باريس السابع من بين مئة شخصية تصنع في فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادي والعشرين، وجاءت الوفاة في ظروف مريبة حيث حدثت في المختبر ووسط الأبحاث العلمية التي تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة عالم مسلم أخر هو الدكتور حسن كامل صباح.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : كفاك اليوم أسئلة فإني أراك اليوم ثقيل الظل؟

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : ولِمَ تراني ثقيلَ الظل اليوم يا شيخنا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : لأنك سألت عن هؤلاء، ولم تسألني عن الجَمَلُوش والهلالوش والمصيلحوش والدرووش والزقزوش. أفليس الحي أبقى من الميت ؟ يا نافورة الجهل؟

قال الراوي: " وما أن نطق الشيخ بأسماء هؤلاء الجن حتى طارت عمامته في الهواء وتحول التلميذ الفتى إلى حية تسعى بين يدي الشيخ وتفوح منها رائحة كامب ديفيد!!"

الجمليزم والهلاليزم .. وبناء المستقبل !!

لـن أوازن هنـا بـين مصـر وإسـرائيل ، فمصـر – بتاعـة الخمسـتلاف سـنة حضـارة سيادتك – بها الجمل والهلال اللذان يقودان نهضة تعليمية لا مثيل لها في التاريخ وليس في عالمنا المعاصر التعيس، ويكفي ما تفوه به أحدهما من أنهما يناقشان منفردين مشروعاً لتطوير التعليم وبناء مستقبل علمي زاهر لم يخطر على قلب بشر!!!، ولن يسمحا لمجلس الشورى ولا مجلس الشعب بالإطلاع عليه حفاظاً على – لا مؤاخذة – السرية!!! ويتجاهل الرمزان الجليلان ما هو سائد في كل دول العالم المحترمة من حرص على مجانية التعليم الجامعي، ويتسابق الرمزان في تكبيل الأساتذة بالقيود، وتدجين الأحرار، واستئناس المشاغبين، وترويض المتمردين، وتجاهل المتأبين على الترويض، وبسط الأكف بالعطايا لضعاف النفوس ممن عانوا حرماناً قاسياً في نشأتهم، فانكبوا على المشروعات يمشرعونها ذات اليمين وذات الشمال، وهم مدركون أنهم مخربون.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) (البقرة/١١-١٢) لن أوازن بين هذا الهزل الذي يراد لنا أن نتجرعه على أنه الجد، وبين الجد حين يراد به الجد، ففي الأسبوع الماضي فجر هيكل مفاجأة قاسية حين قال بأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم المحمية علمياً وقانونياً من التجسس على مؤسساتها العلمية والعسكرية ، ودعونا نلق نظرة على بني العمومة من الصهاينة فقديما قال وايزمان: "إن العلم سلاح إسرائيل الجبار الذي يجب أن يستغل ببراعة ومهارة وبكل وسيلة متوفرة لنا" .... هذه الكلمات منسوبة لـ"حاييم وإيزمان" أول رئيس لدولة إسرائيل وعالم الكيمياء، والبارز في ذات الوقت، والذي وضع الأسس الأولى لسياسات إسرائيل فيما يتعلق بالنظام الأكاديمي الإسرائيلي والبحث العلمي وقد

أنصبت جهود القيادات الإسرائيلية منذ قيام الدولة على إنشاء مؤسسات علمية متينة الركائز تحكمها قواعد علمية صارمة وكفلوا لها كل فرص النجاح اعتماداً على التقاليد العلمية الرصينة من جهة وعلى ما توفرت لهم من فرص الاحتكاك بالمجتمعات العلمية الغربية المتقدمة في أوربا والولايات المتحدة ، وكذلك في الاتحاد السوفيتي السابقة، وساعدهم في النجاح في هذه المهمة استفادتهم من العلماء اليهود في الجامعات الأوروبية والأمريكية والسوفيتية الذين هاجروا إلى الدولة الصهيونية، حيث تشير بعض الدراسات الأكاديمية إلى أن نسبة العلماء المهاجرين إلى إسرائيل بلغت ٣٣٪ من إجمالي مجموع المهاجرين عام ١٩٦٨ وأن نسبة الكفاءات الأوروبية تساوي ٦٥٪ من أساتذة الجامعة العبرية وكان الاتحاد السوفيتي هو النموذج الصارخ لهجرة الكفاءات العلمية لإسرائيل وأمامي تقرير نشرته صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بتاريخ ٨/٥/٢٠٠٠ يذكر كاتبه أن عدد المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق والمعسكر الاشتراكي بعد انهيارهما إلى إسرائيل منذ نهاية الثمانينيات وحتى عام ٢٠٠٠. بلغ حوالي مليون يهودي، وتميزت هذه الموجة الجديدة من الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بأنها هجرة نوعية "تمثل قطاعات راقية التعليم متميزة الدراسة ذكر أن ربع مليون منهم على الأقل من حاملي الدرجات العلمية في الطب والهندسة والتكنولوجيا ومنهم عدد يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عالم حاصل على شهادة الدكتوراه، وطبقا لتصريحات وزير الاستيعاب الإسرائيلي وصحيفة الحياة اللندنية ١٦/١/١٩٩٦م، فإن تأثير الهجرة لإسرائيل كان بمثابة المعجزة إذ اتاح لنا تشكيل رأس مال بشري خارق، وأضاف أنه.. من بين القادمين ٥٨ ألف مهندس و١٠ آلاف باحث علمي و١٤ ألف طبي وعلى الرقم من أن بعضهم أضطر إلى القبول بوظيفة تقل عن مؤهلاته بسبب عدم توافر وظائف في مجال اختصاصه. فإن المستوى العلمي لهؤلاء يفوق بكثير مستوى الإسرائيليين الأصلي".

ولم تكتف إسرائيل باعتصار ينبوع الهجرة من الاتحاد السوفيتي السابق فقط ، بل

اتجهت أنظارها نحو الولايات المتحدة وأوربا لاجتذاب علمائها من الشباب ودفعهم لترك بلدانهم والهجرة إليها بسيل من الإغراءات ووسائل الترغيب لجعلها " هجرة اختيار" لا "هجرة اضطرار".

وحسب كرم سعيد (مختارات إسرائيلية – أغسطس ٢٠٠٥) فإن إسرائيل تحتل المكانة الأولى في العالم من حيث العدد النسبي لحاملي الشهادات العليا في العلوم الطبيعية من مجموع السكان وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين إسرائيل والدول العربية فيما يختص بالبحث العلمي نجد أن نسبة العلماء والتقنيين في إسرائيل ٧٦٠ لكل ١٠٠٠٠٠ شخص عام ٢٠٠٠ مقابل ٤٥٠ لكل ١٠٠٠٠٠ شخص في مصر و ١٢٥ لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة في تونس كما يصل حجم الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل ٢,٤ ٪ من إجمالي الناتج القويم مقابل ٢٪ في بريطانيا أما متوسط الإنفاق في الدول العربية – حسب تقرير منظمة العمل العربية لعام ٢٠٠٤) يصل إلى ٢ في الألف من الناتج المحلي . وباعتبار النشر العلمي واحداً من أهم المقاييس المستخدمة لتقدير مستوى الإنتاج العلمي لدولة ما واعتماداً على بيانات معهد ISI ومقره فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تم فهرسة المجلات العلمية التي يبلغ تعدادها ٣٥٠٠ مطوعة مصنعة في ثمانية فروع وقد أتضح من تحليل هذه البيانات، أن النشر العلمي للباحثين والعلماء الإسرائيليين حقق ما نسبته ١٪ من البحوث المنشورة في العالم حيث بلغ (١٠٢٠٦) عشرة آلاف ومئتين وستة بحوث إسرائيلية منشورة عام ١٩٩٥ في حين بلغ إجمالي البحوث المنشورة للباحثين والعلماء العرب في العام نفسه ٦٦٥٢ بحثا والغالبية العظمي من هذه الأبحاث العربية ليست على المستوى المرموق علمياً، هذا ما أكدته أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في الرياض في إبريل ١٩٩٩، ووفقا لإحصاءات معهد ISI في عام

٢٠٠٣ فإنه وفق معيار عدد العلماء الذين ينشرون بحوثا مقارنة بعدد السكان فقد ظهر أن إسرائيل تتبوأ المكانة الأولى بنسبة ١١,٧ لكل ١٠,٠٠٠ وتسبق كلا من الولايات المتحدة ومعدلها ١٠ وإنجلترا ومعدلها ٤,٨ ٪.

وإذا راودنا الشك في مدى نزاهة الإحصاءات التي يصدرها معهد ISI الأمريكي فلننتقل إلى الدراسة التي أجرتها جامعة جياوتونج الصينية في العام ٢٠٠٥ والتي صنفت الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جميع دول العالم وفق خمسة معايير أكاديمية تعتمد بشكل رئيسي على الإنجازات العلمية والبحوث المنشورة في مجلات محكمة وعدد الاقتباسات المرجعية منها والجوائز العلمية ونوعية البرامج وغير ذلك من عناصر التعليم الجامعي والبحث العلمي ويتم ترتيب الجامعات وفق ما تسجله من نقاط في جدول يضم أرقى ٥٠٠ جامعة ومؤسسة تعليمية على مستوى العالم إضافة إلى تصنيفات إقليمية مثل أرقى ١٠٠ جامعة أوروبية و١٠٠ جامعة آسيوية .... الخ. وأشارت الدراسة إلى ورود الجامعة العبرية بالقدس في الترتيب٩٠ وجامعة تل أبيب رقم١٠١ ومعهد وايزمان ١٠٥ وثلاث جامعات أخرى في المائتين الثالثة والرابعة واحتلت إسرائيل المرتبة ١٢ في الترتيب العالمي للدول، وفي الترتيب الآسيوي جاءت الجامعة العبرية في الترتيب السابع واحتلت جامعة تل أبيب الترتيب التاسع ومعهد وايزمان في الترتيب ١٨ وجامعة بارايلان ٣٨ ومعهد التخنيون ٢٢ وجامعة بن جوريون ٣٩ واحتلت إسرائيل المرتبة الثانية من بين الدول الآسيوية بعد اليابان أما الجامعات العربية التي يبلغ عددها ١٨٤ جامعة فلم يرد ذكرها على الإطلاق!

أما من حيث مصداقية ونزاهة التقييم فيكفي أن نتوقف عند الحقائق التالية:-

١. الجامعة الصينية التي قامت بالدراسة جاء ترتيبها في موقع متأخر من

القائمة (٤٠٤) ولا تتضمن القائمة أي جامعة صينية في المائة الأولى منها.

٢. الصين كبلد جاء في الترتيب التاسع عشر من القائمة وما لا يتناسب مع امكاناته العلمية والبشرية.

٣. جامعة تايوان الوطنية جاء ترتيبها في المرتبة ١٥٣ مثل أي جامعة صينية والكل يعرف حساسية الصين دولة وشبعاً تجاه تايوان.

وبالنسبة لنا كعرب لا توجد مصلحة للجامعة الصينية في عدم ذكر أي جامعة عربية في القائمة، كما أنها ليست صاحبة مصلحة في تعظيم التفوق الإسرائيلي دون وجود ما يدعو لذلك.

ولا يخفى على القارئ الكريم ما كان يمكن أن تكون عليه النتائج لو أن هذا التقييم قامت به وزارة الداخلية المصرية، أو ما يسمونه – من باب الدلع – مركز المعلومات التابع لمجلس الأنس الكريم .

إن الجيش الإسرائيلي كان هو الحاضن الأكبر[وكذلك المستفيد الأكبر] للطفرة العلمية في إسرائيل وربط قادة إسرائيل دوما بين العلم والتكنولوجيا والتفوق العسكري الإسرائيلي على البلدان العربية، ويقول البروفيسور "جادى أريفا" أحد أساتذة جامعة تل أبيب في هذا الصدد :" إذا أردت أن تفهم صناعات التقنية العالية في إسرائيل ، عليك أن تبدأ بفهم الجيش". ومنذ عام ١٩٤٨ أنشئ في صفوف الجيش الإسرائيلي فرع باسم "سلاح العلوم" تحول بعد ذلك إلى "قسم البحث والتخطيط" التابع لوزارة الدفاع وهو ما يطلق عليه اسم "هيئة تطوير الوسائل القتالية" المعروف اختصاراً باسم "رفائيل" وقد تحددت مهمة "رفائيل" في تطوير وسائل قتالية جديدة عن طريق التكنولوجيا المتقدمة جداً وللعاملين بها صفة موظفي الحكومة وإن كانوا يتمتعون بامتيازات العاملين في حقول البحث العلمي

بمعاهد التعليم العالي، وفي عام ١٩٨٣ كان يعمل بها نحو ستة آلاف موظف معظمهم من الفنيين رفيعي المستوى وقد أدت هذه الوحدة دوراً بارزا في تطوير الصواريخ "أرض- أرض" والصواريخ "ارض- جو" من طراز "شافيت" كذلك في تطوير نظم التوجيه ونظم الحرب الإلكترونية والصواريخ "جو – جو" وأجهزة الكمبيوتر المرتبطة بالتطبيقات العسكرية والقنابل الذكية، كما أدت "رفائيل" دوراً بارزاً في تطوير برنامج الصواريخ البحرية "غابربيل" سطح –سطح" ويكفي أن نعرف – وحسب الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية لعام ١٩٨٠ أن أكثر من ٧٦٪ من إجمالي الإنفاق القومي المخصص للبحث العلمي يوجه إلى الأبحاث العسكرية أو تلك المرتبطة بالأمن القومي، وهذه النسبة هي الأعلى في العالم فيما يتعلق بمعدلات الإنفاق على البحوث العسكرية إذا ما قورنت بدول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرى أحمد بهاء الدين شعبان (إسرائيل من الداخل – أعمال المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية – القاهرة ٢٨ – ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢) أن مجال الكمبيوتر وصناعة المعلومات من أكثر المجالات نجاحاً في إسرائيل ضمن حقول البحث العلمي المختلفة، وحسب مجلة "وايرد" الأمريكية المتخصصة في شؤون المعلوماتية وتقنيات الكمبيوتر فإن إسرائيل حازت المركز الرابع من حيث التأثير في صناعة المعلوماتية عالمياً كما يوجد في إسرائيل أكثر من نصف عدد وصلات الانترنت في منطقة الشرق الأوسط ، ونقلاً عن مجلة نيوزويك الأمريكية ذائعة الصيت فإن "إسرائيل هي الجهة العالمية الوحيدة المؤهلة لمنافسة وادي السليكون" بكاليفورنيا في مجال صناعة أجهزة الكمبيوتر وتطور هذه الصناعة، وتصنف إسرائيل في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الشركات الجديدة ذات الصلة بالكمبيوتر، التي انتشرت في عقد التسعينيات الماضي".

ومثلت إسرائيل بما امتلكته من بنية أساسية جيدة وكوادر مهنية عالية التأهيل وبما طرحته من ميزات استثمارية مغرية منطقة جذب ضخمة لكبريات الشركات العاملة في مجال تكنولوجيا المعلومات ومن أبرزها:

- شركة **IBM**: التي أنشأت واحداً من أهم مراكزها (المحدودة) في الخارج بإسرائيل عام ١٩٧٤.
- شركة **Microsoft**: عملاق شركات البرامج العالمية التي أنشأت فرعها Microsoft - Israel ١٩٨٩.
- شركة هيولت – باكارد **H-P** أنشأت فرعا لها في إسرائيل أيضا أواخر الثمانينيات من القرن الماضي.
- شركة **Motorola**: التي يعد فرعها في إسرائيل من أقدم الفروع الأجنبية للشركة حيث تأسس عام ١٩٦٤ وصدر منذ ١٩٩٥ وحتى ١٩٩٩ بحوالي ٦٠٠ مليون دولار.
- شركة **Intel** : ولها مصنع في إسرائيل يمثل أكبر مصانع الشركة خارج الولايات المتحدة وينتج فيه معالج "بنتيوم – ٤".

فلعلنا ندرك الآن لماذا يصر تقرير اليونسكو "العلم في العالم" الصادر عام ١٩٩٦ على أن الجامعة العبرية بالقدس تتفوق على ما تنجزه الجامعات العربية مجتمعة فيما يتعلق بنشر الأبحاث العلمية.

سيبويه في ميدان طلعت حرب !!

كنت أشق طريقي بصعوبة في زحام وسط البلد متجهاً إلى شارع عبد العزيز، حين استوقفني رجل وسيم حسن وجهه مضيء محياه، باسم ثغره قائلا :

أهلا يا ابن رجب ..إلى أين المسير؟

تفرست في ملامح الرجل قليلاً بين مصدق ومكذب إنه بعينه، وأنفه ، وأذنيه وصوته : عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد، الملقب بسيبويه ويكنى أبا بشر. [وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح].

- معقول؟ عم سيبويه ؟ كيف حالك يا أبا بشر؟ وكيف جئت إلى هنا؟ و... إلى أين المسير؟
- إلى شارع عبد العزيز، وصلت أمس من البصرة ، وأقمت في "خان" يدعى (هيلتون) وشد ما انزعجت من اسمه لأنه ينتهي بالواو والنون ولكني لم أره مذكوراً عند شيخي الخليل بن أحمد ضمن الملحقات بجمع المذكر السالم.
- لا عليك. فإنه علَم أعجمي. وما تبغي من شارع عبد العزيز؟
- جئت لأغير نغمات هاتفي المحمول، فقد ضاق صدري بنغمة (والله زمان يا سلاحي) فغيرتها بنغمة (بلادي بلادي بلادي) ففوجئت بابنتي "سوسو" تفزع منها كلما رن الهاتف، فأنا أسعى في طلب نغمة (باحبك يا حمار) أو (المصريين أهمه)
- ولكنك فارسي يا أبا بشر؟ أليس كذلك؟
- بلى يا أبا مختار، ولكن هل غاب عنك قول المرقش الأوسط (أحمد فؤاد نجم):

"إيران يا مصر زينا

وعندهم ما عندنا

تمسك ودانك من هناك

تمسك ودانك من هنا

الخالق الناطق هناك

الناطق الخالق هنا"

- وما الذي جاء بك إلى مصر يا أبا بشر؟
- بالأمس سمعت كبير النظار الذي تسمونه "رئيس الوزراء" يقول – كما نشرت الصحف – " لن تسمح الحكومة لأحد بلوي دراعها " فأصابني هلع واحرنجمت أختبط تعاسيف اليربوع حتى اغسوسق المشق في غضابير الوشائر.
- ما شاء الله .. لهذه الدرجة غضبت؟
- كنت قد ارتحت في قبري سنين عددا، فجاء هذا الرجل فقلب علي مواجع قديمة
- وما هي؟
- لقد سمعت رئيس وزراء سابقاً يدعى عبد الرزاق عبد المجيد يقول تحت القبة أواخر السبعينيات أو أوائل الثمانينيات (ورحمة أبويا الميزانية فيها فائض) أو (وشرف أبويا) أو (وحياة راس أبويا) أو كما قال . وبعدها سمعت عاطف صدقي يقول (إن الحكومة تسمع دبة النملة) وبعدها سمعت عاطف عبيد يقول عن المتفحمين في قطار تملكه حكومته (القتلى) ،وبعدها

سمعت أبا الغيط يقول إنه (هيكسر رجل اللي يعدي الحدود) وبعدها سمعت ابن بطرس غالي يقول لموظفي الضرائب (ما حدش يقدر يلوي دراعي) ، وها هو ذا رئيسه يكرره بحروفها ..... فبعت معجم العين و(الكتاب) لرجل يبيع فيهما طعمية في شرق البصرة، وجئت لأقيم هنا لأتعلم هذه اللغة المتحضرة (ولا أقول "الحضرية" حتى لا أذهب وراء الشمس) !!

- ولم ذاك ؟ ألم تسمع قول المتنبي "الملافظ سعد!! "
- يا ابن رجب: الناس على دين حكوماتهم، فيجب أن نترك لغتنا القديمة المتحجرة لنتكلم لغة أهل مصر المتحضرة (من الحضري) فهمت يا حمار؟
- ماذا تقول يا أبا بشر؟ هل تشتمني ؟
- معاذ الله يا أبا مختار، كنت أقصد أن أقول لك: لعل المقصود بلغة (باحبك يا حمار) شيء آخر غير الحمير التي نعرف .

عند هذا الحد من الحوار وصلنا إلى ما ظنناه شارع عبد العزيز، فوجدنا باعة النغمات قد أغلقوا وغيروا أنشطتهم، فلما سألنا عنهم قيل لنا إنكم تسيرون في شارع مكرم عبيد في مدينة نصر.!!! فعدنا أدراجنا نسأل عن شارع عبد العزيز يروحوا له إزاي من مدينة نصر.!!

٩٠دقيقة من (الفكاكة)

ليس في العنوان خطأ كتابي ، فأنا لا أقصد (الفكاهة) – وإن وردت ضمناً – ولا أقصد الفتاكة (فهي ليست فصحى) ولكنها في العامية تعني : ادعاء الذكاء ، أو محاولة الظهور بمظهر النبيه، ولكن (الفكاكة) في الوجدان الشعبي العام تدل على السخرية من المتذاكين ، أو من الأغبياء الذين تند عنهم تساؤلات تدل على عبقرية دفينة ، مثل عمدة إحدى القرى المجاورة التي تفصل بين بلدنا وبلد أخينا العزيز الكاتب الصحفي سليم عزوز، الذي اشترى يوما كمية كبيرة من الكتاكيت ثم وضعها في تلّيسة (شِوال)، ووضع "التليسة" على البردعة على الحمارة وتربع فوقها وهو من أصحاب الوزن الثقيل ، وانطلق.. !! ، فلما آب إلى قريته وفتح "التليسة" وجد الكتاكيت جميعاً قد ماتت، فاندهش جداً...واستغرب جداً... وتساءل في عبقرية فذة : [التليسة جديدة والحمارة شديدة .. أُمَّال الخنقة جات لهم منين ؟] تذكرت هذه الواقعة وأنا أتابع على شاشة قناة المحور الفضائية برنامجاً مسائياً اسمه " ٩٠ دقيقة " يقدمه مذيع ومذيعة ، لا يباريان – بضم الياء الأولى وفتح الباء – في خفة الظل والاستظراف، وحدة الذكاء، إن لم نقل : اتقاد الذكاء!!

وأنا أضطر أحيانا – لأسباب خاصة جداً لا يمكن الإفصاح عنها قبل عام ٢٠١١- لمشاهدة بضع دقائق يومياً من تلك الدقائق التسعين التي يمتحن الله تعالى بمشاهدتها بعض عباده ليبلو أخبارهم. ومنذ أسبوعين استضاف ذلك البرنامج الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي (أستاذ فلسفة إسلامية في تخصصه الدقيق والعميد الأسبق لكلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر وأحد العشرة المعينين بقرار جمهوري بمجلس الشعب المصري) ومعه الأستاذ ة الدكتورة آمنة نصير (من نفس التخصص السابق وأظنها تولت

عمادة كلية من كليات البنات الأزهرية من قبل) . وكانت مناسبة استضافتهما ما شاع أيامئذ من قضايا البول النبوي، وفتوى إرضاع الموظفة زميلها المضطرة للخلوة به في مكتب واحد من مكاتب الحكومة الذكية!!!

أما قصة البول النبوي فقد وردت في كتاب (الفتاوى العصرية) للدكتور علي جمعة في سياق (... أن الصحابة كانوا يتبركون بشرب بوله صلى الله عليه وسلم) [كما جاء في الصحف] وأما فتوى إرضاع الموظفة زميلها فقد أفتى بها أ.د. عزت علي عطية أستاذ ورئيس قسم الحديث الشريف بكلية أصول الدين بالقاهرة، ثم رجع عنها قبل بث تلك الحلقة من البرنامج (الريادي!!)

وقصة شرب بول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم ترد في كتب الحديث المعروفة بالكتب التسعة ولا في المعاجم الحديثية، ولا في كتب المسانيد، ولا حتى في الأجزاء الحديثية المعروفة ، كما لم ترد في كتب السيرة النبوية المعتمدة مثل سيرة ابن هشام ، وزاد المعاد، وسبل الهدى والرشاد، ابن كثي ، والروض الأنف .. الخ، ولم أرها إلا في كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، الذي نسب هذا الصنيع للجارية الحبشية أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاضنته ولعل سياق روايتها يدل على أن هذا الصنيع كان على سبيل الخطأ لا التبرك.

وأما قصة إرضاع الكبير التي وردت في السنة فلها فقهها الخاص الذي يرتبط بنزول حكم الحجاب بعد نزول حكم إلغاء التبني، فالحديث صحيح سنداً ومتناً كما قرر العلماء، لكنه ليس حجة لفقه جديد كما هو واضح من سياقه التاريخي.

ولئن زلت قدم فقيه كبير كالشيخ علي جمعة [وهو بالمناسبة شافعي المذهب والشافعية خالفوا الجمهور في القول بطهارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ظاهراً

وباطناً!!!] ففهم من تلك الرواية فهما خاصاً، أو غلط الشيخ عزت عطية فاستنبط حكماً فقهياً على غير ما تجيز قواعد الاستنباط [وهو بالمناسبة أستاذ للحديث وليس للفقه أو لأصول الفقه!!!] فإن تلك الزلة وأمثالها، وذلك الغلط وما يشابهه، ما كان لهما أن يتحولا إلى قضايا جماهيرية يشترك في مناقشتها ويخوض فيها من لا يحسنون الوضوء، بل ولا يعرفون كيف يتطهرون من أدرانهم. ولكن الذي جنى تلك الجناية هو الإعلام.

نعم، فميثاق الشرف الإعلامي معطل، وحل محله ميثاق (القرف) الإعلامي فرأينا صحفيين مؤتمنين على حقوق الناس وقضاياهم يذهبون بما لديهم من مستندات إلى (الكبار) من رجال الأعمال أو ذوي السلطان ممن تمسهم تلك المستندات فيلوحون بالنشر فتنهال عليهم العطايا والهبات : نقداً أو إعلانات، فيتحولون إلى شياطين خرس ورأينا بعض المصاحفين [الذين يكتبون للصحف وهم خارج المؤسسات الصحفية] يبيعون أقلامهم لمن يدفع أكثر وتستكتبهم الصحف لإثارة الزوابع التي تحقق للصحف رواجاً فيطلقونهم كالكلاب المدربة على هذا (الموضوع) أو ذلك (الشخص)، أو تلك (القيمة) فيقيمون "المنادب" وتفرقع عناوينهم المثيرة بما يضمن لهم (غدوة) أو (عشوة) أثيرة، أو سهرة مع (....) مثيرة!!

وقد انتصب مولد القضيتين اللتين تحدثت عنهما، وطبل المطبلون وزمر المزمرون ورقص الراقصون ثم انصرفوا - صرف الله قلوبهم - وهدأ السامر!! ..

ومرت أيام وليال ثم فوجئت ببرنامج ٩٠ دقيقة يستضيف الشيخين اللذين ذكرت آنفاً (د. بيومي ود. آمنة) ليعيد اللت والعجن في تلك المسألتين من جديد!! وقد أجاب الضيفان الكريمان إجابات علمية رصينة موثقة مختصرة تدل على حسن إدراكهما لرسالة الإعلام ووجه الدكتور بيومي لوماً مهذباً عفيفاً لوسائل الإعلام، ورجاها أن تعرض

عن نشر أمثال تلك القضايا التي تثير الرأي العام ، ولكن المذيع.. الناصح.. النبيه .. الفطن.. الألمعي.. اللوذعي.. وجدها فرصة لمزيد من (ابتزاز) التسهيلات الفقهية - لأن الضيفين بَدَوا متساهلَيْن وَوَدودَيْن في الإجابة عن بعض الأسئلة السريعة - وكأنه أمام (اوكازيون = تنزيلات) فسأل ضيفيه - في خفة ظل تضحك مذيع (الجزيرة) جميل عازر!!! - قائلاً - "لا فض فوه.. وهلك شانئوه.. وخاب منتقدوه" : - طيب إيه حكم الشرع (بأه) في الغناء في الحمَّام؟ - وأضاف مفسراً سر هذا السؤال العميق - : أصلي أنا لما بكون في الحمام باحب أغني!!!!!! "

وللأمانة لا أذكر حكماً للشرع قاله الضيفان لكني أذكر بوضوح خيبة الأمل والصدمة والانبهار الذي ظهر على وجهيهما من شدة وقع هذا السؤال / الفاجعة!!

تخيل - عزيزي القارئ - ما كان يمكن أن يحدث لو تورط أحد الضيفين في تحريم أو تحليل الغناء في دورة المياه، ثم تلقفت صحف الباز والمبتز والمبوز ودكاترة الختان والبكارة من دخلاء الصحافة هذه الفتوى وصنعت منها موسماً جديداً للغناء والرقص!!؟

هذا المذيع الذي انفجرت - لا مؤاخذة - قريحته فجأة بهذا السؤال العبقري، كان قد بدأ برنامجه بتوجيه (النصح والإرشاد السامي !!) للضيفين العالمين الجليلين قائلاً: " ليه يا(جماعة) احنا نحب دايماً إثارة مشاكل جديدة تافهة بعيدة عن واقعنا ؟ "

وهذه القناة (المحور) معروفة التوجه، وقد ساعدت مشاهديها ليلة الجمعة ٨ يونيو ٢٠٠٨ على إحياء تلك الليلة المباركة بفلم أجنبي ساقط شاهدت منه دقائق فوجدته يدافع عن السحاقيات!! وألاحظ كثيراً أن مقدمي برنامج ٩٠ دقيقة حين يستضيفون أحد ملاك قناة المحور، أو يهاتفهما متداخلاً مع ضيف يكونان في غاية الأدب والنصوص والبلاغة والمحفوظات!!! لكن مع العلماء يكونان في منتهى الإبداع والتألق و..."الفكاكة!!!! "

" أستاذ دكتور" .. بربع جنيه .!!

العلاوة الدورية السنوية لمن يشغل درجة (مساعد أستاذ) هي ستة جنيهات مصرية لا غير، فإذا جد واجتهد، وقام وقعد، وأمضى خمس سنوات في عناء وكَبد، وتقدم للترقي لدرجة أستاذ – وهي نهاية درجات الترقي العلمية – قفزت علاوته السنوية الدورية من ستة جنيهات إلى ستة وربع، وهذا الوضع سائد في مصر من نصف قرن تقريباً توالت فيه الحكومات، وتعددت فيه الطروحات، وتغيرت أسعار العملات، وتأخرت المعارف وتطاولت النكرات، ولم يخطر ببال أحد أن يلتفت إلى هؤلاء البائسين الذين تلفعوا بالاستعفاف ونفروا من الاستجداء، ورفضوا الابتزاز طوال خمسين عاماً، وهم على الفقر صابرون وبالعفة مستمسكون .

وليت الحكومات المتعاقبة اكتفت بتجاهلهم، وإهمالهم، ونبذهم عمداً خلافاً لكل فئات المجتمع التي يحق لها اختيار من يقودها ويمثلها إلا أساتذة الجامعات لأنهم قاصرون فإن الحكومة وهي (الرشيدة !!) وصية عليهم في شرعها وليس في شرع الله، فهي تختار لهم قياداتهم في مناصب الجامعة جميعها، حتى لا يسيئوا الاختيار لأنهم قاصرون عابثون لا يفرقون بين الألف وكوز البوظة!!

وهي لا تتدخل في شؤونهم بتعيين قياداتهم فقط، ولكنها تبث عيونها بينهم إذا قاموا وإذا قعدوا وإذا هموا بما لم ينالوا، وتبث عيونها بين الناشطين منهم خاصة، لكي تحول بينهم وبين أنفسهم إذا أرادوا بأنفسهم شراً وهم لا يشعرون .

وهي لا تكتفي بالتدخل في شؤونهم بتعيين قياداتهم، وبث عيونها بينهم ، ولكنها تنتقي منهم أزلاماً وأصناماً تربيهم في زرائبها، وتصنعهم على عينها، ممن لهم سابقة في الخبص والدس والإيقاع والإبلاغ ، فتتخذ منهم قادة للقمع، وسادة للردع، وعمداء للصفع (كما حدث في علوم طنطا أخيرا) وكروشاً للبلع، وباسم تطوير القدرات، وتنمية المهارات وتفتيح المستفتحات، وتغليق المستغلقات، يمكن القول بأن الثعلب – والله أعلم – فات!!!

وقد نشرت الصحف المستقلة عن الحكومة يوم الخميس ٢٠٠٧/١١/٢٢ نبأ وقوف نحو ثمانمائة أستاذ تخطوا السبعين في نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة وقفة احتجاجية تقلصت مطالبهم فيها بتحسين أحوالهم المعيشية ومنحهم أجر خمسين يوما مكافأة!! وإشراكهم (والعياذ بالله من الشرك والإشراك) في التدريس. تلك هي مطالب صفوة الصفوة ونخبة النخبة، لم يخطر ببالهم أن ينددوا بتزوير أية انتخابات طلابية لأن منهم – وليسوا جميعاً – الذين سنوا التزوير حين كانوا في مواقعهم ومارسوه سنين عدداً ولم يخطر ببالهم أن يدافعوا عن الفقراء الذين تنكل الحكومة بهم وبآبائهم برفع المصروفات الجامعية إلى حد التعجيز الحقيقي عن مواصلة التعليم، في الوقت الذي تعفي فيه معظم الجامعات العربية والعالمية طلابها من الرسوم إعفاء تاماً أو جزئياً. ولم يخطر ببالهم أن ينددوا بتزوير أية انتخابات نيابية أو غير نيابية، لأن أكثرهم عاشوا يحلمون بيوم ترضى فيه الحكومة عنهم فتتخذ منهم وزراء وسفراء ورؤساء هيئات، فرضخوا ونخوا ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف فأذاقهم الله لباس الذل والجوع والخوف والخنوع .

ولم يخطر ببالهم أن ينددوا بأي عدوان على الأراضي العربية التي سرقت طوال أعمارهم السبعين، فشهدوا إسرائيل وهي تخطف قطعة مصرية عزيزة من الزعيم الملهم جمال عبد الناصر وهي (أم الرشراش) فتسميها إيلات، وتصبح هي منفذها الوحيد على البحر الأحمر الذي كان بحيرة عربية خالصة فشاركتنا فيه وصارت هي سيدة باب المندب عند اللزوم، وصدرت التعليمات للإعلام ألا يفتح سيرة أم الرشراش ولا أم الخلول ولا أم اربعة وأربعين حرصاً على مشاعر الزعيم!! وشهدوا تركيا وهي تسرق ميناء الإسكندرونة السوري ويصبح أرضا تركية، وشهدوا إيران الشاه وهي تسرق جزر الإمارات الثلاث، وشهدوا أسبانيا وهي تسرق مدينتي سبتة ومليلية جهارا نهارا.

كل ذلك شهدوه ولم يحرك منهم ساكنا ولعل أحداً منهم لم يفكر فيه قط ، ولعل أحدا منهم لم يعلم طلابه كيف يجب عليهم أن يثوروا ويثأروا لتلك الأراضي المنهوبة، ولعل

بعضهم علم طلابه أن يخوروا لا أن يثوروا فهيأ لهم من الرحلات الماجنة والسهرات الآمنة ما تقر بهم أعينهم، وتسكن به "ثوراتهم!!"، ليطلبوا العلم بعدها وهم هادئون.!!

لست – ولم أكن يوما – متعاطفا مع أولئك السبعينيين الذين يثورون وهم في سن اليأس على أوضاع هم صنعوها وشاركوا فيها بالفعل أو بالصمت. فليقفوا احتجاجا إن شاؤوا ، أو فليقعدوا انتظاراً إن شاؤوا، فلن يسمع بوقوفهم ولا بقعودهم أحد، ولن تجيرهم حكومة بلتهم فأحسنت بلاءهم، وعلمت منهم من وافقها ومن نافقها ومن "رافقها" وستتخذ من أولئك الرفاق القدامى سيوفا تقطع بهم رقاب إخوانهم ممن يشاركونهم (الآن!!) الوقوف فهذه سياستها، وذلك دينها، وتلك شنشنتها التي اصطنعتها مع القضاة، فقربت منهم بعض السبعينيين فيما أسمته لجان التصالح ومحاكم الأسرة لتضرب بهم المتشددين من إخوانهم.

ولست – ولم أكن يوما – متعاطفا مع أولئك السبعينيين الذين يثورون وهم في سن اليأس بعد أن رأيت بعضهم يسكتون على سرقات علمية ورأيت بعضهم يبيعون الدرجات العلمية بيعا ورأيت بعضهم يبيعون الترقيات بيعاً ورأيت بعضهم يرى نفسه إلهاً صغيراً فيعز ويذل من طلابه ويخفض ويرفع من مرؤوسيه، حتى إذا خلت به الحكومة أو خلا بها رأيناه يسقط ويركع، ويسجد ويذل، ويعطر بأحذية صغار المخبرين والمرشدين وجهه الوقور، ورأيت بعضهم يسرق رسالة طالب فقير فيهديها لزوجة رئيسه فيرتقي حتى يصبح نجماً يلمع لحظات ثم يخور ويحور فيأفل فيسقط في مزبلة التاريخ مخلفاً وراءه كل ما اجترح من سيئات وكل ما اقترف من آثام، وتاركاً لتلاميذه أسوة عفنة وقدوة نتنة.

قفوا يا أساتذتنا أو اقعدوا فقد ذبحتم أنفسكم حين سكتم عن علاوة ربع الجنيه نصف قرن!!

" تذكير " الجامعات بانها " مؤنثة "...!!

على مقهى "السعادة " المجاور لعجلاتي " الهنا " غربي محطة السكة الحديدية التأمت جلستنا الأربعائية المسائية على عادتها، أقبل الأخ موهوب متمايلاً في أقصى حالات التجلي،والانبساط، جلس مبحلقاً وقد اتسعت حدقتاه، ودارتا في محجريهما بسرعة شديدة، كان يلهث ويسعل وتخرج أصوات مبهمة من فتحات وجهه كافة، أدركنا أنه – كالعادة – تعاطى حشيشاً مغشوشاً، فلم نعجل عليه بطلب المشاركة في الحوار، و لكنه قال بعد أن شد من شيشته نفسا طويلاً:

- عليّ الطلاق حكومتنا دي عشرة على عشرة.
- لماذا يا هذا ؟ سأله برعي ابن خالتي مندهشا.

فقال شارحا:

انظروا إلى جامعاتنا المصرية وهي تعيش حالة من الفرح والبهجة والسعادة لم تعرفها في حياتها، فمنذ ظهر في سمائها قادة عظام أمثال مفيد شهاب وهاني هلال، والأمور تسير من حسن إلى حسن بشرطة، وقد ازدادت العملية حسناً وبهاء وجمالاً بالعمدة الكبير أحمد نظيف!!

قال له المعلم خليفة وشهرته أبو ضيف:

- عليّ الطلاق من " كايداهم " هذا الرجل " فلتة " في تاريخ مصر الحديث. يا أخي كفاية ملافظه التي "تشر" منها الحكمة والبلاغة والإيجاز والإعجاز و"النصاحة" والعبقرية، فقد تفوه هذا "الفلتة " بأقوال مأثورة منها:

- " لو لم نتدخل في انتخابات ٢٠٠٥ لفاز الإخوان المسلمون بمقاعد ثلث المجلس النيابي " (قالها في أمريكا)
- " شعب غير ناضج سياسيا..!! " (قالها في أمريكا واصفاً الشعب المصري)
- " ما حدش يقدر يلوي دراع الحكومة "
- " لن نسمح بإضرابات، فالإضرابات مخالفة للقوانين "

بدا الشيخ بطيخ متململاً، فهو مصاب بحالة من الزغطة منذ عامين، ولم يستطع أطباء الصعيد معالجته، فمن يوم قال أبو الغيط إن مصر لن تسمح بإقامة أي منشآت نووية في الشرق الأوسط والشيخ بطيخ مكتئب محسور مصاب بهذه الزغطة اللعينة، فقد كان يعتزم بيع حماره وإنشاء حتة مفاعل نووي – على قد الحال – في أولاد شلول من نواحي المنشاة فقال معقباً:

- أضف إلى هذه [الدرر] ما يتفوه به وزراؤه "الناضجون سياسيا " أمثال المصيلحي وهلال وأبو الغيط من درر أخرى من عينة "لن نسمح" ولن.. ولن .. أدركنا معنى وحقيقة هذا النضج السياسي الذي يفهمه نظيف.

قال المعلم خليفة وشهرته أبو ضيف:

- الأسلوب الذي تعامل به هذا "الناضج" سياسياً، وتابعه هلال مع أساتذة الجامعة الغاضبين من تدني رواتبهم، كان أسلوباً مسرفاً في التخلف، ممعناً في الكيد، مغرقاً في النتن، فقد استهدف هذا الأسلوب:
- شق صفوف الأساتذة باستدراج بعض مرؤوسيه من رؤساء الجامعات، وبعض مشايعيه من رؤساء الأندية إلى هذا الاجتماع لتأليبهم ضد زملائهم.

- الخلط المتعمد بين "الرواتب" وما أسموه بـ"الدخول"، في محاولة يائسة فاشلة مكشوفة للتضليل النفسي والإعلامي. فالأزمة كما جاءت في مطالبات أندية أعضاء هيئات التدريس هي أزمة "رواتب" عفنة بالية لم تعد تناسب أحداً، ولكنها في لغة هلال ونظيف تسمى (دخل) عضو هيئة التدريس، في محاولة للإيحاء بأن ما يحصل عليه هذا العضو متعدد المصادر والصور، وهذا – مع الأسف – ما يفهمه أولئك "المتبزنسون" ممن يلون أمورنا، من صنائع الأمريكان ومواليهم، الذين يرون في كل شيء "صفقة"، ولا يفهمون أن التعليم (الجامعي وغير الجامعي) هو بالدرجة الأولى: رسالة وليس صفقة!!
- محاولة إلهاء الأساتذة عن إضرابهم المزمع تنفيذه يوم ٢٠٠٨/٣/٢٣.
- إشعار الأساتذة بأنهم (غير ناضجين) مهنيا، ففكرة ربط زيادة الأجور بزيادة الالتزام تعني ضرورة تسليم الأساتذة سلفاً بأنهم متسيبون، مهملون متجاوزون، لا يعرفون واجباتهم كما أنه يعني - ضمناً – أن أعضاء بقية الفئات التي تكال لها المزايا المادية كالقضاة وضباط الشرطة والصحفيين (ولا نتحدث عن الفنانين والرياضيين) يعرفون واجباتهم وملتزمون و(ناضجون) مهنياً، فلم يحدث أن اشترط رئيس وزراء مصر على أي فئة – حتى الزبالين – أن تقبل رفع رواتبها مشروطاً.
- إن هذا الأسلوب استمرار لسياسة اتبعتها ثورة يوليو منذ قيامها تستهدف إقصاء الجامعات، بل "إخصاءها" بحيث أصبحت الجامعات مؤسسات ضعيفة "للسبوبة" والنفاق والتسلق، في ظل غياب الشفافية، وسيطرة الأمن واختيار قياداتها بالتعيين لا بالانتخاب وإشاعة سياسة "جوّع كلبك يتبعك"

عن طريق ما يسمى بالمشروعات الممولة دولياً بالقروض والمنح، والتي يتهافت عليها صغار الكبار كما تتهافت الفراشات على النور، ولا أقول كما يتهافت الذباب على قطع فتات الحلوى الساقطة حول موائد... الكبار!

قال برعي وقد نحّى الشيشة جانبا:

- إن تاريخ الجامعات المصرية ليقشعر خجلاً وهو يوازن بين خريجين وعلماء وسياسيين حفروا أسماءهم بكل جلال وتقدير وهيبة على سطور تاريخ مصر المشرق من أمثال: طه حسين، وعلي مصطفى مشرفة، وكامل مرسي، وأحمد أمين، وأمين الخولي، وبنت الشاطئ، وعز الدين إسماعيل، وعطية عبد السلام عاشور، وسعيد عبد الفتاح عاشور، وسيدة الكاشف، ومن الباقين: عبد الوهاب المسيري، وسعيد إسماعيل علي، وقاسم عبده قاسم، ومحمد أبو الغار، وعمر السباخي، وأحمد درّاج، ومحمد شرف، وسعيد سلامة، وغيرهم مئات. من جهة، وبين أمثال عاطف صدقي وعاطف عبيد وأحمد نظيف من جهة ثانية. هذه مصر، وتلك مصر أخرى، لا يعرفها إلا من اغتصبوها وأرهقوها وامتهنوها وباعوها في سوق النخاسة، وتاجروا بعرضها وشرفها وكرامتها وتاريخها المجيد، لا لشيء إلا لأنهم يجهلون هذا التاريخ، وليسوا ولم يكونوا ولن يكونوا من صنّاعه أبداً مهما تطل بهم سكرة النشوة، وسطوة الصبوة، وعربدة القوة.

غير أن الحقيقة تقتضينا أن نشهد بأن جامعاتنا من يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢- يوم أرسل مجلس جامعة الإسكندرية برقية تأييد للضباط الأغرار- وهي توالي انتكاساتها وخضوعها وتذللها، وتخلع في كل ليلة قطعة أخرى من ملابسها، حتى أصبحت أكثر إغراء وإغواء لكل من يريد أن "يضرب المربوط ليخاف السائب"، فهذا الذي حدث في الاجتماع الأخير من اشتراط تحسين الدخل بشرطين:

- عدم تغيير جداول المرتبات.
- تحسين الأداء وقبول الصرف لفئة دون فئة.

هو آخر مسمار يدق في نعش كيان كبير كان اسمه يوماً (الجامعة) المصرية، كيان استطاع طلابه عام ١٩٣٥ إجبار الأحزاب الورقية على أن تلم شملها وتوحد صفوفها وتفوض النحاس لتوقيع معاهدة استقلال مصر ١٩٣٦.

واستطاع طلابها عام ١٩٤٦ إذلال المحتل الإنجليزي الغاصب وتركيعه، واستطاع طلابها في ١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٧ إعادة الصواب إلى عقول فقدته من أمثال القيسوني وممدوح سالم والدموي إسماعيل وغيرهم.

قلت معقباً على هذا الحوار الديموقراطي :

- اخصوها وأريحونا، وخصخصوها وبيعونا، وأنّثوها وشحّتونا، لكنكم أبدا لن تستطيعوا مهما يصنع صغار عملائكم – أن تزيفوا تاريخنا، ولا تاريخ جامعاتنا، ولا تاريخ وطننا فأنتم – معشر المماليك الجدد – سحابة صيف عمّا قريب ستنقشع ولو كره المنتفعون.

الأدعية الشعبية: البنية والدلالة

تعبر الأدعية الشعبية عن الشخصية والبيئة خير تعبير، أما تعبيرها عن الشخصية فيظهر فيما تفيض به تلك الأدعية من عواطف تكشف التكوين النفسي للمتفوه بها، من حب أو بغض أو تقدير أو احتقار أو تعجب أو استنكار تجاه فرد أو أكثر، وتجاه سلوك أو أكثر من سلوكيات الآخرين.

وأما تعبيرها عن البيئة فواضح من خلال ما يتميز به البناء اللغوي للدعاء من تشبيهات واستعارات يصنع الصورة الفنية الجميلة الدعائية ملتبسة بمكوناتها البيئية القريبة من صور ولغة.

وقد حظيت المأثورات الشعبية من المواويل والأغاني والسير، باهتمام الباحثين في الدراسات الشعبية والأدب الشعبي، وبقيت مجالات: النكتة والأحاجي والألغاز بعيدة نسبياً عن اهتمام الباحثين لقلة النتاج، وصعوبة الرصد والجمع والتحقيق والتدوين وتعدد اللهجات. ولكنها – مع ذلك – حظيت ببعض المقالات وإن تكن محدودة.

وأما الأدعية الشعبية، فلم تحظ – فيما أعلم- بأدنى اهتمام، فلم يصادفني بحث علمي واحد أو مقال يتناولها بالبحث والدرس. لذلك رأيت أن أمهد لفتح باب دراسة هذه الناحية المهملة من موروثنا الشفاهي الذي يتميز بتجدد الإبداع فيه عصراً بعد عصر، ومن بيئة إلى أخرى.

مفهوم الأدعية الشعبية:

يمكننا تعريف الأدعية الشعبية بأنها "تلك العبارات التي يتفوه بها الإنسان تعبيراً عما يجيش بصدره من مشاعر تجاه الآخرين حاملة رغباته إزاءهم، أياً ما كانت هذه

الرغبات: خيراً أو شراً. وغالباً ما تكون الدعوات مرتبطة بمواقف يبدو فيه الداعي ممتناً للآخرين فيدعو لهم بالخير والسعادة والتوفيق، أو مواقف مغايرة يبدو فيها ناقماً عليهم نتيجة أذى ناله منهم أو مبغضاً لهم لسوء سيرتهم أو لموقف معين بدر منهم."

وكبار السن من الآباء والأمهات والأجداد والجدات، هم الأكثر لجوءاً للدعاء، وربما يعود هذا إلى أسباب تدور جميعها حول التقدم في السن منها:

١. الاقتراب الفطري من النهاية يجعل الإنسان أكثر رغبة في استمرار تأثيره، وهو يرى في استجابة الدعاء بقاءً لأثره في غيره فيما لو عاجلته المنية.
٢. تقدم السن مؤذن – بطبيعته- بالضعف الجسماني، وتضاؤل أو (انعدام) القدرة على النفع أو الإضرار بالقوة الجسمانية، وهنا يكون اللجوء إلى الدعاء بوصفه قوة معنوية.
٣. يرتبط التقدم في السن عادة بالتوبة والندم على ما فات، ومن ثم يسرع الإنسان – ذكراً كان أم أنثى- بالعودة إلى رحاب الله، والانتظام في العبادات وعمل الطاعات لاستدراك ما فات، والمداومة على العبادة تتضمن الاستغفار والإكثار من الدعاء، مما ينسحب على سلوك الفرد المسنّ، ولغته خارج أوقات العبادة. فهو يتخذ الدعاء سلاحاً في كل موقف.
٤. من اللوازم الصحية المصاحبة لكبر السن: ضيق الصدر، وارتفاع الضغط، وزيادة التوتر العصبي، وكثرة القلق، وكل ذلك يؤثر في سلوك المسنّين وفي لغتهم، فيكونون أعجل إلى الدعاء منهم إلى المحاجة والجدل والإقناع.

البناء اللغوي للدعاء:

مع أن الدعاء باب من أبواب الأسلوب الإنشائي، فإن بنيته اللغوية – في المأثور الشعبي الشفاهي- تتنوع بين الأسلوبين: الخبري والإنشائي، كما هو الحال في نصوص الفصحى الأصيلة، وهو في حالة وروده على الأسلوب الخبري يكون أقوى دلالياً لكونه يُشعر بالتحقق وحتمية الاستجابة، ويظهر من بنيته اللغوية ذات الشكل الخبري، ما يوحي باليقين من أن الداعي واثق بأن ما يدعو به واقع لا محالة. كما سنرى في الأمثلة التالية بعد قليل.

وحين يرد الدعاء طبقاً لصورته الأصلية (أعني بوصفه نوعاً من الأساليب الإنشائية التي لا تحتمل الصدق أو الكذب لذاتها) يتخذ عدة صور منها:

١. سؤال الله مباشرة مثل:

(يا رب تنجح) وهو دعاء مباشر مقرون بياء النداء.

٢. حذف المنادى وتحويله إلى مبتدأ مثل:

(ربنا ينجح مقاصدك) وهو دعاء غير مباشر حذفت منه أداة النداء ، فتحول المنادى إلى مبتدأ.

٣. حذف المنادى وأداة النداء معاً مثل:

(يوقف لك أولاد الحلال) وهو دعاء غير مباشر محذوف الأداة والمنادى معاً.

٤. اقتران الدعاء بفعل يفيد الرجاء مثل:

- (يجعل لك في كل خطوة سلامة) في الخير.
- (جاتك داهية) – جاءتك داهية- في الشر.

٥- استخدام النفي، مثل:

(اللي وراك ما يحصَّلك، واللي قدامك ما يفوتك)

وهذا دعاء في الخير، المقصود منه أن يكون المدعو له بارزاً، ناجحاً، متفوقاً على غيره محرزاً لكل ما يبتغي من الخيرات، محصلاً لكل ما يسعى إليه من نجاح.

ومن أمثلة استخدام النفي في الدعاء بالشر:

(تشرِّق ما تلقى، تغرِّب ما تلقى!!)

فالداعي هنا يسال الله تعالى أن يضيق رزق المدعو عليه، بحيث تفوته أي فرصة لتحقيق ما يسعى إليه فتضيق عليه الأرض بما رحبت، فلا هو يجد خيراً في المشرق، ولا هو يجد خيراً في المغرب، وذكر هاتين الجهتين في تلك الدعوة ليس للحصر، ولكن للاكتفاء بهما عن ذكر بقية الاتجاهات الجغرافية، وفي المذكور اكتفاء به عن المحذوف، والأصل (وتبحِّر ما تلقى وتقبِّل ما تلقى) أي أن الداعي يتمنى للمدعو عليه الفقر المدقع أينما يولِّ وجهه.

٦- استخدام العطف، وتكرار العطف:

ومن أمثلته في دعوات الخير:

(من اللبن تكرِّع، ومن الولْد تفرِّع)

أي أن الداعي يسأل الله تعالى للمدعو له الرزق الحسن (المعبّر عنه باللبن) والذرية الكثيرة.

وفي بناء هذه الدعوة ما يسميه البلاغيون :"المساواة"، بمعنى تساوي جملتي التعبير في البناء اللغوي، فكل جزء من الدعوة جملة اسمية خبرها شبه جملة متقدم، واسمها جملة فعلية متأخر وجوباً لتقدم شبه الجملة عليه. و(الوِلْد) – بكسر الواو وتسكين اللام- جمع وَلَد (بفتحمها) في العامية المصرية بعامة، وفي عامية الصعيد بنحو خاص.

والفعل (تكرع) بتشديد الراء المكسورة، أصله (كرع) ثلاثي فصيح، ولكن دلالته في العامية الصعيدية تكاد تساوي دلالة الفعل (يعب) في الفصحى القديمة: أي يشرب بنهم وعجلة. والفعل (تفرع) بتشديد الراء المكسورة مساوٍ لمثيله الفصيح بناءً ودلالة.

ومن أمثلة العطف في أدعية الشر:

(لا كسَّبك، ولا رشَّدك، ولا عَطَاك عَدَل)

لا كسَّبك: بتشديد السين، أي: لا رزقك الله كسباً من أي نوع. وهو مساوٍ لمثيله الفصيح.

لا رشَّدك: أي لا رزقك الله الرُّشْد حيثما ذهبت.

لا عَطَاك: أصله، لا أعطاك، والعامية المصرية تحذف همزة التعدية، فيسمون أبناءهم(عبد العاطي) والمقصود (عبد المعطي).

عَدَل: العدل (بفتح الدال) أي الصواب والخير. والمعنى : لا أعطاك الله خيراً، ولا هداك إلى صواب.

ونلاحظ في هذه الدعوة تكرار العطف : لا ، ولا، ولا. . .

٧- استخدام فعل مساعد:

يشيع في لغة الدعوات الشعبية استخدام فعل مساعد لا أثر له في بناء الدعوة مثل قولهم في الخير:(رُوح) = فعل أمر بمعنى اذهب محفوظاً. ومثل قولهم في الشر: (غُور)= فعل أمر بمعنى اذهب محفوفاً بالمهالك. ومثل قولهم في حالتي الخير والشر:(جاك كذا)

ومن أمثلته في دعوات الخير:

(روح يا شيخ . . ربنا يوتق حزامك، ويمشِّي كلامك)

يوتِّق= التاء فيه مبدلة من الثاء، والتوثيق بمعنى التأكيد، فالدعاء بتوثيق الحزام كناية عن الدعاء بالتمكن في الرزق أو الوظيفة.

ويمشّي كلامك= أي لا يُرد لك رأي، ولا تُصادر لك رغبة، ولا يصيبك إحباط أو قهر أو كبت.

ومن أمثلته في الشر:

(غُور جاتك غارة)

أي: اذهب عني، دهتك الدواهي، ورماك اللّٰه بكل شر.

أبعاد الدلالة في بناء الدعوات الشعبية:

تفيض مفردات البناء اللغوي للأدعية الشعبية بدلالات تتخذ أبعاداً نفسية واجتماعية وثقافية ودينية من جهة المضمون، وتتخذ أبعاداً إفرادية وتركيبية من جهة الشكل، والسبب في الثراء الدلالي للدعوات الشعبية التغير الإبستمولوجي الذي يعكس الموروث الثقافي المجتمعي بما تتضمنه من تراكمات حضارية متنوعة الجذور، فضلاً عن التنوع المعرفي الذي يتكون منه المجتمع الذي يحتفظ كل فصيل منه بموروث هامشي من الوعي التاريخي بأصل الفصيل وتوجهاته، رغم ما يحاول الجميع –تحت وطأة التعقيد الذي ران على التركيب الطبقي للمجتمع- من إبداء صور الوحدة والتجانس الثقافي. فالموروث الثقافي، هو المحرك الحقيقي للسلوك، تختلف في الإسكندرية والمدن الساحلية – حديثة التكوين- عنه في كثير من مدن وقرى الصعيد الذي ما زال متمسكاً بأصوله القبلية والعشائرية، كما تختلف عنه في مدن صناعية سريعة التغير والتبدل، ديموجرافياً وإسكانياً مثل القاهرة وطنطا والمنصورة وأسيوط، ويختلف عنه أيضاً في قرى ومدن الشمال في دلتا مصر.

ففي مقارنة دعوات شعبية شفاهية مدونة من تلك المدن التي ذكرناها، تظهر بوضوح الأبعاد الاجتماعية والثقافية، في مستوى المضمون، وتظهر الأبعاد الإفرادية والتركيبية في مستوى الباء التعبيري للجملة.

كما تتنوع الأبعاد الدلالية للدعوات الشعبية من حيث بلاغة التعبير، فتشمل أنماطاً مكررة من الكناية والاستعارة والتشبيه البليغ والحذف والقصر والمجاز المرسل، كما تتنوع فيها الفنون البديعية من جناس وطباق وتورية . . إلخ.

وفيما يلي نموذج للبعد الدلالي النفسي في الدعوات الشعبية:

يتمثل البعد الدلالي النفسي في الدعوة الشعبية في تلك النماذج التي تعكس مشاعر الحب والإيثار في الجانب الخيِّر من الدعوات مثل قول الأم حين تدعو لابنها أو ابنتها، أو لأحد أقاربها فتقول:

(الحلوة في طريقك، تكون من نصيبك)

فهي تتمنى للمدعو له أن يستأثر بكل خير يلقاه في طريقه، أو يسعى إليه. كما تظهر في قولهم:

(يحبب فيك البعيد والقريب . .

واللي ماشي في الطريق . . .

والنصراني أبو صليب)

كما يتمثل البعد الدلالي النفسي، في تلك النماذج التي يظهر فيها المدعو له في صورة مبهجة محاطة بالاحترام والتوقير والهيبة كما في دعواتهم:

(تهيب ما تتهاب)

أي: اسأل اللّه تعالى أن يجعلك مهيباً، وأن يرزقك الشجاعة بحيث لا تهاب شيئاً ولا أحداً. والفعل (تتهاب) في العامية يساوي (تهاب) في الفصحى .

ومثل قولهم:

(ربنا يغلِّض عِمِّتك، ويمشِّي كلمتك)

يغلِّض: أي يغلظ، وغِلَظ العمّة (العمامة) وكِبرها كناية عن المهابة وارتفاع المكانة الاجتماعية.

وأما في الشر، فيظهر البعد النفسي الدلالي، في رغبة الداعي في زوال المدعو عليه وانقطاع أثره، ومحوه من الوجود محواً كاملاً، كما في قولهم حين يدعون على الطفل المشاغب:

(لا تِطْلَع ولا تُجْرُد) : فهو دعاء عليه بالموت.

وكما في قولهم:

(يا رب ما تترْب ولا تدرِّي)

وفيه تورية، فليس المقصود هنا التراب، ولا ذراية الحبوب، وهما ما يُفهم في العامية من ظاهر الفعلين (تترب- تدرّي) ولكن المعنى البعيد مأخوذ من [الترِّيب= بمعنى الأصول والفروع من الآباء والأبناء] والدرية [وهي الذرية بالفصحى].

والبعد الدلالي النفسي في دعوات الشر أكثر وضوحاً منه في دعوات الخير، ذلك أن دعوات الشر تتصل مباشرة بالغرائز النفسية، وتعبر عما يكمن في اللاشعور من رغبات مكبوتة في التخلص من مصادر الإيذاء (الآخرين) جذرياً . فتأتي بعض الأدعية معبرة عن رغبة الداعي في إيقاع أشد البلاء بالمؤذين من المدعو عليهم. كقولهم:

(جاك العمى وطولة العمر)

لأن الأعمى كما يراه العامة يشقى كثيراً إذا لم يكن هناك من يساعده، وكلما طال عمره زاد شقاؤه وتعاسته.

وكما في دعائهم:

(العيا الشديد اللي ما تلقى له طبيب)

وقد تظهر نوازع سادية في الداعي تتمثل في استخدامه لدعوات حادة تظهر فيها الرغبة الجارفة في تعذيب المدعو عليه وتمني أسوأ النهايات كما في قولهم :

(جاتك شِنْعة في ضُهر جِمْعة)

والمعنى: أن الداعي يتمنى للمدعو عليه أن يموت ميتة شنيعة وقت صلاة الجمعة حيث يكون الوقت طيباً والدعاء مستجاباً. وأكثر العامة يكسرون حرف الجيم من كلمة (جمعة) مما يجعلها تصنع جناساً صوتياً مع كلمة (شِنعة) مكسورة الشين.

وكما في قولهم:(الحكيم يُنُخّ، والسقَّا يُبُخّ)

والحكيم = (الطبيب) المقصود هنا الطبيب الشرعي الذي يؤتى به في أعقاب الحوادث المؤسفة لتشريح الجثث، والدعاء بأن (ينخ) الطبيب (والنخّ هو وضع الجسم المتهيئ للجلوس حين يكون أقرب إلى الأرض) فيه دلالة على سوء حالة الجثة وتشوهها بحيث يحتاج الطبيب إلى التحرك لأعلى وأسفل حتى يتمكن من عمله، وأما وجود السقّاء في الدعوة ففيه دلالة على أن يكون الحادث المؤسف في يوم قيظ شديد، ومن المعروف أن أهل الصعيد خاصة يستعينون على تلطيف الجو الحار برش المياه على الأراضي الترابية فإذا تبخرت المياه لطّفت الجو والفعل (يَبُخّ) معناه يرش الماء من قربته. وبين (ينخ) للحكيم، و(يبخ) للسقّاء جناس واضح.

نموذج مما يجهله الشيخان التنويريان ..!!

عندما أشاهد الدكتور مراد بن وهبة أو جابر بن عصفور تصيبني حالة غريبة جداً هي مزيج من السعادة والإشفاق، وبينهما شيء من الدهشة الملساء!! [لأن الدهشة الخشنة لا تحضرني إلا عندما أقرأ مقالات ممتاز القط وكاريكاتير عمرو فهمي كل سبت في أخبار اليوم.] أما السعادة فلأنني سأستمتع بفاصل رائع من الكوميديا، فهذان أستاذان شيخان شائخان أفنيا عمريهما في دراسة أكاديمية لا صلة لها بالدين، وانتهيا إلى التحدث في الدين وحده!!

والدكتور وهبة لا يكل ولا يمل من النعي على ما يسميه "ثقافة الذاكرة" والدعوة إلى "العلم"!!! باسم الله ما شاء الله على "الفتوح"!! وكأن العلم "طقته نخلة" (وهذا تعبير صعيدي معناه بلغة البحاروة : مقطوع من شجرة = أي لا أصل له) مع أن العلم – أي علم لو لم يعتمد على التطور لأصبح عبثاً ولم يعد علماً، لكن الرجل (النمس) يقصد بثقافة الذاكرة التراث الإسلامي وحده لا غيره.

والدكتور عصفور عنده عقدة قديمة – لا أعرف سرها!!!!! – من "الظلام" فهو دائم التخويف من الظلاميين التوربينيين الذين يريدون بالبلد وأهله ما لا يصح ذكره.

والرجل يبتغي من وراء ذلك ما لا يخفى، فهو ولفيف غيره عيونهم على الوزارة وقد طال عهدهم بالشوق إليها وهي تتأبى عليهم.

وأذكر أنني كتبت مقالا عنوانه " كيف تصبح وزيرا في مصر؟ " وردت به بعض أسماء المشتاقين وحيلهم المكشوفة، وسلمته للصديق العزيز محمد جبريل لينشر ضمن سلسلة مقالات كانت تنشر لي في جريدة " المساء " وكان ذلك قبل تسعة عشر عاما تقريبا

فاتصل بي الرجل معتذراً وقال: "هذا مقال لا نستطيع نشره ولن تستطيع حتى الأهالي ولا الشعب نشره. ثم أضاف: أنت عاوز تودينا في داهية؟ "

وفي السطور القادمة – التي أهديها لمراد وهبة وجابر عصفور بمناسبة عيد ميلاد هما التسعين – سأوضح جانبا من الفكر "الظلامي" (عصفورياً) الإرهابي الحنبلي التيموي (وهبويا). فلعل الرجلين يستعينان بما أزودهما به من معلومات في معركتهما المقدسة من أجل التنوير.

سيدي الكريمين....

لا خلاف بين علماء القانون على أن كثيراً من مبادئ القانون الدولي المعاصر تعود إلى الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهية وبصفة خاصة تلك المبادئ التي تنظم الحرب والسلام والمعاهدات والاتفاقات وتبادل الأسرى وغير ذلك.

ومن طرائف تلك البواكير الأولى للقانون الدولي ما يسمى اليوم في علوم السياسة والقانون الدولي بـ(الحصانة الدبلوماسية) ويقصد بها حقوق الأجانب المكلفين بمهام في غير دولهم، وواجباتهم.

ومن العجيب أن هناك كتاباً كاملاً في هذا المضمار لمؤلف يدعي "ابن الفراء الأندلسي" يتناول فيه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها السفير ومعاونوه، وعنوان ذلك الكتاب هو "رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة"، وقد أشار إلى هذا الكتاب وعلق عليه المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد المدير الأسبق لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في كتابه "الدبلوماسية في الإسلام" الذي صدر بالإنجليزية والفرنسية".

نماذج تطبيقية:

وقد ابتكر العرب قبل غيرهم نظام الحصانة الدبلوماسية للسفراء والمبعوثين وهناك نماذج تطبيقية كثيرة في هذا الصدد منها ما ورد في المعاهدة التي عقدت بين ملك الروم والسلطان قلاوون عام ٦٩٠هـ فقد جاء فيها:

"وعلى الرسل والمترددين من الجهتين أن يكونوا آمنين مطمئنين في سفرهم ومقامهم براً وبحراً، محترمين، مرعيين، هم، وكل من معهم من مماليك وجوار وأموال وغير ذلك...".

يقول الدكتور/ صلاح الدين المنجد تعليقا على هذا النص:

"وهكذا نرى أن أمر الحصانة والإعفاء الجمركي، وهما من مميزات الدبلوماسية الحديثة، قد عرفهما العرب منذ فجر تاريخهم واتصالهم بالدول المحيطة بهم من روم فرنجة على اختلافها.

ولكن هناك أمراً مهماً فطن إليه العرب أيضاً، وطبقوه قبل العرب، فقد شرطوا قاعدة المقابلة بالمثل، يعني أن العرب إذا أعطوا الأمان، للسفير فلابد أن يقابل الفرنجة العرب بمثل ذلك، وكذلك في الإعفاء من الرسوم والعكس.

وقاعدة المقابلة بالمثل يجرى عليها اليوم كثير من الدول، في كثير من أمورها، بل أصبحت تتصل كثيراً بسيادة الدول نفسها.

وثمة أمر آخر يتعلق بالامتيازات التي تمنح للسفراء عند العرب، هو حرية القيادة فالسفير النصراني كان يستطيع أن يؤدي شعائره الدينية بحرية لا يمنع منها، وقد نص الفقهاء الذين بحثوا في القانون الدولي الإسلامي، أن الذمي الرسول إذا أراد أن يتخذ لنفسه خاصة موضع عبادة فلا يمنع من ذلك.

آراء الفقهاء في الحصانة الدبلوماسية:

وقد تناول الفقهاء هذا الموضوع في كتبهم تحت عناوين مختلفة تدور كلها حول الأمان وحقوق المستأمن، ويقصد بالمستأمن الشخص الذي يدخل بلاد المسلمين بدون نية الإقامة الدائمة، فهو يدخل بموجب عقد يسمى "عقد الأمان" وهذا العقد عرفي نابع من قيم الإسلام السمحة، ولا يشترط أن يكون مكتوباً وكتابته تشبه ما يعرف في عصرنا بأختام الجوازات (تأشيرات الدخول = visa) التي ينص فيها على مدة الإقامة والغرض منها.

وقد توسع الفقهاء في عرض موضوع عقد الأمان فذكروا أنه يشمل كل من دخل بلاد المسلمين:

- سفيراً.
- أو مرافقاً لبعثة دبلوماسية.
- أو تاجراً.
- أو سائحاً.
- أو صاحب حاجة.

وكل من هؤلاء له حقوق مالية ومعنوية محفوظة يكفلها له الإسلام. قال صاحب كتاب المغني في الفقه الحنبلي:

"إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان، فأودع ماله مسلماً أو ذمياً، أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب، نظرنا، فإن دخل تاجراً أو رسولاً أو متنزهاً أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانه في نفسه وماله، لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام، فأشبه الذمي لذلك.

مقارنة بين الحصانة الدبلوماسية الحالية والإسلامية:

يقول الشيخ الإمام محمد أبو زهيرة في كتابه العلاقات الدولية في الإسلام موضحاً الفرق بين الحصانة الدبلوماسية المعاصرة والإسلامية:

"الممثلون السياسيون هم الذين يقومون بتمثيل دولهم ورعاية حقوق رعاياهم التي تقيم في دولة غير دولتهم، وقد يعبر عنهم في لغة الإسلام الأولى بأنهم رسل دولة عند المسلمين وأن هؤلاء يعطون منذ القدم مزايا ليتموا رسالتهم التي بعثوا بها، سواء أكانت رسائل مستمرة أم رسائل محدودة.

وقد أعطاهم القانون الدولي في العصر الحاضر حصانة في أمور ثلاثة:

أولها: الحصانة الشخصية لشخص الممثل فلا يتعرض له ولا يعتدي عليه، حتى يستطيع أداء عمله السياسي من غير حرج، ولا يتعرض لسكنه أو أمتعته الشخصية.

ثانيها: حصانة تتعلق بالمال، فيعفى من الضرائب والرسوم في حدود معينة.

ثالثها: الحصانة القضائية ومن شأنها حماية البعوث السياسية من الملاحقات الجنائية، ومن الملاحقات المدنية الخاصة بعمله الرسمي.

ولاشك أن الأمور الثلاثة ليست سواء بالنسبة للشريعة، فالأمران الأولان لا يوجد من أحكام الشريعة ما يعارضهما ما دام الأساس هو المعاملة بالمثل. أما الثالث فهو موضع نظر..".

ويقصد الإمام محمد أبو زهرة أن الأمر الثالث (الحصانة القضائية) موضع نظر لأنه يخضع في الدولة الإسلامية لاعتبارات شرعية لا للعرف الدولي وذلك فيما يتعلق بالحدود والقصاص وما شابه ذلك. أما التقاضي فيما عدا ذلك من وصايا وميراث وأوقاف وما شابهها من التصرفات المالية الشخصية فإن الدولة الإسلامية تعطي رعاياها من غير أبنائها حق التقاضي وفقا لدياناتهم. ولعل الفقيه الحنفي الكبير محمد ابن الحسن

الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة هو أول من تكلم من فقهاء المسلمين في موضوع الحصانة الدبلوماسية، ففي كتابه (السير الكبير) ذكر بعض قواعد القانون الدولي ومنها: "أن سفير أي ملك مرسل إلى ملك العرب يكون آمناً هو ومن معه وما معه ما دام قائماً برسالته في دار الإسلام".

وورد في كتاب "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع " للسرخسي وهو من اهم مصادر الفقه الحنفي [١١ / ٤٧٩] ما يدل على جواز الاتجار لمن سمح له بالإقامة في ديار المسلمين فقد قال السرخسي: " وَلَوْ دَخَلَ حَرْبِيٌّ دَارَ الْإِسْلَامِ بِأَمَانٍ وَمَعَهُ عَبْدَانِ صَغِيرَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا صَغِيرٌ وَالْآخَرُ كَبِيرٌ وَهُمَا ذَوَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ أَوْ اشْتَرَاهُمَا فِي دَارِ الْإِسْلَامِ مِنْ صَاحِبِهِ الَّذِي دَخَلَ مَعَهُ بِأَمَانٍ فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ أَحَدَهُمَا فَلَا بَأْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَرِيَهُ ، وَلَوْ اشْتَرَاهُمَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ أَوْ ذِمِّيٍّ أَوْ حَرْبِيٍّ دَخَلَ بِأَمَانٍ مِنْ وِلَايَةٍ أُخْرَى لَا مِنْ وِلَايَتِهِ يُكْرَهُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَرِيَ أَحَدَهُمَا "

وجاء في كتاب "روضة الطالبين " [٤ / ٣٣] للنووي وهو من أمهات كتب المذهب الشافعي ما يدل على أنه إذا دخل كافر دار الإسلام بأمان أو ذمة كان ما معه من المال والأولاد في أمان، وعن صاحب الحاوي أنه إن قيل له: "لك الأمان" ثبت الأمان في ذريته وماله وإن قيل له فقط: "لك الأمان في نفسك" لم يثبت في الذرية والمال.

ويوجد عند الشافعية رؤى أكثر تحضراً من القانون الدولي المعاصر فقد ذهبوا إلى أن للكافر الذي له مال في بلاد المسلمين أن يدخل دار الإسلام من غير تجديد أمان لتحصيل ذلك المال والدخول له يؤمنه كالدخول لتوصيل رسالة، أو لسماع كلام الله تعالى ولكن ينبغي أن يعجل في تحصيل غرضه ولا يعرج على غيره وكذا لا يكرر العود لأخذ قطعة من المال في كل مرة فإن خالف تعرض للقتل والأسر.

بل وأكثر من ذلك فقد قالوا: إذا نبذ المستأمن العهد وجب تبليغه المأمن ولا يتعرض لما معه بلا خلاف، ولو خرج المستأمن إلى دار الحرب غير ناقض للعهد بل لرسالة أو تجارة ومات هناك فهو كموته في دار الإسلام. بل ويجوز لورثة من نال الأمان، وله مال في بلاد المسلمين، دخول بلاد الإسلام لطلب ذلك المال بغير أمان.

وهكذا، يتضح أن الفقه الإسلامي قد سبق الأعراف الدولية المعاصرة في تقنين الحصانة الدبلوماسية. وأن الإرهاب لا وجود له إلا داخل عقول الذين شابت نواصيهم وما زالو يتعاطون أحط أنواع الخمور الرديئة ليبدعوا.!! اسم الله ع الإبداع ومساء التنوييييييييييييييييييييييييييييييييييييييير!!!

==============================

دين دريم // !!

التأم مجلسنا اليومي على مقهى (السعادة) المجاور لمحل كوارع "العروبة" بجوار محطة السكك الحديدية، وقبل أن تدور أكواب الزنجبيل، نفخ بطيخ أفندي نفساً عميقاً وقال في حسرة بالغة:

"رضي الله عنك يا عمر بن عبد العزيز، فكم من الجرائم ترتكب استغلالاً لهذا اللقب الكريم الذي أراد به مؤرخوك وكتاب سيرتك العطرة أن يرفعوك به عن حمأة بعض أسلافك الأمويين، ويلحقوك بجدك الأعلى والأعدل عمر بن الخطاب، بعد انقضاء سنوات على انتهاء حكم الراشدين الأربعة رضي الله عنهم، وكأن صفة "الرشد" كانت في إجازة ثم عادت للحاكم المسلم بمجيئك، وسرعان ما عادت إلى غيابها الاضطراري بغيابك السريع .

ورحمك الله يا ابن عبد العزيز فإني لا أشك في أنك لو علمت ما سيلحق هذا اللقب من هوان بعد ذلك، ما ارتضيت أن يلتصق بك أو تلتصق به"

سأل الأستاذ موهوب مستنكراً في بلاهته المعهودة: هل ورد اسمه ضمن المحظورين يا شيخ بطيخ ولا إيه؟

لكز أبو الدهب موهوباً وقال: حبذا لو" نقطتنا" بسكوتك في هذا المنعطف التاريخي الذي تمر به أمتنا العربية الناهضة، بدل أن "تنقطنا" بأسئلتك الصاروخية.

ولكن موهوباً لم يمتثل وثار وفار و"تقل العيار" وأصر على معرفة سر تأوه بطيخ مصحوباً بذكر خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنه، فقال أبو الدهب موضحاً:

"بعد وفاتك بألف وأربعمئة وبضع عشرة سنة، حكم ولاية مصر حاكم صالح أعداءها الألداء، الذين قتلوا الأسرى، واستبقوا لأنفسهم قطعة عزيزة من جسم الوطن

اسمها "أم رشرش" غيروها إلى إيلات، ولم تدخل في المفاوضات ولكنها كانت في التصريحات العنترية "الشبرية" "الذرية" التي تنفي التنازل عن أي (شبر) أو عن أي (ذرة) من تراب الوطن!! ولكن أم رشرش أو أم الرشراش ليست شبراً ولا ذرة ولكنها جزء كبير وفي أخطر موقع يصل العدو بالبحر الأحمر.

هذا الحاكم وقف بين مجلس أنسه الموقر، فقال له أحدهم: "لو أن الأمر بيدي لرفعتك إلى مقام ألا تسأل عما تفعل [بضم التاء في أول الفعلين]!!

وقال له الثاني: "لو أن الأمر بيدي لبايعتك رئيسا مدى الحياة" – وكان ذلك بمناسبة تعديل مدد الرئاسة في الدستور-

وقال الثالث – وقيل إنه عديله- "أرجو أن يوافق الحضور الكرام وأن توافق يا سيدنا على منحكم لقب "سادس الخلفاء الراشدين"!! فابتسم الرجل مظهراً تواضعاً جماً لا يتقنه إلا ممثل بارع، وقال في تخشع لطيف: أنا أحذو حذو عمر!!، أو كما قال (الله يرحمه!!)

قال الرواة : وكان من أمره ما كان حتى جيء بشيخ ضرير عرف بسلاطة لسانه في خطبه ودروسه، ومعن السلاطة هنا – كما كانوا يفسرونها – هي الجرأة في الحق لا أكثر ولا أقل، وتذكير الكبار بما يحبون أن ينسوه وينساه الناس من سيئات أعمالهم. جيء بهذا الشيخ الضرير العاجز المسن المريض أمام محقق شاب فسأله كما يسأل كل متهم عن اسمه وسنه وعمله، فقال له: اسمي فلان وعمري كذا، قال فما صناعتك؟ فقال الشيخ ثائراً ساخراً: "طيار!!" فلما استنكر الشاب المحقق الجواب قال له الشيخ موبخا: يا أخي أأنت عديم النظر؟ "رجل أعمى وعلى رأسه عمامة ومقبوض عليه في مسجد... وتسأله عن صناعته؟!!! "

فقال المحقق: فما قولك فيما هو منسوب إليك من أنك تؤذي مشاعر العمدة حين تنكر صلته بعمر رضي الله عنه؟ فضحك الشيخ وقال: الحقيقة أن الفرق بينهما طفيف جداً ودقيق جداً ولعله خفي علي فأنا كما ترى رجل أعمى. فتهلل المحقق الشاب وقال: حسنا وضح لنا من فضلك هذا الفرق الدقيق الرقيق الذي يفرق بين الرجلين.

فقال الشيخ: أما عمر بن عبد العزيز فهو إمام عادل، وأما العمدة فهو عادل إمام.!!

فلما انتهى أبو الدهب من حديثه كان الأستاذ موهوب قد راح في نوم عميق وخرجت من أنفه أنغام شخير على لحن "المصريين أهمه"!!

وقد تذكرت هذا كله – يقول بطيخ - وأنا أتابع برنامجاً ما في قناة دريم //، فلما انتهى البرنامج وجدت نفسي أتابع إعلانا يقدمه مقدم برنامج "عم يتساءلون"(وهو برنامج جيد في عمومه) ولكن الإعلان دعا الناس إلى أن يسارعوا بالاتصال بأرقام معينة ليجيبوا سؤالا يؤهلهم للعمرة وهو: (من هو خامس الراشدين؟ هل هو عمر بن عبد العزيز أو أبو بكر الصديق أو عثمان بن عفان؟).

أرأيتم كيف يتم ابتزاز الناس في برنامج ديني؟ أرأيتم كيف يستحل السحت والمال الحرام في برنامج معني ببيان الحلال والحرام ؟ أرأيتم كيف تهيأ مناسك العمرة للناس عن طريق الاستقسام بالأزلام؟ وكيف يسكت علماء كبار يحاورهم هذا المذيع وهم يرونه يعلن أمامهم عن تلك المسابقة ذات الأسئلة (الصعبة!!!) لامتصاص أموالهم لتضاف إلى رصيد الحكومة ورجال الأعمال؟

لا يخفى على أحد أن وضع سؤال بهذه السذاجة لا يهدف إلا إلى استدراج أكثر السذج للاتصال طمعاً في أداء عمرة مردودة سلفاً.

وبعد البرنامج جاء إعلان في القناة نفسها عن برنامج ديني آخر، يظهر في فقرته الإعلانية (التترات) شيخ من الدكاترة اسمه محمد هداية وهو يقول: "من عرف اللّه...." يكسر الراء كسراً فاحشاً جلياً ممقوتاً بغيضاً.

فإذا كان فضيلته لا يحسن الرجوع إلى معاجم اللغة ليعرف ضبط الفعل ضبطاً صحيحاً، أفلا يحفظ من القرآن – وهو الداعية الشهير قوله تعالى:

(وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾)

(يوسف:٥٨)

فكيف ينطق مولانا كلمة (فعرفهم) ؟

إنني أريد من أهل الفتوى أن يجيبوا الناس عما عسى أن يسببه هذا المقال من (بلبلة). وأريد من أهل اللغة العربية - ومن ظرفائهم بنحو خاص - أن يقولوا لنا في وضوح إن كانت تلك الأسئلة تدخل في باب "النصب"

أم هي إلى باب "الفتح والرفع" أقرب ؟ أقصد فتح الجيوب وتفتيح المخوخ، ورفع الحرج عن عم فرج بتاع إسكندرية!!!

==

هكذا يكون التطوير يا قوم..!!!

كنت ذات يوم عضواً – لا مؤاخذة – في لجنة من لجان التطوير، وفي أول اجتماع حضرته وجدت أمام اللجنة كتباً علينا أن نراجعها، وما كدنا نهم بتصفحها حتى نُهينا عن ذلك، و دُعينا إلى تناول البسكويت والشاي. لمدة ساعة، فلما عدنا فتحنا الكتب مرة ثانية وما كدنا نهم بتصفحها، حتى دُعينا للاجتماع بمعالي الوزير الذي تحدث كثيراً عن أن "التعليم قضية أمن قومي" وأن التطوير شغل معاليه الشاغل ليل نهار، وقد بلغ من ولعه بالتطوير أنه جعله شرطاً من شروط صحة غشيان الزوج لزوجته، ولو أن الأمر بيده – كما قال – لجعله شرطاً من شروط دخول الحمامات، بحيث يحرم دخولها ما لم تكن متطورة.

فيما كانت عينا معاليه تدوران في محجريهما وتتقلبان تقلباً سريعاً وهو يلاحق أفكاره التطويرية بفروسية نادرة كنت منشغلاً بمتابعة حال سيدة أجلسوها أمام من يجاورني، لا أشك في أنها عملت تحت رئاسة النحاس باشا أواخر العشرينيات، فهي – باسم الله ما شاء الله!! – بيضاء الشعر مجعدته، مكرمشة الوجه مغضَّنته، محنية الظهر إلى حد الركوع الخاشع الشديد الخشوع!! وكنت أتابعها متسائلاً في قرارة نفسي: لماذا جاؤوا بها وما علاقة مثل هذه (الكائنات) بالتطوير؟ فلما أسررت بهواجسي هذه إلى جاري، ضغط على يدي في قسوة هامساً: "اسكت من فضلك. لا تعرضنا من البلاء لما لا نطيق. وسأنبئك بأخبارها بعد الاجتماع".

عدت إلى معاليه، وكان قد دعا أحد المحتكرين "للمداخلة!!" فتداخل المحتكر معلنا أنه سيقوم بتعيين كل حملة الثانوية العامة في شركاته فور حصولهم عليها برواتب "تندق" لها أعناق أساتذة الجامعات، بشرطين:

أولهما: أن تخلو الثانوية العامة التي سيحصلون عليها من دراسة اللغة العربية والتاريخ والجغرافية وأن يستبدل بهذه المقررات مقررات عصرية تتعلق بالحاسوب واستخداماته.

وثانيهما: أن يتم تدريس بقية المقررات باللغة الإنجليزية.

تهلل وجه صاحب المعالي، و"زقطط" و"انفشخ" فم معاليه عن ضحكة عرضها القاعة بأكملها، وأتبعها أتباعه وصبيانه بضحكات متقطّعة متعالية متقاطعة كهربت جو القاعة فهلل من هلل وصفّق من صفّق، ولمحنا وسط معاليه يتحرك يمنة ويسرة كأنه يرقص جالساً من شدة الطرب والانسجام من وجاهة ما قال المحتكر الشاذ.

عدنا إلى اجتماعات اللجنة في جلستها المسائية، وكلنا حماس للتطوير، وفتحنا الكتب وما كدنا نهم بتصفحها، حتى دُعينا إلى اجتماع مع مقرر اللجنة في قاعة مجاورة فسعينا إليه ولبّينا وجلسنا نستمع إلى "سعادته" يكرر حرفياً ما قاله معاليه ظهيرة اليوم دون زيادة أو نقصان، فلما انتهى صرفونا وبيد كل منا ظرف منتفخ به ألفان من الجنيهات. وطلبوا منا الحضور غداً عند العاشرة صباحاً.

فلما حضرنا تناولنا إفطارنا ثم عدنا إلى اجتماعات اللجنة في جلستها الصباحية وكلنا حماس للتطوير، وفتحنا الكتب وما كدنا نهم بتصفحها، حتى دُعينا إلى اجتماع مع مدير مكتب معاليه في قاعة مجاورة، فسعينا ولبّينا ولبثنا ساعة ونصف ساعة محبوسين حتى أطل علينا بـ(صلعته) البهية، فاتخذ مكانه على المنصة شاكراً لنا ما بذلناه من جهد طيلة الجلسات الثلاث الشاقة التي قضيناها أمس واليوم، وأكّد لنا أن معالي الوزير ممتنٌّ أشد الامتنان لنا فرداً فرداً، وأن معاليه متأثر غاية التأثر لأن ما سنحصل عليه – بعد قليل – من مكافآت لا يساوي شيئا بالقياس إلى ما أرهقونا به من عمل متصل

عنيف، وأقسم لنا مدير مكتب الوزير – بالطلاق – أنه ترك معاليه يبكي بالدموع في مكتبه من شدة تأثره مما بذلنا من جهود مضنية من أجل التطوير..!!

حانت مني التفاتة إلى مكتب معاليه المجاور للقاعة وأرهفت سمعي لعلي أسمع نحيب معاليه، فلم أسمع شيئاً ولكني رأيت فتاة صغيرة تخرج من مكتب معاليه تسوي شعرها بيديها، وتمسح وجناتها ووجهها شديد الاحمرار، فأشرت لجاري فلما نظر إليها امتقع وجهه بشدة وضغط على يدي في قسوة هامسا: "اسكت من فضلك. لا تعرضنا من البلاء لما لا نطيق. وسأنبئك بأخبارها بعد الاجتماع".

كان مدير المكتب ما يزال مسترسلاً في حكاياته، فيما كان مساعدوه يمرون علينا بين الصفوف يسلّمون كلاً منا تقريراً به ملامح خطة التطوير التي أقررناها في اجتماعاتنا وعلى كل منا أن يوقعها بيمناه، بينما يدس الموظف الذي يمسك بها في اليد اليسرى – على استحياء – ظرفاً به ألفان من الجنيهات.

وقعت وقبضت المبلغ وخرجت أنتظر جاري لينبئني ما لا أعلم عن السيدة العجوز وعن المحتكر الشاذ وعن الفتاة الخجول، فجاءني بعد طول انتظار وانطلقنا إلى مقهى السعادة لأعلم منه ما لم أكن أعلم..!!

وفيما هو يقص علي من أنباء ما قد سبق، شعرت بسخونة شديدة جداً في رأسي، سخونة تكاد تفتك برأسي، فانتفضت، فإذا أنا نائم في أحد اجتماعات التطوير!!

لسان همبكستان ..!!

عن مؤسسة دار المعالف في جمهورية همبكستان الشقيقة صدرت هذا الشهر الطبعة الأولى من أحدث معجم لغوي عربي معاصر، أسماه مؤلفوه (لسان همبكستان) على غرار أشهر معجم عربي وهو (لسان العرب)، وقد أتيح لي الإطلاع على هذه الطبعة خلال رحلتي الأخيرة، فقد تكرم صديق كريم هناك بإهدائي نسخة مجانية، ومنها أقتطف للقراء الباقة التالية ومن يرد نسخة كاملة من المعجم فعليه الدفع مقدماً وثمن الكتاب قرش صاغ واحد.

ثَلَّثَ:

بفتح الثاءين يعني: قسّم الشيء أثلاثا كالأضحية، والثلث بضم الثاء الأولى جزء الشيء ومنه (المثلث) وهو الرسم الهندسي – أو الجسم – ذو الأضلاع الثلاثة. أما ما كان يسمى (المثلث العاكس) فقد ابتدعته عقول تمرست بفنون الجباية أيام "أبو طولون" وكانوا يفرضون استعماله على كل دابة بثمن مبالغ فيه، ويزعمون أن في استعماله وقايةً من حوادث السير، ومن أمراض الصدر والبلغم، ووجع القلب، وكانوا يفرضون على صاحب كل دابة أن يشتريه من متعهد بعينة في وكالة تسمى "دوخيني يا لمونة". وزعم بعض من لا خلاق لهم من العوام أن تركيبه على الدابة يزيد من قوة الباه.

قال الأعشى :

فَرَضوا (المثلثَ) و(الحزامَ) ليجمعوا
مالَ الجميعِ، ويشبعَ التُّجَّارُ
مرَّرْتمو عيشَ البلادِ، وأنتمو
أصلُ البلادةِ، أيها الفُجَّارُ

طور:

الطور بفتح الطاء: المرحلة أو الدرجة، والطور بضم الطاء من نطق العامة الذين يخلطون بين التاء والطاء لاتحادهما في المخرج، فيقولون: الطراب..للتراب، والطور "للتور" وهو الثور لكنهم أبدلوا الثاء تاءً، وطوّر الوزير جامعاته أي رقاها وارتقى بها، أو حاول أن يجعل من يعملون فيها أطواراً (جمع طور!!) وطوّر الوزير مدارسه أي جعلها تعمل طوراً بعد طور بحيث تصبح كل المدارس ثلاث فترات في اليوم، لإنعاش الدروس الخصوصية ويقال إن بشار بن برد كان يعمل في برامج التطوير ليلاً، فجاءته امرأة جميلة نظيفة متطورة منتجة خضراء، ممن عُرفن بالجودة والاعتماد، وعمت سيرتها البلاد والعباد وقيل في بعض المراجع: إنها جاءت بشاراً ليلاً تبتغي عنده التطوير، فأبى وقال:

اخسئي يا مّرّة !!

واخرجي بربرة!!

إنني راجلٌ

أكره المسخرة!!

إن تطويرنا

كله فشخرة!!

النيلة:

نبات أسود اللون يستخدم في صبغ الملابس كان معروفا عند الفراعنة القدماء، أما الفراعنة الجدد فإنهم يستخدمون اللفظ استخداماً مجازياً، فيقولون لمن يريد أن يدخل كلية الشرطة أو الحربية من أبناء الغلابة (اتنيّل على عينك) بمعنى: كُف عن أحلام اليقظة، لأن الناس درجات عند ربهم، وتنيّل الرجل: أي سمع من زوجته ما يُستَقبح ذكره،

فخرج من بيته هائماً على وجهه حتى وصل طابور الخبز. والنيل: نهر شهير بأرض يقال لها مصر من بلاد أفريقية مما يلي جيبوتي، عُرف أهلها بحبهم لهذا النهر حباً جمًّا حتى قال فيهم أبو الطيب المتنبي:

مَنْ حَبَّ أرض النيل فهو مُتَيَّلٌ

ويعيش طولَ العُمْرِ وهو يعاني

ويصف العامة قسوة الحياة فيقولون (العيشة بقت نيلة): أي سوداء. ويقصدون بهذا التعبير أنهم لا يجدون مفراً ولا مهرباً من برنامج ٩٠ دقيقة وبرنامج البيت بيتك. ونال الرجل جائزته: أي تم تعيينه رئيسا لتحرير (تكية) قومية بعد ربع قرن من الرقص الشرقي المليح، وفي هذا يقول أبو نواس:

أبشر إذا ما كنت همّازا

وارقص إذا ما كنت لّمازا

فغدًا (تنال) رئاسةً كبرى

وتصير بين القوم ممتازا

ولنصير الدين الطوسي كتاب طريف اسمه (القول الجلي في سيرة محمد علي) راجعه الدكتور نصار بن عبد الله المصري السيوطي الشافعي وحلّل فيه مواقف من حياة محمد علي باشا في اليونان قبل (نواله) حكم الجمهورية المصرية وحصوله على الرضا السامي من السلطان العثمانلي.

تفانين:

الفنان هو الحمار في لسان العرب وليس الوزير كما هو في لسان أسافل الناس الذين يسيئون الظن بالرجل، والفعل: افتنَّ، وتفنَّن: أي اخترع أشكالا من النصب لم تكن

تخطر على بال الشيطان نفسه، كما فعل المغول بعد تدمير بغداد حين أجبروا كل طالب في الثانوية العامة أن يقتني خط محمول ليعرف نتيجته ويتقدم به للتنسيق، وكما فعل الصليبيون بعد اجتياح الشام حين فرضوا معرفة نتيجة الثانوية من خلال الهواتف الأرضية المنزلية وحدها وليس من خلال وصلات الـDSL وذلك التفنين – فيما يقول البلاذري وابن فلسان – مردُّه إلى شره هؤلاء إلى انتهاز كل فرصة لجمع أكبر قدر ممكن من قروش الجوعى والمرضى والهلكى والغرقى والهدمى من أهالي البلاد استغلالا لعواطف الأبوة فيهم للاطمئنان على أبنائهم.

وفي هذا يقول الفرزدق:

لحاهمو اللّه صغار النفوسْ

تفنَّنوا في جمع شتى المكوسْ

مدارسٌ خابتْ، فلم نستطع

إلا تعاطي ما يسمى (الدروسْ)

وإلى حلقة أخرى مع هذا المعجم النادر.

==============================

==================================

لغة – لا مؤاخذة – العلم !!

تتحكم في سادتنا وكبرائنا العرب – من المحيط إلى الخليج – عقدة يسمونها دائماً (عقدة الخواجة) عبَّر عنها ابن خلدون قديماً بعبارة عربية فصيحة تقول (إن المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب). والأسباب متعددة وكلها تدور حول معاني الإحساس بالدونية، والقهر، والضعف النفسي الناشئ عن هذا الإحساس.

وصور هذا الهوان في سياساتنا التعليمية واضحة وضوح ابتسامة أولمرت وهو يتأبط فخامة (الرئيس) محمود عباس. فمن هذه الصور الواضحة أن الجمل والهلال اتفقا وتعاقدا وتعاهدا وتواطأا على محاربة اللغة العربية لا لأنهما لا يجيدانها، ولا لأنهما يكرهان كل ما تذكّرهما به تلك اللغة، ولا لأنهما يؤمران فيطيعان، ولا لأنهما (رمزان) للسيطرة والقمع والتزييف والتضليل، يظهران في كل انتخاب، ولا لأنهما لا يُحبان العروبة وسيرتها. ما أظن ذلك كله من دوافعهما للحطّ من شأن لغة العرب، بل أغلب الظن أنهما اتفقا وتعاقدا وتعاهدا وتواطأا [أرجو ألا يصححها لي القراء بالمد هكذا: تواطآ] على محاربة اللغة العربية لأن داخل كل منهما ولعاً بتقليد من غلبهما من سادتهما الأنجلوسكسونيين الذين احتضنوهما سنين عددا وأغدقوا عليهما من الحرية والمال والوجاهة ما أهَّلهما لامتطاء كبريات المناصب في بلادهما المغلوبة المقهورة.

فالجامعات الهلالية تشترط على من يريدون الحصول على الدكتوراة منها أن يجتازوا امتحانا في لغة السادة الأنجلوسكسونيين يسمونه [التويفل] ولا يشترطون عليهم اجتياز امتحان مماثل في لغة آبائهم وأجدادهم، لأن آباءهم وأجدادهم وأعمامهم وأخوالهم وأبناءهم وإخوانهم وحفدتهم جميعا ماتوا حقيقةً أو هم ميتون حكما، أما السادة الأنجلوسكسونيون فأحياء يرزقون.

وامرؤ القيس قال (الحيّ أبقى من الميت)!! أفيصح أن نرعى لغة الأموات ونذر لغة الأحياء؟ والحاصل الآن أن كل جامعة من الجامعات الهلالية اتخذت لنفسها من هذا الامتحان مورد رزق متجدداً، يأتيه الطلاب وهم له كارهون، فيدفعون مئة جنيه أو مئتين أو ثلاث مئات توزَّع أثلاثا توزيع الأضحيات على ذوي الهيئات من القائمين على تلك المضحكات المبكيات.

وتشترك الجامعات في منح تلك الإجازات مع مركز الشرق الأوسط لتعليم الإنجليزية بالقاهرة [الأميد إيست]، ومع الجامعة الأمريكانية بالقاهرة، وأعجب العجب فيما رأى ابن رجب أن كل جامعة من الجامعات الهلالية لا تعترف بإجازة غيرها للطلاب، جامعات ست عشرة يحكمها قانون واحد في دولة واحدة يحكمها دستور واحد: يتنكر بعضها لبعض وتنكر كل منها شهادة (التويفل) التي تمنحها أختها الشقيقة!! وتقبل تلك التي تمنحها أختها من الرضاعة!! فكل منها تقبل – صاغرةً – شهادة (التويفل) التي تمنحها الجامعة الأمريكانية بالقاهرة أو تلك التي يحصل عليها الطلاب من [الأميد إيست]، وترفض (بإباءٍ عربيٍّ وشممٍ أُمويّ) ما تمنحه جامعة مصرية أخرى ربما كانت أعرق منها وأقدم.!!

ثم ما بال الجامعات الهلالية تتشدد في لغة القوم وتشترط إتقانها على كل خريجيها سواء أكان لتخصصاتهم صلة بتلك اللغة أم لم يكن؟ وما بالها لا تعامل الأسبانية والألمانية والفرنسية والروسية نفس المعاملة؟ بل ما بالها لا تشترط إتقان العربية وقانونها ينص نصاً صريحاً على أن العربية هي لغة البحث ولغة التدريس؟

هل هناك سبب آخر غير الدونية حين تسكن النفوس؟ و هل هناك سبب آخر غير الصَّغار حين يغشى الأرواح؟ و هل هناك سبب آخر غير الشعور بالضعة والهوان والتقزم حين يركب القلوب الضعيفة الهشة الخائرة ركوباً لا رحمة فيه؟

وما أضيعها أمةً تلك التي يتحكم في تسييس تعليمها وتسيير علمائها نفرٌ ضِعافٌ جهلة زائغة أبصارهم، عليلة بصائرهم، لا يجدون في ثقافتهم ولا في أنفسهم عزةً، ولا يعرفون في حياتهم غير الخنوع والخضوع ومدّ الأيدي الجائعة المرتعشة إلى المال الحرام يعلّمون به أولادهم في بلاد الحضارة والنور!!! ويمتّعون به حلائلهم في الأندية الوطنية وخلائلهم في الرحلات الخارجية!!

فإذا تركنا العِزَب الهلالية إلى العِزَب الجملية، وجدناها تتباهى بأنها تعلّم الناس الرياضيات والعلوم باللغة الانجليزية، وتنسى أن إسرائيل تعلِّم هذين العِلْمين باللغة العبرية التي لا تبلغ مفرداتها ثلث المليون من الكلمات [فيما تبلغ مفردات العربية ما يزيد على أربعة ملايين] والتي كانت في سبيلها للاندثار لولا قيام الكيان الصهيوني قبل ستين عاماً فأحياها من جديد، والكيان الصهيوني شديد الاعتداد بلغته، فبها – وحدها – يكتبون أدب الأطفال ويمنعون ترجمته لغيرها، حتى لا تنكشف القيم العدوانية التي يعوِّلون على هذا الأدب في غرسها في نفوس الناشئة، وبها وحدها يعِّلمون الرياضيات والعلوم. وبها

وصلوا إلى إطلاق ثلاثة أقمار صناعية (ونحن من نصف قرن نغني: "يا أمه القمر- الصناعي - ع الباب!!")

وبها وصلوا إلى إنتاج مئتي رأس نووي أو تزيد. ونحن الذين نتفاخر باستخدام الإنجليزية لأنها – اسم الله على مقام معاليه!!- [....لغة العلم !!!] مازلنا لا نعرف الفرق بين رؤوس الفجل ورؤوس القلقاس لماذا ضمرت هذه وانتفخت تلك؟

والدانمرك – ذات الملايين الخمسة – لا يتكلم لغتها إلا أهلها ومع ذلك فهي لا تدرك ما أدركه سادتنا من أن الإنجليزية هي لغة العلم، وتصر بتخلفها وجهلها وغبائها على تعليم الرياضيات والعلوم بالدانمركية التي لا يتكلمها إلا سكانها. وهذا هو الحال نفسه في النرويج ذات الملايين الثلاثة وتصر بتخلفها وجهلها وغبائها على تعليم الرياضيات والعلوم بالنرويجية التي لا يتكلمها إلا سكانها، وهذا هو الحال نفسه في كوريا التي تصر بتخلفها وجهلها وغبائها على تعليم الرياضيات والعلوم بالكورية التي لا يتكلمها إلا سكانها، وكلها [في نظر الواقع المصري] بلاد متخلفة نووية (نسبة لنوى البلح الأمهات!!) وليست في مكانة وعبقرية وتقدم مصر!!

والمؤسف أن الرمزين يتباريان الآن في التنكر للقانون الذي يحكمهما، لأنه قانون غبيٌّ ينص نصاً صريحاً على أن العربية هي لغة البحث ولغة التدريس؟ ولو كان واضعو هذا القانون أوتوا نصيباً من الحكمة الهلالية أو أوتوا نصيباً من الفطنة الجملية لنصُّوا في القانون على أن العربية هي لغة العلم وليس لغة البحث والتدريس كما جاء بالقانون، فلما غفل واضعو ذلك القانون عن (العلم) قيّض الله تعالى للأمة على الرأس (النووي) للقرن العشرين مَن يجدّد لها أمر تعليمها العام ولو كان جَمَلا، و مَن يجدّد لها أمر تعليمها العالي ولو كان هلالاً. وشاءت إرادته – سبحانه – أن يلتقي الرمزان في عصر الحكومة الدّكية

النظيفة التي لا تعترف بغير (العلم) طريقاً للتقدم والتي ترى في إسرائيل والدانمرك والنرويج وكوريا بلاداً متخلفة متعصبة للغاتها غير الإنجليزية!!

ورحم الله أيام أن كنا في المكتب أوائل القرن التاسع عشر وكان لنا زميل اسمه الشيخ الزعبلاوي كان يقلقه امتحان اللغة الإنجليزية فيفزع من نومه قلقاً أرِقاً ليستذكر دروسه ويترنم بما نظمه من كلمات تلك اللغة كقوله:

القطُّ كاتٌ cat، والفأر راتٌ rat

والنهر يُدعى – هناك – رِفَرُ river

إثباتُ شيئٍ يقال: ولٌّ will

ونفيُ شيئٍ يقال: نِفَرُ never

فـ(طظ) فيكم، و(طظ) فينا

و(طظ) فيهم إذا استمروا ..!!

ثم ما يلبث أن تتلبسه العفرتة كلما خانته الذاكرة، ويصرخ في الهواء بملء صوته:

يا إنجليزي يا ابن الحافي

صحّيتني من تحت لحافي

على (جود مورننج) good morning: صباح الخير؟

و(جود افترنون) good after noon يعني: عوافي؟

مما تجهله الخفافيش..!!

قرأت لغلام يدعى مجدي خليل - من زعماء من يسمون أنفسه أقباط المهجر - على موقع "إيلاف" السعودي كلاماً على صورة المقال عنوانه "وهم الديموقراطية الإسلامية" يوم السبت ٢٠٠٧/٧/٧ وكان هذا الغلام قد نشر بعضاً من هذا الخرف في "المصريون" بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٥ تحت عنوان (من أسلمة الحداثة...) تهجم فيه ببجاحة فاجرة على الإسلام وعلى المملكة العربية السعودية.

ولست - ولم أكن - ممن يهدرون وقتهم في قراءة ما تجود به تلك الوطاويط من سوانح أفكارها المريضة، لولا أن نبهني إلى ما نشر في (إيلاف) الأخ الأكبر العلامة الدكتور محمود محمد سفر وزير الحج السابق في رسالة على بريدي الالكتروني الخاص مشكوراً فلما قرأته تذكرت المثل العربي القديم (شِنشِنة أعرفها من أخزم) فهؤلاء الأغيلمة أمثال مجدي خليل ومايكل منير وغيرهما لم يعرف الناس لهم اسماً ولا فعلاً ولا صفة ولا حالاً ولا تاريخاً إلا من بعد سقوط بغداد الثاني ربيع 2003 وتبجح الخارجية الأمريكية وإعلانها على لسان "كولن باول" خططاً لتغيير تركيبة المنطقة العربية جغرافياً وتغيير مناهجها إعلاماً وتعليماً، فظهرت تلك الفقاقيع كالطفح العفن على جلد بعض الصحف والفضائيات العربية مستترة العِمالة وراحت تبوح وتنوح، وتملأ الفضاء صياحاً ونباحاً ونياحاً على ما أسمته (اضطهاد الأقباط) تارة، وما أسمته (الإرهاب الإسلامي) تارة أخرى.

وأي متابع لما تتقيأ تلك الوطاويط تأخذه الشفقة بهم حتى لو كان قلبه من الحجارة أو أشد قسوة، فهؤلاء يجتهدون في أداء ما كلفوه من مهام اجتهاداً متصلاً،

ويصبرون على مواجهة من يندفع إلى مواجهتهم صبراً طويلا حتى ينظر سادتهم في الكونجرس والبنتاجون والخارجية فيجزلون لهم الكيل لقاء ما ناضلوا ونافحوا وجادلوا بالتي هي أسخف.

وهناك - إلى جانب الشفقة - فرصة لابتسامة قد تضيق وقد تتسع، وقد توأد وليدة وقد تنمو حتى تصبح ضحكة فاقعة، وذلك حين ترى أحد أولئك الأغيلمة وقد اصطنع الوقار العلمي، وتزيا بجهامة الأكاديمية الباردة، واتخذ سمت العلماء الجامد، وراح ينفث الحجة تلو الحجة ليدل قارئه (الغلباااااااااااان) على حقيقة الدين الإسلامي المجني عليه من السلفية والإخوان والوهابية والجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ وأنصار السنة والأزهر والشريف للبلاستيك ومنظمة "مفتون - "بضم الميم - بلا حدود و.. و... الخ.

وكأن العناية الإلهية اختارت هؤلاء وشيوخهم أمثال مراد وهبة للذب عن الإسلام!!!!...

لا مسلم يستطيع أن يجادل في أن الإسلام أضير بالفعل من بعض التيارات والجماعات التي تنسب إليه، لكن تحقيق مناط الضرر وصورته وسبل مواجهته هي بلا شك شأن إسلامي خاص، لا يحق لغير مسلم مطلقا أن يحشر نفسه فيه، وإلا فسينفتح باب كبير من أبواب الفتن لو تفرغ صبية مسلمون للتنقيب على ما في الأناجيل من تناقض، ولكشف ما يتم في الغرب من ممارسات ضد الحرية وضد حقوق الإنسان اللذين يتشدق بهما أولئك الأغيلمة.

لو تربص فريق من هنا وفريق من هناك وركبوا موجة تصيد الأخطاء، وتتبع الهفوات، وإبراز نقاط الاختلاف لاستعرت حرب عالمية لا تبقي ولا تذر، فهل هذا ما يريده هؤلاء الصبية؟

وما أريد أن أعمم القول ولا أن أشق على الخفافيش لكني سأضرب مثالا وأسأل سؤالا. أما المثال فهو (الاقتصاد الإسلامي) وهو ليس مجال تخصصي، ولكنني أختاره لأن (الاقتصاد) هو الإله الجديد الذي يعبده الغرب وأذنابه من دون الله. فالفتى فيما نشر في (إيلاف) ينكر أشد الإنكار ما يسمى بالاقتصاد الإسلامي أو الإعلام الإسلامي ...الخ

ولعله يتفق معي في أن هناك مدرستين معروفتين في الاقتصاد هما: الرأسمالية والشيوعية.

أما الرأسمالية التي تسود الغرب فهي - كما لابد أن يعلم الغلام - تقوم على غل يد الدولة عن النشاط الاقتصادي، حتى تنطلق طاقات الأفراد فتحقق الرفاهية وتكتفي الدولة بالحفاظ على الأمن، وقد أصبح واقع التطبيق في أمريكا - أم الرأسمالية - يشير إلى انقسام المجتمع إلى طبقة كبار الأغنياء غنى فاحشاً، وطبقة الجياع الذين لا يجدون قوت يومهم مما أدى لانتشار الجريمة، وتفشي القتل والاتجار بالأجساد: زناً أو لواطاً أو بيع أعضاء، وظهرت الشركات الاحتكارية التي قمعت روح المنافسة الشريفة، وأدت سيادة المصلحة الخاصة إلى ظهور أنشطة وصناعات غير أخلاقية أضرت بالبيئة اجتماعيا وإيكولوجيا، ونظراً لتفشي الجرائم والفساد الاجتماعي لم تعد سجون بريطانيا (العظمى!!) تتحمل أعداد المطلوب سجنهم، هذا على الصعيد الاجتماعي.

وعلى الصعيد الاقتصادي نفسه لم تعد الرأسمالية الغربية - منزوعة الأخلاق - قادرة على منافسة اليابان وتايوان وسنغافورة وماليزيا بل وحتى كوريا الجنوبية فمنتجات تلك الدول وتغلغلها في الغرب قتل الإبداع الغربي (وهو بالأساس قائم على عقول مهاجرة من العالم الثالث) فانتشرت الاحتكارات والتضخم والبطالة.

والاقتصاد الشيوعي لم يكن أفضل من الرأسمالي، فقد بلغ النمو الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي ١٠ بالمائة في الخمسينيات تناقص إلى ٧ بالمائة في الستينيات ثم إلى ٥ في السبعينيات وبلغ الحضيض (٢٪) في الثمانينيات بسبب تدخل الدولة في كل شيء وهبوط الدافعية للإنتاج لدى عمال القطاع العام وإتباع سياسة تجميد الأسعار.

أما ما يسمى (واخد بالك ياله؟ !!) بالاقتصاد الإسلامي فهو يقوم على ثلاثة أسس: الأخذ بالملكية المزدوجة (العامة والخاصة).

ضمان الحرية الاقتصادية في ظل ضوابط شرعية وأخلاقية وإستراتيجية.

١- تحقيق عدالة توزيع الموارد.

وحين ننظر في تطبيق نموذج للاقتصاد الإسلامي على المستوى الفردي فسنلمس انعدام الغش في البيع والشراء وحتى في الإعلان عن السلع المنتجة، لأن هناك ضوابط أخلاقية /شرعية للسلوك الاقتصادي للمسلم.

وشيء كثير يمكن أن يقال لأولئك الأغيلمة عن كل العلوم التي يراد أسلمتها، لكنني لا أريد أن أنزلق إلى جدل مع غلمان يخورون خواراً لا يبتغون من ورائه حواراً، ولا يتوخون منه الوصول إلى وجه الحق، وإنما يرضون - بما يتقيأون من سطور - إرضاء سادتهم الذين منوا عليهم بالجنسية فاستنقذوهم من معيشة آبائهم التي أعرفها ويعرفونها وكفلوا لهم رغد العيش وفرص الظهور.

وأما السؤال الذي أريد أن أسأله لأولئك الأغيلمة: هل أنتم جاهزون للدفاع عن ممارسات سادتكم؟ وعن عقائدهم؟ وسؤال آخر لكل دارس للفلسفة في العالم العربي: هل قرأت (شيئاً) في الفلسفة لأستاذ الفلسفة مراد وهبة تضارع إبداعات زكي نجيب

محمود ويحيى هويدي وتوفيق الطويل وعبد الرحمن بدوي؟ أم أنك - مثلي - لم تقرأ لهذا الشيخ الفاني الذي ناهز التسعين سوى الهجوم (طوال عمره) على الإسلام والمسلمين؟

ورحم الله شاعرنا القديم الذي قال:

هل يضر البحر – أمسى زاخراً - أن رمى فيه غلام بحجر؟؟

======================================

الأكاديميون واللات والعزى والعم سام !!!

[ملحوظة مبدئية :الحديث في السطور القادمة عن (بعض) وليس عن (كل) العائدين من الولايات المتحدة. فليتنبه لأنني لم أعمم.]

****

قال تعالى :(وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ) [يونس /١٠٦]

قال المفسرون إن هذه الآية نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان، قاله الحسن، ومجاهد وعامر الشعبي وأكثر المفسرين. وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وقيل: نزلت في المنافقين، المعنى: "وما يؤمن أكثرهم بالله" أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه؛ ذكره الماوردي عن الحسن أيضاً، قال القرطبي: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونرى في هذه الأيام طوائف من الأكاديميين العرب، شاءت لهم أقدارهم أن يتلقوا العلم في البلدان الأمريكية، فهالهم ما رأوا فيها من حرية علمية، ودعم مالي مفتوح وتسهيلات جامعية في الخدمات البحثية، كما انبهروا بما عايشوا من يسر في المعاملات خارج أسوار الجامعات، فوسائل الاتصالات ميسورة، ووسائل النقل منضبطة ومتاحة، وحرية التعبير مكفولة بلا حدود ولا قيود.

كل ذلك جعل هؤلاء النفر الخارجين من بلاد القهر والتزييف والكذب العلني اليومي في الإعلام وعلى ألسنة المسؤولين، بين نارين: نار التضحية بالوطن، والتنعم بما في

بلاد العم سام من نعيم ونعم، ونار العودة إلى جحيم الكذب والتزوير وخنق الحريات والتضييق على الجامعات، وتدني الأجور، وانعدام التقدير الاجتماعي، مقابل الإفراط في هذا التقدير للفنانين ولاعبي الكرة، والراقصين والراقصات.!!

أما من اختاروا البقاء في نعيم الغرب، فلم ينجوا من تأنيب الضمير الكامن، فهم يطلون علينا من على الشاشات بوجوه شاحبة، وأفكار مهتزة، وعقول مضطربة، تنظر إلى عيونهم فتراها تدور في محاجرها كأنها في سباق محموم مع كلماتهم المعجونة بالكذب والتزين الفج الذي يشبه ما يكون على وجه القرويات الريفيات الساذجات حين يستعملن الماكياج لأول مرة!! وهن في طريقهن للبندر لأول مرة أيضا.

ويصطنع هؤلاء الرافلون في نعيم العم سام الحكمة حين يتحدثون بأطراف أنوفهم ناصحين الأمة العربية أن تثور وتفور وتغير أثواب التخلف والعبودية وتركض لتلحق بهم في جنات تجري من تحتها خطوط مترو الأنفاق.!!

وأما الذين عادوا واختاروا العمل في أوطانهم فهم أشد حيرة واضطرابا، فمنهم من يحدثك عما كان تركه من جنات وعيون، وزروع ومقام أمين، وتكنولوجيا كان فيها من المتمتعين، وهاهو ذا قد عاد فلم يأنس من القوم تقديرا لما قام به من تضحية، ولم يجد في جامعته وكليته وقسمه العلمي ما كان يحلم به من رعاية واهتمام .

على أنك تعاني الأمرين إذا قدر لك أن تحاور أيا من الفريقين، فكلاهما لا يرى فيما تقول إلا تخلفاً وجهلاً، ولا يرى في البحث العلمي في الجامعات العربية إلا تدنياً وانحطاطاً فإن حدثته عن بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا، وكان لك ببحوثها ودورياتها معرفة واتصال أطرق إطراقة العجز عن الحوار، وسكت سكوت المرأة التي خرجت تطلب ثأر أبيها فرجعت حبلى!! وذلك لأنه لا يستطيع أن يقول في تلك الدول الثلاث ما يسوغ له

أن يقوله في بلاد العرب، ولا يحب أن يعترف أن تلك الدول الثلاث أعرق من جنته المزعومة، وأشد التزاما بالمبادئ والأخلاقيات الإنسانية الرفيعة، وأرق نفوساً وقلوباً وأنظف عقولاً من سادته.

ولو أنك سبرت ما في عقول أولئك المنبهرين من علم حقيقي، لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً، فالقوم على ما يتظاهرون به من تعال وغطرسة، وعلى ما في عباراتهم من تأفف وحذلقة، وعلى ما في حركات أيديهم من رعشة وعصبية، لا طاقة لهم بحوار، ولا قدرة لهم على طويل نقاش، ولا دربة لديهم على المحاجة، ومدافعة الرأي بالرأي، ذلك أنهم ليسوا على شيء البتة، فغاية ما تعلموه هو تسفيه غير الموالين لهم، والتشدق بما لديهم من مظاهر االتقنيات الحديثة، وبعض آليات البحث المكنة، ولو جردت أحدهم من جهازه المحمول لألقى إليك السلم توا، ولآثر أن ينسحب من أي حوار، لأن الرؤوس فارغة، والعقول الالكترونية حلت محل العقول البشرية إلى أجل غير مسمى.!!

وعبدة العم سام يتخلقون بأخلاقه، فلا يعرفون إلا لغة المكسب والخسارة، ويعبدون المال عبادة العابد المتيم بمعبوده، وتفوح البراجماتية من سلوكياتهم وأحاديثهم فتغطي كل ما يقولون وما يفعلون، وتلون كل ما يكتبون وما يرسمون، والبراجماتية النفعية الوصولية الانتهازية هي عندهم أم الفلسفات، وغاية الغايات، والحق المبين الذي لا يدانيه حق والمنطق الصائب الذي لا يعتوره شك، ولا يلحقه اعوجاج، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا من يمينه ولا من شماله.

ولسائل أن يسأل: فيم يختلف عبدة العم سام، الطوافون ليل نهار حول بيته الأبيض عن أسلافهم من عبدة اللات والعزى ومناة الثالثة، ويغوث ويعوق ونسر؟

نعم . هناك خلاف فبعض عبدة العم سام يشهدون ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولكن شهادتهم هذه ليست من الشهادات المعتمدة من جامعات العم سام، لذلك فهم يخافتون بها، ويتعاملون معها على أنها نوع من "الفولكلور" لأن النافع والضار والمعطي والمانع والمبدئ والمعيد والقوي والقادر – في نظرهم المنهجي الأكاديمي!!!- هو العم سام وحده لا شريك له.

فهم، وإن حملوا أسماء إسلامية أو مسيحية، منبتو الصلة بما سافروا به من عقيدة ومنبتوا الإيمان بما ينطقون به من شهادات، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

==========================

جلسة " في السليم " !!!

اجتمع على قهوة المعلم "حنفي شكل" [وهي تقع غربي محطة أسيوط الشرقية بمسافة ألف و ثلاثمائة وتسعة وثمانين متراً وثمانية عشر سنتيمتراً و أربعة ملليمترات وثمن المللميتر بالضبط!] مجموعة من كبار المثقفين الحشاشين القدامى، الذين يندر أن يتجمعوا معاً بمثل هذا الترتيب، إلا في الملمات القومية الكبرى، كالسيول والزلازل، وانتخابات البرلمان الاستفتائية، والاستفتاءات الانتخابية غير المتبرلمة، واحتراق القطارات بفعل بوابير الجاز، وغرق العبارات منتهية الصلاحية، بسبب جهل ركابها، وكان موضوع الحوار شائكاً ولكنه شائق، وكان المتحاورون ضيقي الصدور بالحوار ولكنهم متحمسون له، فقد نشرت الصحف ضحى ذلك اليوم، أن الحكومة تيسر بكل السبل الترخيص لمقاهي الانترنت ما وسعها التيسير، لأنها تريد للشباب العاطل أن ينهل من "المعلومات" حتى يكتظ.!!

قال برعي لصاحبه مرعي وهو يحاوره:

ابتسمت الأقدار للأمة العربية بعد طول عبوس، واستطاع الإنسان العربي أن يتخلص من الخيل والبغال والحمير، ويستبدل بها أفخم السيارات، وأحدث الطيارات وارتفعت القصور والعمارات والأبراج.. وأصبح الناظر إلى سماء أي أرض عربية وأجوائها لا يعرف إن كانت هذه مدينة أسيوط أم مدينة بكين، هل هي جبال تهامة أم فراديس تكساس.

ولكن التطور الأهم والأخطر في حياة الإنسان العربي، ليس هو التطاول في البنيان، ولا التسابق بالترحال، ولا التنافس في التملك، ولا التفاخر بأحدث السيارات. وإنما هو في

رأيي [رأي برعي] هذا السباق المجنون المحموم نحو العولمة ممثلة فيما يسمى بـ"تكنولوجيا المعلومات"، فقد هرع الإنسان العربي إلى المعلومات عبر شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، وسرعان ما انتشرت مقاهي الإنترنت في ربوع الوطن العربي الكبير من "المحيط الهادر إلى الخليج الثائر" – كما كانت تقول الأغنية القومية القديمة- وانغمس فيها الشباب العربي بهمة لا تكل، وعزيمة لا تمل، وحماس لا يفتر، وتنبسط أساريرك حين تمر على شارع من تلك الشوارع المتاخمة للتجمعات الطلابية أو الجامعات والمعاهد، فترى تلك الشوارع مكتظة بالشباب الذي ينتظر دوره في دخول الإنترنت، فإذا قدِّر لك أن تلج مقهى من تلك المقاهي، ازداد سرورك ونضح بالبِشرِ وجهك، وانشرح صدرك، وأنت ترى شباب الأمة منكباً على أجهزة الحاسوب مقبلاً عليها بكل كيانه، لا يكاد يحس بما يدور حوله، فتأخذك الفرحة التي لا حدود لها وتسرح نفسك في غدٍ أجمل ستصنعه سواعد أولئك الرجال الذين مهرت أيديهم وعقولهم فيما مهر فيه الغربيون الذين سبقونا بالإيمان بهذه التكنولوجيا.

قال مرعي مشمئزاً ضيق الصدر:

- لشد ما أسهبت في الوصف يا صديقي، ولشد ما أسرفت في الأمل وأخشى أن أجابهك بالحقيقة فيضيق صدرك ولا ينطلق لسانك بعدها، وتصاب بالصدمة أو ما يشبه الصدمة!!
- ماذا تقول؟.. ألم تر إلى هؤلاء الشباب منكبين على أجهزتهم وعيونهم وآذانهم مشدودة إلى الأجهزة لا يكادون يبدون حراكاً، أليسوا منغمسين في "المعلومات" المهمة [يتكلجونها] ويعربونها ويطورونها حتى يمنحوها الجنسية العربية؟!
- قال برعي وهو يصطنع ابتسامة حسيرة:

- ليت الأمر كما تظن أيها المتفائل الغر الأبله الحسن الظن؟!
- قال مرعي بفتور: ويحك؟ ما تقول؟
- قال مرعي وكلماته تتخطى ابتسامة حيرى: فإن هؤلاء الشباب لا يعرفون شيئاً عن العلم ولا عن المعلومات، إلا ما يتصل بتشغيل تلك الأجهزة أو صيانتها إذا ما أصابها العطل والخراب. أما ما تحويه شبكة المعلومات الدولية من معلومات حقيقية، وعلوم حديثة، وتطورات تكنولوجية، فكل ذلك بعيد عن أذهانهم خارج عن اهتمامهم، ولا يطوف حتى بخيالاتهم.
- قال برعي مستغرباً:

ففيم إذن كل هذا الانهماك؟ وعلام كل هذا الانكباب؟ ولم تراهم في تلك الحالة من الذهول والاندماج؟ إنني كدت أشك – من فرط ما أرى من انهماكهم – في أنها حرب عوان بيننا وبين الغرب، وأنهم يجاهدون حق الجهاد.

قال مرعي وقد أخذت العبرة بمجامع صوته فتهدج:

لقد شطح بك الخيال يا صاحبي فما أولئك الشباب من "**المتنكلجين**" ولا من المجاهدين في العلوم، بل هم **متعجرمون متهيفون**!!

قال برعي منكراً على صاحبه لغته تلك الغريبة: ما لي أراك قد لعبت بلسانك العجمة؟ ما معنى التعجرم والتهيف يا ابن أخي؟

قال : إنهم يتابعون "كليبات" نانسي عجرم وهيفاء وهبي!! وهما من صواحب الفكر الجديد الوليد السعيد.!!

قال مرعي متوجساً: أمسك عليك لسانك يا صاح، فإن لكل زمن رجاله، ولكل تكنولوجيا معلومات مسالكها، وقديماً قال سيدنا امرؤ القيس "مفيش فايدة"!!!

ما هذه "الذكاوة؟" الفائقة ؟

منذ دأب الإعلام على وصف حكومتنا بأنها حكومة "ذكية"، تسكن في قرية رومانسية أسموها القرية "الذكية"، وبرعي ابن خالتي متشائم جداً جداً لأن وعيه تفتح مبكراً على مقولة لرمسيس أفندي كاتب المجلس كان يرددها على المقهى كما لو كانت من تراث آبائه وملكه الشخصي، إذ كان دائماً يردد [إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده]، وعلى الرغم من أن برعي ابن خالتي لا يعرف القراءة والكتابة، وتعلم – على كَبَر – كيف يوقّع قراراً من حمل(ختم) ثقيل، فإنه يمارس السياسة، ويتعاطى الثقافة، وأحيانا يرتكب الإفتاء في الشؤون العامة، فيبدو كما لو كان متعلماً، وبخاصة أنه – أحياناً – يتقمص شخصيات معروفة مثل مصطفى الفقي، وحسن صقر، ومحمد على إبراهيم، وسعد الحريري، كانت جلستنا الأسبوعية على مقهى السعادة مخصصة هذا الأسبوع لمناقشة تقرير لجنة تقصي حقائق ألّفناها من يوم صدور قرار العلاوة لبحث الآثار الجانبية للعلاوة على رواد المقهى، وفيما نحن نهمّ بالاستماع لتقرير اللجنة الذي سيلقيه الأستاذ عبد الرحمن على مسامعنا قبل أن يلقيه في الترعة المجاورة، فاجأنا برعي – وفي يده عدد جريدة « المصري اليوم » الصادر يوم ٢٢/٥/٢٠٠٨ بأنه – أي برعي – يرى أن الحكومة في خطر!!

لماذا يا عم برعي؟

فنظر إلينا في استغراب ودهشة كما لو كنا قطيعاً من أغنامه، وقال: اقرأوا المنشور اليوم يا أفندية آخر زمن.!! قرأ بطيخ المنشور: [علمت « المصري اليوم » أن الحكومة تدرس توزيع الخبز علي البطاقات التموينية عقب إصدار بطاقات جديدة للمواطنين، الذين لا يمتلكون بطاقات في المرحلة الحالية.

أكدت مصادر مطلعة أنه ستتم إضافة خانة جديدة في البطاقة يطلق عليها «الخبز»، تسجل بها الكوبونات التي يحصل عليها المواطنون من تاجر التموين شهريا، والتي سيتم توزيعها طبقًا لعدد الأفراد المسجلين بالبطاقة. وقالت المصادر إن المطابع الأميرية هي الجهة المعنية بطبع الكوبونات حتى يصعب تزويرها أو تعديلها، وسيكون مدوناً بها اليوم والشهر والسنة، ولا يجوز صرفها إلا في الأيام المحددة لها. وأكدت المصادر أن الكوبونات سيتم تحصيلها من أصحاب المخابز، علي أن تعتمدها الإدارات التموينية ومديريات التموين في المحافظات لمراجعة إنتاج المخابز للخبز. وأضافت المصادر أن نصيب الفرد من رغيف الخبز ٣ أرغفة يومياً.!!

وقالت المصادر إن هناك اتجاهاً من جانب الحكومة لإلغاء دعم الدقيق لأصحاب المخابز، علي أن يحصلوا عليه بسعر السوق، مشيرة إلي أن الحكومة سوف تسدد لأصحاب المخابز تكلفة ما بعد إنتاج رغيف فئة ٥ قروش، وتحصل كوبونات بيع الخبز.]

انتهت القراءة فانتفض برعي صارخاً مولولاً: يا عااااااااااااالم: [إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده] ارحمونا من هذه الذكاوة، الشعب المصري شعب بسيط، متواضع، حياته من آلاف السنين أساسها المحبة والألفة والتلاحم والتراحم، وفوق هذا كله وقبل هذا كله: البساطة، أي مصري – مثقفاً كان أو غير مثقف – حين يطلب الطعام عبر عنه بكلمة واحدة بسيطة [لقمة]، وهؤلاء السادة حوّلوا حياة الناس إلى جحيم، بتغاضيهم عن السبب الحقيقي لأزمة الغذاء، وهو فشل سياستهم الزراعية والصناعية والتسويقية، وأخذوا يغرقون الناس في تفاصيل صغيرة كأن الشعب فيران تجارب يلهون بها. بحق دين النبي – صرخ موهوب أفندي – أريد من أعرق حشاش في العالم أن يفهمني كيف تتحول (لقمة) العيش إلى اثني عشر إجراءً معقداً:

- ١- إصدار بطاقات جديدة للمواطنين.

- ٢- إضافة خانة جديدة في البطاقة يطلق عليها «الخبز».

- ٣- كوبونات يحصل عليها المواطنون من تاجر التموين شهرياً.

- ٤ - يتم توزيعها طبقاً لعدد الأفراد المسجلين بالبطاقة.

- ٥ - المطابع الأميرية هي الجهة المعنية بطبع الكوبونات.

- ٦ - حتى يصعب تزويرها أو تعديلها.

- ٧ - يكون مدوناً بها اليوم والشهر والسنة.

- ٨ - لا يجوز صرفها إلا في الأيام المحددة لها.

- ٩ - الكوبونات سيتم تحصيلها من أصحاب المخابز.

- ١٠- علي أن تعتمدها الإدارات التموينية ومديريات التموين في المحافظات.

- ١١- نصيب الفرد من رغيف الخبز ٣ أرغفة.

- ١٢- نظام الكوبونات سيقضي علي بيع الدقيق وطوابير الخبز.

ما هذه (الذكاوة)؟ ما هذه القسوة؟ ما هذا الإذلال؟ تصايح مستمعو ما نشر بالجريدة قائلين:

- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة لأب يزور بيت ابنته المتزوجة بعيداً عن منطقة سكنه؟

- الحكومة لم تخصص كوبونا برغيف زيادة لأخ يزور أخته؟

- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة لضيف طارئ !!

- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة للتصدق به على سائل يسأل بطرق الأبواب لأن أبوابهم هم لا يجرؤ على المرور حولها – فضلاً عن طرقها – الجن الأزرق نفسه!!

- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة لإنسان سمين لا يشبعه رغيف واحد!!
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة يعوّض سوء استهلاك الصبية للخبز.
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة لأم عجوز أرملة يكفلها ابن لها أو بنت لها وهي غير مسجلة في بطاقته أو بطاقتها، ولا لأب عجوز أرمل يعوله ابن له أو بنت.
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة تحوطاً من مجيء بعض الخبز تالفاً أو معطوباً.
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة تعويضاً لرغيف قد يسرقه لص في الطريق مما خصص للأسرة. طلب أبو الدهب من الجميع الإنصات طوعاً أو كرهاً ليضيف بهدوء شديد: والحكومة – فوق هذا – تتنكر لما تنادي به من آليات السوق، وحرية الاقتصاد، فهي تفرض طبع كوبوناتها على المطابع الأميرية ولا تطرحها في مناقصة، وتبرر هذا التصرف الأهوج – الذي سيعطل المطابع الأميرية عن طبع كتب المدارس – بأنه [حتى يصعب تزويرها أو تعديلها] وكأن بقية مطابع مصر (وأغلبها أفخم وأحدث من المطابع الأميرية) لصوص متخصصون في التزوير والتعديل!!!! ومن أجل ماذا؟ من أجل رغيف خبز؟

وهذه (الدراما) كلها: إضافة الخانات – وتغيير البطاقات – وطبع الكوبونات – ومراجعة البيانات – وتحديد مواقيت الصرف – وجمع الكوبونات بعد ذلك....إلخ. كل هذه الدراما كم ستتكلف من ملايين الجنيهات؟ وكم سيؤلف لها من مجالس عليا، ومجالس وسطى، ومجالس إقليمية، ومجالس دنيا؟ وكم سيؤلف لها من لجان تجتمع وتنفض، ولجان تنبثق من لجان، ولجان تتابع اللجان؟ وكم سينفق على الطبع والنشر والتأليف والإخراج والتنفيذ من ملايين؟ قال موهوب أفندي وقد ألقى بشيشته بعنف ففقأت عين زبون طارئ تبين فيما بعد أنه مخبر تحت التدريب: "لن نطلب من الحكومة الذكية أن

تعامل الناس كبشر لا كفيران تجارب تجرب فيهم عبقريتها وذكاوتها، ولا نطلب منها أن تراعي ما تطنطن به دونما وعي بحقيقة معناه وهو (البعد الاجتماعي) – أكاد أحلف طلاق تلاتة أن الحكومة فاكرة البعد الاجتماعي ده مضاد حيوي!!! - ولا تعرف حقيقته، لأن البعد الاجتماعي هو: كبار السن المعولون بلا بطاقات، الضيوف، السائلون، إلى آخر ما سبق ذكره، ولكننا نطلب من اللّٰه تعالى إما أن يأخذنا نحن، حتى تستريح الحكومة من صداعنا، أو أن يأخذ بيد الحكومة فيلقي بها في قاع المحيط قريبا من سمك القرش حتى تعيش في جو أشد هدوءاً فيتجدد لها عقلها وتسترد ذكاءها لأن مقولة برعي [إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده] تحققت فعلاً في هذه "الحاكومة"... (بلغة إخواننا أهل السودان)!!

===============

لجان الإقطاع الجديدة!!!

تسرب من كواليس التكية الهلالية أن التكية بصدد تأليف لجان القطاعات الجامعية بما يحقق سيادة الجامعات الأربع الأقدم (القاهرة – الإسكندرية – عين شمس – أسيوط) على بقية الخوانق والزوايا والربط (بضم الراء المشددة وضم الباء: جمع رباط) التي تسمى جامعات من باب الفكاهة والتدليل لا أكثر، وذكرني ما تسرب بموقف لي مع رئيس سابق لجامعة القاهرة وقف يقول أمام الوزير مفيد شهاب إنه لا يرى جامعات في مصر سوى جامعتي القاهرة وعين شمس، ومن أسف أن محمد عبد الله رئيس جامعة الإسكندرية كان موجوداً ولم يرد، فرددت يومها عليه رداً عنيفاً تدخل بعده مفيد شهاب لتلطيف الجو. والمهم في هذا السياق أن بعض كبار القوم موهومون، أو أنهم يفرطون في الاستعباط ، حين ينفون ما يجهلون، فكيف تتألف لجان القطاعات من أربعة أشخاص يمثلون الجامعات الأربع الأقدم ثم يختار المجلس الأعلى – اسم الله عليه!! – ثلاثة أفراد من بقية الجامعات الخمس عشرة!!!

ما هذا يا قوم؟ بالله عليكم إن لم تكن هذه أفكار سكارى فكيف نقبلها؟ كيف سيختار مجلس مؤلف من رؤساء الجامعات ثلاثة (أنفار) من بين اثنتي عشرة جامعة ليكون الثلاثة مع الأربعة الذين يمثلون الجامعات الكبرى سبعة يمثلون قطاع الكيمياء أو الجراحة أو القانون الدولي أو التربية أو الاجتماع أو الاقتصاد في مصر بحالها؟ مالكم؟ كيف تحكمون؟ كيف تفكرون؟ إن الجماعة لا يرون إلا صفين من اللؤلؤ – على رأي العاشق إياه – هما القاهرة وعين شمس، ولا يعرفون أن د. محمد غنيم الذي رفض الوزارة مرات مازال في المنصورة، وأن د.عبد الحميد بهجت - أحد أساطين الإدارة - مازال في الزقازيق بعد انتقاله من سوهاج إليها، وأن شيخ المؤرخين د. عاصم الدسوقي مازال في

حلوان بعد انتقاله من سوهاج إليها أيضا، وغيرهم وغيرهم مئات من القمم العلمية والهامات الشامخة لم يتركوا جامعاتهم التي احتضنتهم صغاراً وعينتهم معيدين، فظلوا بها كباراً ووفوا لها، وكان الجماعة أكثر توفيقاً لو أنهم حققوا ونشروا على الناس ما حدث في كلية الألسن جامعة عين شمس من تزوير وسرقات علمية في عهد د. علي العبد رئيسها الأسبق، وما حدث في الإسكندرية من تجاوزات في التعيينات في كليتي الحقوق والتربية النوعية وغيرهما مجاملة لوزير رحل ووزير قادم!!

فيأيها الملأ كفوا أيديكم عن لجان القطاعات وذروها بتشكيلها القديم بحيث يضم كل قطاع عمداء الكليات المتناظرة، فهم أعلم بشؤون كلياتهم منكم، واتركوا اللجان العلمية (النائمة) بتشكيلها القديم، وابحثوا لكم عن لعبة أخرى تتلهون بها، إن كانت مشكلتكم هي وقت الفراغ!!

لقد عانينا كثيرا - في مرحلة سابقة – من قيادات جامعية لم تكن تهتم إلا بالسب والسلب، والدس والتدليس، والنهب المنهج لأموال الجامعات، وتجمعت لدي كمية لا بأس بها من المستندات والوثائق جعلتني أشرع في تأليف كتاب يضمها جميعا ليكون بمثابة (الكتاب الأسود) للجامعات، وأرجو من قرائي الكرام أن يرسلوا لي ما قد يكون لديهم من قصص أو وثائق فساد أو وقائع ظلم وتنكيل واستبداد في أي جامعة من جامعات المحروسة، ففضح اللصوص والجهلة والعملاء والمرضى النفسيين وأذنابهم أمر لم يعد ترفاً، بل أصبح ضرورة. والله المستعان.

قبسات من لسان بني همبكة

أشرت في مقال سابق إلى الطبعة الأولى التي صدرت حديثا من معجم (لسان همبكستان) ونقلت شذرات منه للقراء الأعزاء، ونظراً لعدم توفر ذلك المعجم في المكتبات العربية لأن مجمع البحوث أصدر قراراً بمصادرته، فقد تلقيت عدداً كبيراً من الرسائل الإليكترونية على بريدي تطلب الكشف في ذلك المعجم عن كلمات بعينها، وسأخصص ثلاثة مقالات متتالية – فقط – للكشف لقرائي الأعزاء مجاناً، وبعدها سيكون الكشف في ذلك المعجم بالواسطة أو بدفع إتاوات ورشاوى للعاملين في المؤسسة العامة للكشف في المعجم التي تم إشهارها مؤخراً وهي تابعة للمجلس الأعلى للدامعات [وهو غير المجلس الأعلى للجامعات] فهو يضم كل ضحايا المجلس المشابه ممن يبكين على مستقبل أولادهن وممن يبكين أبناءهن المنتحرين.

وهذه أولى حلقات الكشف المجاني عما وصل على البريد من استفسارات:

١- تمغة:

ليس للثلاثي (تمغ) أصل في لسان العرب، ولكن في لسان همبكستان توجد كلمة بهذا البناء اللغوي، تضاف لها تاء تأنيث، لأن تأنيث كل شيء هو أساس الحكم هناك، حتى إنهم من كراهية "التذكير" والمذكر والذكورة، اتخذوا وزراء غاية في النعومة والرقة ولهم على الشاشات طرق أنثوية غريبة في التعبير عن أفكارهم وطروحاتهم، فهم يطوحون رؤوسهم ذات اليمين وذات الشمال تقليداً لمنى، ويمررون أكفهم الرقيقة على وجناتهم من حين إلى حين، أو على رؤوسهم تقليداً للميس، وبلغ من ولعهم بتأنيث كل البلاد والعباد أن تركوا استعمال لفظ (الشعب) لأنه مذكر، ويستخدمون بدلاً منه لفظ (الجماهير) لإلفهم كلَّ ما هو مؤنث، والتمغة ختم تختم به الدوائر الحكومية في همبكستان معاملاتها، أو

طوابع تلصق على أوراقها الرسمية تؤول أثمانها إلى بيت المال، لتُنفق – فيما بعد – على علاج الراقصات والراقصين خارج البلاد إذا أصيبوا بالزكام. قال ابن خلكان: "وأظن أهل همبكستان لجأوا إلى جعل (التمغ) بالتاء فراراً من جعلها بالدال (دمغ – دمغة) لأن دمغ في لسان العرب تدل على القهر كما قال صاحب المحيط في اللغة - (ج ١ / ص ٤٠٤) الدَّمْغ: كَسْرُ هو: القَهْرُ. والأَخْذُ من فَوْقٍ. وفي الصحاح (ج ١ / ص ٢١٣): دَمَغَهُ دَمْغاً: شَجَّهُ حتَّى بلغت الشجّةُ الدِماغَ. وهو نفس تأثير التمغة على المواطن ففيها معنى القهر والأخذ من فوق وشج الرأس. قال ابن الفارض حين قدم طلباً للحصول على شقة في برنامج إسكان الشباب:

دفعنا لتسيير الأمور غرامَةً
سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ
لها (الدمغُ) إسمٌ وهيَ ختمٌ يُدِيرُهَ
هلالٌ ودرويشٌ وبطرسُ والبُكمُ
على نفسه فليَبْكِ مَن ضاع عُمْرُهُ
وليسَ لهُ فيها نَصيبٌ ولا سهمُ

والأدمغة جمع دماغ، وهو رأس الرجل إذا كان عضواً في لجان التطوير إياها، ويقول المراهقون في تلك البلاد: "فلان عامل دماغ"، ويعنون بهذا أنه ينأى بنفسه عن الهزل العام السائد.

٢- روشنة:

الروشن: عَلَى وَزْنِ كَوْثَرَ هُوَ مَا يَخْرُجُ مِنْ الْجِدَارِ مِنْ الْجُذُوعِ يُوَسَّعُ بِهِ الْمَنْزِلُ أَوْ يُجْعَلُ مَمَرًّا يُمَرُّ عَلَيْهِ وَأَصْلُهُ فَارِسِيٌّ. أما "الروشنة" فهي من لغة المراهقين يعنون بها الخروج على المألوف، قال ابن بقة: والروشنة في لغة طسم وجديس هي الإفراط في تطوير

الجامعات وتنمية القدرات وتسريع المشروعات، وقال ابن بطوطة في رحلته الشهيرة: رأيت في الديار المصرية قوماً يطورون جامعاتهم بنظام الروشنة، فيقف أحدهم متلوياً محنياً كالهلال وقد علت وجهه صُفرة الجوع والنهم إلى مشروع، فيتلو على الأساتذة كلاماً غامضاً كالذي يتلى عند استحضار الجان وفتح البخت وصرف العفاريت، وزعم الجبرتي أنه رأى دكتوراً في بلاد النيل قضى نصف قرن في درجة مدرس، وقد تكأكأ عليه عشرون بروفيسيرا يُنمُّون قدراته ليل نهار!!، وهو مستسلم لهم، تنظر في عينيه فتظنه بقية من قوم ثمود وأصحاب الأيكة، ويرتدي بدلته الصيفية الوحيدة التي لا لون لها، وإن زعم بعض المعمّرين أنه رآها وهي خضراء يوم حلف عبد الناصر أن يبني السد ثم رآها بنّية اللون يوم اتخذ السادات العلم والإيمان شعاراً لعصره، وقال بعضهم: رأيت صاحبنا يرتديها ليلة التعديل الدستوري وكان لونها "بمبي"!! وبرغم ما أنفقته دول الاتحاد الأوروبي – ضمن مشروعاتها الكريمة – على تنمية قدرات هذا الثمودي العتيد والذي تجاوز تسعين ساعة معتمدة قبضها الأساتذة العشرون فإن عائد تنمية قدرات المدرس إياه لم تنمُ ولم تتطور، وكل التغيير الذي تحقق عنده أن بنطلونه الذي كان به رقعتان فقط صار يضم خمس رقاع، حوّلتها عمليات الصبغ المتوالية على مدى أربعين سنة إلى ما يشبه خطة الإصلاح الاقتصادي، وفيه يقول ابن نباتة:

تطويرنا... ما أحسنَهْ

على نظام الروشنة

نقلِّب (العضوَ) على

جنبيه ..حتى يتقنه !!

تنمية القدرات فيها

لذَّةٌ... و جدعنة..!!

ومن يذقْها يعترفْ

بأنها .. مقننة ..!!

٣- بكش:

في القاموس المحيط (ج ٢ / ص ١٢٧) : بَكَشَ عِقَالَ بَعِيرِهِ حَلَّه، فأصل البَكَش هو حل العقال، أما في العامية الهمبكستانية فإن الكلمة تعني الاحتيال، وادعاء تحسين أوضاع الموظفين، والإعلان عن وظائف وهمية لا وجود لها إلا في البرامج الانتخابية، وزعم الجوهري أنه سمع أعرابياً كان يعمل خبيراً في برامج تحسين التعليم، والتعلم النشط والمدارس صديقة الفتيات، والمدارس صديقة البيئة، يقول وهو ممسك بالشيشة على مقهى [المعايير القومية]: "لا يستحق أن يعيش من لا يعرف التبكيش"، وأحب البَكَش إلى قلب الحكومة ما كان لها فيه نصيب مثل زيرو تسعمية، والمسابقات الهاتفية التي سادت البلاد المحمية في أزهى عصور المهلبية، زمن الدولة المملوكية. ويقال ذهب المتنبي مرة إلى الجمارك ليفرج عن "زلكة" استوردها من غينيا بيساو، فقال له المأمور الجمركي كلاماً خدش حياءه عن رشوة تدخل بها السيارة على أنها لرجل معوّق ثم يرخصها المتنبي باسمه فقال:

كم في الجمارك قد رأيت وحوشا

نهبوا الجيوب ونفضوا الطربوشا

مسحوا البلاط بأمة مقـــهورة

وبأمر بطرس أكثروا الـتفتيشا

لكنهم – عند الضرورة – غـايةٌ

في اللطف، حين تشخلل البقشيشا

فعلمت أن جـــماركي مخرومةٌ

وبأن تفتيشي غدا تبكـــيشا ..!!

في فلسفة الطوابير

هذا الشعب جحود كنود فظ نكّار للجميل، تصنع الحكومة الصنيع تبتغي به إسعاده وإبهاجه، والتخفيف من معاناته، والتسرية عنه، فلا يقابل الصنيع الطيب إلا بسوء النية وخبث الطوية، والرد الخشن العنيف (كالإضراب والاعتصام والتظاهر)، وهذا النوع من الردود لا يلائم حكومةً (فافي): يكاد رقيق الماء يخدش جلدها إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد، ولو لبست ثوباً من الورد ناعماً سيشكو إليها الجسم من ثقل الورد، ولو تأمل هذا الشعب - الفظ الغليظ القلب - وزراء هذه الحكومة وهم يتحدثون إلى المذيعات البيض الحسان اللواتي يذبن تكسراً، ويتمايلن تأنثاً وتلاعباً، لرأى كيف ينافس وزراء الحكومة أولئكن المذيعات في حلاوتهن ورقتهن وعذوبة نطقهن، أفهذه الرقة والنعومة التي نراها في وزرائنا يصح أن تقابل بهذا العنف العنيف، وتلك الشدة الشديدة والقسوة القاسية التي يظهر بها المتظاهرون والمحتجون والمضربون؟ إن الطوابير سبيل من سبل تربية الشعب وتهذيبه فهي في واقعها:

١- تحسّن الأخلاق وترتقي بها لاسيما إذا كانت كثيفة متلاصقة.

٢- تعوّد (المتطابرين) الصبر والثبات.

٣- تنشط الدورة الدموية.

٤- تقوي الساقين لمن ألفوا السكون وكرهوا التريض.

٥- تشيع جواً من السعادة والمرح بما يند عن أصحابها بين الفينة والفينة من نكات وتعليقات.

٦- تفتح آفاقاً واسعة للحوار الوطني الديمقراطي بدلاً من المقاهي.

٧- تقدم فرصاً متجددة للتعارف وتوليد صداقات جديدة.

٨- توفر فرصاً للسيدات لتبادل الخبرات في شؤونهن كافة.

٩- توفر المال الذي سينفق – في وقت الفراغ – على المقاهي والسيبرات والكافيهات، ولا أشك في أن القراء الكرام سيضيفون مزايا عديدة للطوابير، لم أذكرها. وبخاصة أولئك الذين ذاقوا حلاوتها، و.."من ذاق عرف" كما يقول الصوفية. فأنا لا أصدق ما تشيعه الصحافة المستقلة الجاحدة الحاقدة، من أن في مصر طوابير بهذه الشناعة التي يصفون، فمسكني بالقاهرة يقع في تلك "المنطقة الخضراء" الهادئة الرومانسية الساحرة التي تفصل بين منطقة الوايلي الكبير، ومنطقة الزاوية الحمراء، وصحيح أنني لا أقيم هناك إلا يومين أول الشهر، ويومين أخره، ولكنني لم أر على وجوه أولئك الوايليين والزاويين الحمر، إلا سعادة ورضا وابتهاجاً، ولم أر منذ سكنت في تلك المنطقة طابور خبز واحداً، ولا طابور أنابيب غاز، ولا طابور دفع فواتير، ولا طابوراً على (مبولة)، [فالمنطقة لا شيء فيها من ذلك كله]، ولم أر على وجوه الشعب إلا الضحك المتصل والسعادة الخانقة بهذه الحكومة الرائقة، فكثيراً ما يصادفني مواطن يسير وهو يحدث نفسه بعصبية، فهل يقول أحد إلا أن هذا الرجل يحادث زوجته بما لم يستطع أن يحادثها به وهما في البيت؟ وأحيانا أرى رجلاً يسير عارياً أو يفترش الطريق عارياً، فهل يقول أحد بعد ذلك إن الحكومة تضيق ذرعاً بالليبراليين ودعاة التحرر وتفرض عليهم قيوداً؟ أفليس في مسلك هذا الرجل دليل على سعة صدر الحكومة وبطنها وقفاها؟ وأحياناً أرى رجلاً يضحك بشدة وهو ينظر إلى الأفق السرمدي البعيد، أفيقول أحد إن هذا الرجل يعاني من الطوابير؟ ومع ذلك كله فإن الحكومة رحيمة بشعبها على ما

فيه من جفوة وغلظة كبد، فهي لم تستصدر له – حتى الآن – فتوى من دار الإفتاء بأن الطوابير حرام، وأن الخبز نفسه مكروه لمن استطاع إلى الصوم سبيلاً، ومن لم يستطع فعليه بالبسبوسة فمن لم يجد فعليه بـ"الكورن فليكس"، فمن لم يجد فعليه بـ"الفينو"، وهي – حتى الآن – لم تحل أوراق شعبها للمجمع ولا للمجلس القومي للمرأة، ولا للمجلس الأعلى للمزلقانات، وما تزال تنتظر أن يثوب هذا الشعب الأنكد إلى رشده، فيقر لها بما تفعل فيه من إنجازات!! فمن أين تأتي المعارضة الشرسة القاسية بكل هذه الافتراءات؟ لا أدري..!! والطابور- في اللغة – لفظ تركي على وزن فاعول، مثل شاكوش وناقور وخازوق، وهو وزن لا تعرفه الفصحى إلا من أوزان اسم الآلة غالباً، وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من أن الطابور آلة من آلات الترفيه التي استحدثتها الحكومات للتسرية عن الناس. فإذا جمعت لشعوبها – بجانب الطوابير – وجوهاً سمحة ناعمة رقيقة هادئة لحد البله ووزعتهم على شاشاتها ليل نهار، يكذبون ويضحكون، ويسرون عن الناس، بما يقولون وما يفعلون، فماذا تفعل أكثر من ذلك لهذا الشعب الكنود؟!!

==========================

في استحالة العولمة !!

الذين يبشرون بالعولمة يتحمسون لها كأنها دين جديد ظهر ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت فوضى، وهؤلاء فريقان: فريق يعاني أصلاً من وطأة الانسحاق والقهر والإحساس بالعجز والدونية لأسباب شخصية تتعلق به وبنشأته وببيئته التي تربى فيها، وفريق مضحوك عليه مغرَّر به، ضعيف الرأي، متقلب الهوى، انقيادي، مطيع لمن يعلوه.

هؤلاء وهؤلاء يظهرون للناس على الشاشات، وينفثون أفكارهم من الإذاعات، وينشرون إفكهم في الصحف، مبشرين ومنذرين: مبشرين بعالم جديد يسود فيه الحق والحرية وحقوق الإنسان، ومنذرين النظم التي لا تركع للعم سام بأنها إلى زوال عما قريب، ما لم تؤد فروض التبعية والتذلل والانبطاح.

و هؤلاء وهؤلاء لا يتحملون نقاشاً، ولا يصبرون لمجادلة، فإذا حاولت الدخول معهم في حوار انسحبوا في تكبر مصطنع، وتأفف واضح، مع همهمة خنفاء متلجلجة تخرج من أنوفهم تميز منها – بصعوبة – روائح التهديد والإنذار..!! وكأن ربهم الرابض في البيت الأسود على كل شيء قدير.

أما نحن – العرب والمسلمين – فنؤمن بأن الله وحده لا شريك له هو الذي يقدر على كل شيء، ونؤمن بأنه لو شاء سبحانه "...ﵟلَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ﵞ" [هود:١١٨]. ونؤمن بأن رب البيت الأسود الذي يعكفون على عبادته وتمجيده والتقرب إليه لا يملك نفعاً ولا ضراً، فهاهو ذا يخرج من مكمنه بعد ثماني سنوات يحارب فيها بلا أي انتصار يذكر بعض البدو في أفغانستان، ويجرب كل ما أعطاه غرور العلم من أسلحة محرمة مجرمة في الشعوب الصغيرة الفقيرة، كل ما حققه من نجاح في ثماني سنوات أنه أخذ بثأر أبيه من صدّام حسين الذي أذل أباه أوائل التسعينيات

وأسقطه وسبب له الهوان الأبدي، فجاء الابن فاستعان ببعض عملائه وأزلامه واشترى ذمم خونة باعوه رأس الرئيس ورأسي ولديه بثمن بخس، وهاهم أولاء غارقون في دمائهم.

ومروجو فكرة "حتمية" العولمة واهمون، فالأصل هو الاختلاف كما بينت الآية الكريمة السابقة (ولا يزالون مختلفين)، والاتحاد حول فكرة واحدة مستحيل استحالة مطلقة حسب منطق العلم الطبيعي المجرد ، وقواعده وقوانينه ، ولذلك فإن كل أحلام أولئك الصغار من الواهمين ستصبح ذات يوم ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

يتخذون من قوانين الرياضة الدولية ، ومن تعاليم الفيفا، ومن ميثاق الأمم المتحدة ووثائقها أُطرا للعمل وقوانين للعولمة وأستارا لتنفيذ إرادة الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية وأسست تلك المنظمة الدولية العاجزة التي شاخت ، وتجاوزها الزمن . ولم تستطع على مدى ستين عاما أن تحل نزاعا واحدا أو تجلب لشعب حقّا مسلوبا ، ولم تتخذ طوال ستين عاما قرارا واحدا ولا حتى مجرد توصية تخدش كبرياء كبريات الدول الغربية . فهي في نهاية التقييم : محل عطارة مدجن يبيع مخدرات ومسكنات فاسدة لمن يؤمنون بفعاليته كصائب عريقات ومصطفى الفقي ...!!

و هؤلاء وهؤلاء من مروجي فكرة " حتمية " العولمة الواهمين يستعينون على قضاء وطرهم بإعلام عميل متحلل يبشر بثقافة وهم (السلام) ووهم الحرية الجنسية بشرط التراضي بين طرفي العملية الجنسية؛ وتنشط الدعوة لذلك بوسائل عدة ابتكرها دعاة العولمة كالمحادثات في الإنترنت. وأماكن ممارسة الرذائل، كالبارات ودور الدعارة والملاهي الليلية. واستصدار القوانين الوطنية التي ترعى هذه الممارسات، وتشجعها بسلطات الأمم المتحدة ممثلة في مؤتمرات السكان ، كقانون الإجهاض. وقوانين المرأة والطفل .

لكننا ببشرهم بأن كل كيدهم سيبوء بالخسران المبين ، لأن التاريخ أكد لنا أن أي حضارة أو دعوة تقوم على القهر والقوة مصيرها للزوال .

من معجم (لسان همبكستان) :

طبخ :

طَبَخَ : بثلاث فتحات متتالية على وزن : فَسَدَ ، و فعل ماض ثلاثي يدل على معنى إعداد وجبة دسمة من اللحوم ، سواء أكانت لحوم بشر أم لحوم بقر، أم لحوم غجر، وأول من أكل لحوم البشر من العرب هو ممدوح بن إسماعيل بن سنان بن أبي ضرس النابي من قبيلة قاضمة كان له طباخ فنزويلي ورد ذكره في معلقة الأعشى ، يقال إنه طبخ له طبخة غالية فكافأه وطبخ القضايا معروف في تاريخ النظم القانونية عند بني همبكة من أيام يزيد بن معاوية .

المصاقبة :

ذهب ابن جني في الخصائص إلى أن للصوت الذي يتميز به الحرف العربي دلالة خاصة تمتد إلى كل الكلمات التي يبدأ بها ذلك الحرف فأنت ترى كل الأفعال التي تبدأ بحرف القاف تدل على القطع وفصل شي عن شيء كما في : قدَّ – قَطَعَ – قصَّ – قسم ...إلخ

وعلى هذا قاس ابن عفريت تلميذ ابن جني فقال : ويقولون عن عصر قديم حكمت فيه حكومة (أبو طولون) للوزير وللصحفي القومي إذا ظهر في التلفاز : همبك – وهنتف – وهلفط - ويقولون لرجل الأعمال إذا تمدَّح أو تمنعم أو تلكَّح: هَبَرَ ، وهَبَشَ ، وهَرَبَ .. و....طلع براءة!!!

=======================

زكريا غنيم ليس عضواً في الحزب الحاكم...! !

يعيش ما يقرب من ١٩٠٦٧٥ من العلماء العرب خارج أوطانهم حسب التقديرات الرسمية، ويعملون في التخصصات المختلفة من الفضاء إلى الفيزياء والكيمياء والرياضيات إلى العلوم الإنسانية. ويقدر المتخصصون منهم في الذرة بحوالي ١٥٥ عالماً أشهرهم حالياً العالم المصري الدكتور محمد البرادعي المدير العام للهيئة الدولية للطاقة النووية والواقع أن سر هجرة هذا العدد الضخم من بلادهم العربية لم يعد سراً مكتوماً. فالجامعات العربية تعاني من أزمات مالية وإدارية تجعل عضو هيئة التدريس مكبلاً بأعباء كثيرة تناطح البحث العلمي وتجعله يتراجع أمام تلك المهام الثانوية. فعضو هيئة التدريس في الجامعات العربية يخصص ٥٪ من وقته فقط للبحث العلمي مقابل ٣٣٪ لدى نظيره الذي يعمل في الجامعات الغربية.

وهذا الأمر ليس جديداً في جامعاتنا ومراكزنا البحثية، فالاهتمام بالبحث العلمي ليس ضمن الأولويات العربية من قديم. فقد نشر الأستاذ إحسان عبد القدوس مقالاً في العدد ١٦٠٦ من مجلة روزا اليوسف المصرية الصادر في ٢٣ مارس ١٩٥٩ تحت عنوان (كيف نعامل العلماء) استند فيه إلى مقال استغرق أربع عشرة صفحات في مجلة (ماتش) التي كانت آنذاك توزع أكثر من مليون نسخة. وذلك المقال/ الموضوع كان يتحدث عن عالم مصري نشرت صورته على صفحة كاملة من تلك المجلة الإنجليزية ومع ذلك فهو في بلادنا العربية – بل في بلده مصر – غير معروف كما يقول إحسان عبد القدوس في مقالته تلك. وذلك العالم اسمه زكريا غنيم وقد آثار الأقلام ومكبرات الصوت وآلات التصوير بقوة في ٤ مارس ١٩٥٤م حين أعلن لأول مرة منذ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون

- على يد العالم الإنجليزي كارتر ١٩٢٨ - عن أهم اكتشاف أثري وهو الأهرام المدفونة.
يقول إحسان عبد القدوس:

لقد أثار زكريا غنيم كل العالم ما عدا مصر، ماعدا وطنه...!!! . وعيب زكريا غنيم الذي حرمه من اهتمام مواطنيه أنه كان عالماً بالمعنى الصحيح لكلمة عالم... لقد كانت دراسته الأصلية هي علم الاقتصاد. وتخرج في كلية التجارة وعين بوزارة المالية، ولكنه هواية الآثار كانت تلح عليه دائماً فالتحق بكلية الآداب ودرس الآثار وبعد تخرجه منها ترك المالية وتفرغ لتخصصه الجديد. وقد كرمه العالم كله واهتم بدراساته. إلا في وطنه حيث فعل الحقد والحسد فعلهما وتجوهلت إنجازاته. ولم تتم الحفريات التي كان يبشر بها....".

الدول العربية من أكثر دول العالم حديثاً وجعجعةً حول "أهمية البحث العلمي، ودوره في التنمية"وهي تظن أنها بمثل هذا الكلام الذي تصدّعنا به وسائل الإعلام، وتنعقد له المؤتمرات وتنفض عاماً بعد عام، تظن أنها بهذا الشكل من "الكلام" قد أبرأت ذمتها، وأدت رسالتها وخدمت أمتها وكفى الله المؤمنين القتال.

أما الواقع المؤسف فيقول إن من بين ١٠٠ ألف عالم عربي عام ٢٠٠٠ هاجر – ولم يعد - أكثر من ٣٦ ألفاً بما يزيد قليلاً عن الثلث. ويقول الواقع أيضاً ما توضحه الإحصاءات التالية:-

١- يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية أربعة آلاف أستاذ جامعي أو أكثر من بين ٤٥٠ ألف مهاجر عربي يحملون مؤهلات عليا.

٢- يوجد أكثر من ١٥٠٠ أستاذ جامعي عربي في الدول الأوروبية من بين أكثر من ٤٠٠ ألف مهاجر عربي يحملون مؤهلات عليا.

٣- يوجد من مصر وحدها أكثر من ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) طبيب يعملون في بريطانيا وحدها..

وقد أوردت النشرة السادسة لعام ٢٠٠٢ الصادرة في الإمارات العربية المتحدة عن (المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا) التي تأسست بالشارقة عام ٢٠٠٠، عدداً من الأرقام المخيفة. فقد ورد بتلك النشرة:

١- أن حجم الإنفاق العربي على البحث العلمي والتطوير بلغ في العام ١٩٩٦ ٧٨٢مليون دولار، بنسبة ٠,١٥٪ (خمسة عشر من مئة بالمئة) من إجمالي الناتج المحلي.

٢- أن عدد الحاصلين على شهادة جامعية ٥١ مليون عربي من أصل ١٥٠ مليون متعلم أي بنسبة ١٠٪ مقابل ٢٠٪ في أميركا.

٣- عدد مراكز البحوث العلمية في الدول العربية من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ مركز.

٤- عدد حملة الدكتوراه في الوطن العربي ١٦٠ ألف شخص عام ٢٠٠١ بنسبة ٠,٠٠٣٪ (ثلاثة من ألف في المئة) من حملة المؤهلات الجامعية.

إن هذه الأرقام تعكس مدى قتامة الصورة، ورداءة الأصل أيضاً، ففي الوقت الذي تجد فيه الدول العربية نفسها مرغمة على مواجهة إسرائيل التي تتسلح بالعلم والتكنولوجيا وتتطاول على العرب جميعاً مستندة في ذلك إلى غرور القوة وامتلاك أسلحة الدمار الشامل لا تملك هذه الدول العربية سياسة علمية تمكنها من الصمود والتصدي، وتنشغل أنظمتها بمعارك (دون كيشوتية) صغيرة تستنزف جهدها ووقتها وثرواتها وقواها المادية والبشرية.

وقد ذكر الدكتور أحمد زويل -أشهر العلماء العرب المهاجرين – في محاضرة له ألقاها عام ٢٠٠٢ أن مؤسسة أمريكية أجرت إحصاءً مصنفاً لثلاثة ملايين ونصف مليون بحث علمي منشور خلال خمس السنوات الماضية فوصلت للنتائج التالية:-

١. كـان نصيب الولايات المتحدة من هذه البحوث الـ (٣,٥ مليون) هو ٣٤٪.
٢. كان نصيب أوروبا هو النصيب الأكبر إذ بلغ ٣٧٪.
٣. الدول الآسيوية الباسفيك نالت ٢١٪.
٤. الهند وحدها كان نصيبها ٢,٢٪.
٥. إسرائيل وحدها كان نصيبها إلى ١,٣٪.
٦. الأمة العربية جميعاً لم يصل نصيبها ١٪

وقد قال د. زويل: "إذا قسمنا عدد البحوث المنشورة في الوطن العربي على عدد السكان البالغ ٢٨٠ مليون نسمة، وقارناه بعدد البحوث المنشورة لعلماء إسرائيل البالغ عدد سكانها ٣,٥ مليون نسمة، كانت النتيجة أن المواطن العربي يساوي (١) في المائة من الإسرائيلي.

لكن الذي لم يفطن إليه د. زويل أننا نفوق إسرائيل (المزعومة) في أشياء كثيرة كالأغاني الشبابية، وطرق حلاقة شعر الرأس التي يتفنن بها شبابنا، وما يشيع على قنواتنا الفضائية من رقص وهجص ومسابقات ومباريات وسباقات.

ومن قبيل الحديث المعاد أن نقول إن هذا الوضع المتردي للبحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث العربية مرجعه الأساسي إلى السياسات الحكومية العربية التي تضن على الجامعات ومراكز البحوث بالتمويل اللازم وتتفنن في إيذاء الأساتذة والخبراء والتضييق عليهم ومعظمهم يسافرون إلى الخارج ويرون ما تتيحه الجامعات الأجنبية لنظرائهم من الحرية الأكاديمية، والمزايا المادية، والإمكانات البحثية، والمعامل والمكتبات والمطبوعات والتسهيلات الإدارية والمالية في الحل والترحال للمشاركة في

المؤتمرات والمشروعات البحثية. وما يرونه في الخارج يدفعهم دفعاً إلى التفكير في الهجرة والاغتراب.

معادلة مقلوبة:

إن الدول الغربية التي تستقطب هذا العدد الهائل من علماء الدول النامية (نحن لم نذكر في الإحصاءات السابقة إلا الدول العربية ولكن هناك مئات الآلاف من دول غير عربية كالهند والباكستان وأفريقيا يقيمون في الدول الغربية في أعلى المراكز العلمية). تدرك أن تطورها وتقدمها العلمي يقوم على أكتاف هؤلاء المهاجرين جنباً إلى جنب مع أبنائها ولذلك تقدم لهم كل التيسيرات المادية الممكنة لإغرائهم بالبقاء.

ومن جانب آخر تقوم الدول العربية باستجلاب الخبراء الأجانب إليها وتدفع لهم ما يطلبون من أجور، وتقدم لهم ما يشترطون من تسهيلات من اجل إنجاز مشروعات يمكن لأبناء تلك الدول من العلماء الشبان إنجازها بصورة أفضل. ولكنهم لو تقدموا لإنجازها لساومتهم دولهم أفظع مساومة ولعاملتهم أسوأ معاملة، لأن (عقدة الخواجة) تتحكم في نفوس بعض أولي الأمر ممن يقبضون على نواحي القرارات في أكثر الدول العربية تقدماً. فهم يثقون بالأجانب ولا يثقون في ذويهم.

ما الأسباب؟؟

أما أسباب تلك الظاهرة –أعني ظاهرة هجرة العقول - فترجع إلى عوامل مهمة أهمها:-

١- ضآلة العوائد الاقتصادية للعمل العلمي في الجامعات العربية، إذا ما قورنت بالعوائد المغرية في الدول الغربية، ففي دولة مثل مصر لا يزيد راتب الأستاذ الجامعي (البروفيسور) عن ٥٠٠ دولار شهرياً، وهو يتقاضى في أمريكا إذا عمل بها نحو عشرة الآف دولاراً شهرياً، وحتى في دول الخليج البترولية لا يزيد راتب

البروفيسور عن ثلاثة أو أربعة الآف دولار شهرياً أي أقل من ثلث ما يتقاضاه في أميركا إذا عمل بها، وهذا العامل هو عامل الطرد الأول في البلدان العربية.

٢- انعدام الحرية الأكاديمية، فالسياسة والاقتصاد والعادات والتقاليد والثقافة القبائلية والتفكير الخرافي، كل هذه عوامل تحد من الحرية الأكاديمية في مؤسساتنا البحثية العربية.

٣- ضعف الإمكانات المادية ونعني بها سوء حالة المباني والمعامل والمكتبات والتجهيزات في أكثر الجامعات العربية.

٤- عدم وجود فرص عمل لبعض التخصصات العلمية النادرة.

هل من مخرج؟؟

إذا أردنا البحث عن مخرج من هذه الأزمة فيجب ألا نفكر في استعادة علمائنا المهاجرين بالخارج، فهذا لا سبيل إليه ما دمنا لا نستطيع أن نوفر لهم أجوراً وظروفاً معيشية كالتي تعودوا عليها.

كما لا يجب أن نطلب من رجال المال والأعمال المساهمة في تمويل البحث العلمي كما هو الحال في بلاد الغرب، لأن رجل الأعمال العربي في غالبية الأحوال جاهل أو لا يدري قيمة البحث العلمي. ومن ثم فهو لا يقامر بأمواله في مشروع إلا إذا ضمن ربحاً يصل إلى عشرة أضعاف رأس المال وفي أقصر مدة ممكنة. كما هو الحال لدى بعض أصحاب المعاهد والكليات الخاصة التي لا تستهدف إلا الربح.

إن المخرج الوحيد في رأينا من هذه الأزمة يتمثل في النقاط التالية:-

١- تغيير مناهج التعليم العام تغييراً حقيقياً- وليس ظاهرياً- لكي تصبح (قيمة العلم) أساساً لتفكير الطالب ومن قبله المعلم.

٢- ويترتب على ذلك تطوير تدريب المعلمين العاملين في التعليم العام تدريباً علمياً جاداً وليس مظهرياً بهدف تغيير المفاهيم البالية في أدمغتهم وتطويرها.

٣- تحسين الأوضاع المالية لمعلمي ما قبل الجامعة بمضاعفة الرواتب وربط الحوافز بتجويد الأداء الذي ينبغي ألا يُقاس بنتائج الطلاب (المفبركة) بل بقياس أداء الطلاب الفعلي بمقاييس جديدة.

٤- مضاعفة رواتب أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ومراكز البحوث إلى ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن للحفاظ على من تبقى منهم قبل أن يفكر في الهجرة.

٥- مضاعفة ميزانيات الجامعات ومراكز البحوث ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن لتشجيع ظروف إنجاز البحث العلمي وتحسينها.

٦- إنشاء جوائز وحوافز مادية للبحوث المتميزة في كل جامعة على حدة.

٧- إعادة النظر في نظم الترقيات بحيث تعطى أوزان أكبر للبحوث المنشورة في المجلات الدولية...

==================================

سماح..!!

لقد رفق الله بك يا بنيتي ورحمك حين فتتت جسدك النحيل رصاصات ذلك الكلب الصهيوني المسعور المتحصن ببرجه العالي ، فقد اختار الله تعالى لك مجاورة أنبيائه وأصفيائه وأوليائه والتمتع معهم بجنة لا تبلى ونعيم لا يفنى ، واختار لنا أن نبقى فنشقى وأن نبقى فنلقى تلك الوجوه الكئيبة تطل علينا آناء الليل وأطراف النهار ، باسمة وهي كالحة ، فاغرة وهي فاترة ، " تتقصع " منها الكلمات مخنثة حذرة خائرة ، تتلمس طريقها مترددة مستخذية صاغرة ، يحيط بها الجبن والهلع والخور من بين يديها ومن خلفها وعن أيمانها وعن شمائلها .

وكان الله لطيفا بك يا بنيتي حين استأثرت بك رحمته ، وأنت بعد غضة الإهاب لم تتلوث نفسك البريئة بما تلوثت به نفوسنا من شهود هذا الزمن الوضيع المهين ، وهذا الوطن الجريح الهين. الذي فقد حتى مجرد الإحساس بالهوان حين يكون (مجرد الإحساس) بالذل..أملا بعيدا ..!!!!

وكان الله لطيفا بك يا بنيتي حين استأثرت بك رحمته ، فأعجل لك سكنى جنته وجعلك ممن يشفعون لوالديهم ، ويأخذون بحجزهم حتى يدخلوهم معهم في رضوان الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ويوم لا لجنة ولا فكر ولا يحزنون.

وكان الله لطيفا بك يا بنيتي حين استأثرت بك رحمته ، فلم تكبري ، ولو كبرت لعانيت ما عانت أخوات لك من قبل حين تعرضن للقهر والإهانة وتمزيق ما يستر عوراتهن بأيدي [رجااااااااال !!] غلاظ شداد يستخفون وراء الخوذات ويتحصنون بالمدرعات ويحيطون أجسادهم بالرشاشات ، وهم يتصدون لفتيات أوانس صغيرات يتظاهرن –

وسط البلد - هاتفات ضد تزوير التعديلات . فيضربونهن ويهينونهن ويمزقون ملابسهن ، ويلفقون لهن القضايا ، ولولا مسكة من حياء لاتهموهن بتعاطي المخدرات . ولو كبرت لعانيت ما عانت أخوات لك من قبل حين تعرضن للقتل في انتخابات البرلمان في الأقصر عام ١٩٨٧ ولتعرضت لما تعرضت له أختك المستشارة نهى الزيني حين شهدت على التزوير في البحيرة في الانتخابات الأخيرة . ولتعرضت لما تعرضت له أخوت لك أبلغن عن انحرافات تمس أغنياء المماليك الجدد . فنُكِّل بهن .

وكان الله لطيفا بك يا بنيتي حين استأثرت بك رحمته ، كما كان لطيفا بنا حين شهدنا لك بالشهادة وشهدنا على أنفسنا بالعجز عن أن نأخذ بثأرك ، أو أن نقتص لك ممن أرداك ، ولعل لك يا سماح من اسمك نصيبا يا بنيتي ، فتسامحي معنا وسامحينا لأننا لم نقتص لك ممن غالوك . ولن نقتص ، لا لشيء إلا لأننا أعجز من أن نجهر بالحديث عن الثأر لا أن نطلبه .

فقد شاء حظك العاثر يا بنيتي أن تُقتلي في وقت نحن فيه عنك مشغولون ، وبغير دمك الطاهر معنيون ، فوزارة الخارجية كانت يوم قتلك " لابدة في الذرة " بالقرب من مكان استشهادك ، تحد فؤوسها وتسن أزاميلها لتكسر أرجل من يعبر الحدود كما قالها في عنترية الشيخ أبو الغيط (غيط الذرة) قاصدا بها المستضعفين من أهلنا العرب .

ومع ذلك فإني أعرف في معالي الوزير أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه قد يدلي بتصريح هنا أو هناك خلاصته أن الوزارة لن تسمح أبدا بتكرار ما حدث ، وأنها ترى فيما حدث أمرا مؤسفا للغاية ، وترى أن تكراره – مع أنه تكرر مرارا – من شأنه أن يعكر صفو العلاقة الحميمة التي (تربطنا) مع الصهاينة .!! فقد سبق لمعاليه أن صرح بأنه لن يسمح بنمو نشاط نووي في الشرق الأوسط ، فضحك الصهاينة حتى استلقوا على أقفيتهم

من هذه العنترية الصارمة !! وارتعدت إيران فور تقيؤ معاليه هذا التصريح وسارعت بتدمير منشآتها النووية قبل أن يعلم بها معاليه .

وكانت وزارة الأوقاف في شغل عنك يوم مقتلك يا بنيتي فقد كانت تتمشى في شوارع بكين تشتري لأهل مصر من " الرسيفرات " ما توحد به لهم الآذان حتى لا تقلقهم أصوات المؤذنين الخشنة وتقض مضاجعهم ، فيناموا بعد سماع نشرة أخبار التاسعة – نوم العروس هانئين مبتهجين ليحلموا بعالم سعيد !!

ومع ذلك فإني أعرف في معالي الوزير أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه قد يصدر توجيهاته السامية بتجريم من يصلي عليك صلاة الغائب في مساجد معاليه ، لا كراهية فيك ولا محاباة للصهاينة ، ولكن لأن صلاة الغائب -في نظر معاليه - بدعة غير حسنة !! وأعرف في معاليه أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه قد يسمح لمن شاء من المصلين أن يترحم عليك في ختام الصلاة سرا ودون الجهر من القول من غير أن تبلغ عنه وزارة الأوقاف رجال أمن الدولة الذين (يتعاونون) معها .

وكانت وزارة التضامن عنك في شغل عظيم ، فقد مات رجل بالرصاص في فرشوط في طوابير الخبز ، وقطعت أصابع سيدة أغلقوا عليها باب المخبز في قسوة مفرطة ، وتمزق جسد رجل في إحدى قرى المراغة بالسكاكين ، أمام المخبز كذلك . ومع ذلك فإني أعرف في معالي الوزير أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه سيصرف لأسرتك ثمانين جنيها ثمنا لجثتك ، وتعويضا لها عن نكبتها فيك ، فقد فعلتها الوزارة مع قومي من قبل حين دهمتنا السيول عام ١٩٩٤، وحين شردنا الزلزال عام ١٩٩٢، وحين حاقت بنا كارثة العبارة الأولى (سالم اكسبريس)١٩٩٢ ، وحين احترق بنا قطار الصعيد ليلة عيد الأضحى في فبراير ٢٠٠٤ وحين غرق من قومنا ألف وثلاثمائة إنسان في العبارة الثانية(السلام) يوم فوزنا بكأس

أفريقية عام ٢٠٠٦ . ففي كل تلك المرات ، رتعت أسر بني عمومتنا ولعبت لعبا بالفلوس التي انهالت علينا من وزير التضامن وسلفه الصالحين .

ولا تأسي يا سماح لأن الإعلام لم يحفل بمقتلك يا بنيتي ، والتمسي لنا العذر فإن نكبة عدم احتراف (الحضري) قد أخذتنا كل مأخذ ، وصرفتنا عن أن نشعر بك وأنت تتمرغين في دمك تستغيثين بنا ، وأصمت أسماعنا فلم نسمع أصوات رصاص ذلك الخسيس وهو يمزق رئتك الصغيرة ويخرج أمعاءك البريئة ، ويقطّع أنفاسك اللاهثة المستغيثة بلا مغيث .

كنا مع الحضري يا بنيتي في شغل عنك وعن ابن عمك أحمد حميدين الذي قتلته رصاصات ذات الكلب الخسيس قبل أسبوع من مقتلك ، ولعل روحك وروح ابن عمك تغفران لنا صمتنا وعجزنا وصممنا وعمانا وضعفنا وخورنا وانشغالنا عنك بما هو أهم لمصر ولشعب مصر الصامد في طوابير الفتات . !!

======================

فقر الفكر في جامعاتنا!!

وردت إلينا في الجامعات مكاتبات من التكية الهلالية تتحدث عن رغبة المقام العالي في تأليف اللجان العلمية الدائمة للترقيات في ثوب جديد ، و المقام العالي مغرم جدا ومفتون جدا بمصطلح (رؤية) تماما كغرام الأخ معتز الدمرداش بمصطلح (cool) !! وكغرام أبو مازن بمصطلح "خارطة الطريق " .!!

و(الرؤية) الجديدة مؤداها أن يكتب كل أستاذ سيرته العلمية/العملية مفصلة ويرسلها عبر موقع المجلس الأعلى للجامعات إلى (من يهمه الأمر) !! فتتألف من هؤلاء المرسلين – بكسر السين – قوائم المحكَّمين ، من الأساتذة القدامى المستوفين للشروط التي يجب أن تتحقق للأستاذ حتى يصبح محكَّما ، في موعد كان معلَنا أنه ينتهي بغروب شمس الحادي والثلاثين من شهر مايو المبارك ، ثم –لأسباب لم تُعلَن – تم تمديد الموعد إلى نهاية شهر يونيو ٢٠٠٨ . فإذا اكتملت القوائم لدى (من يهمه الأمر) قام معاليه أو سموه أو فخامته أو سيادته أو جنابه أو دولته – بأساليب لم تُعلَن – باختيار بضعة نفر من تلك القوائم لتتألف منهم اللجنة العلمية الدائمة لكل تخصص على حدة . وكانت تتألف منذ خلق اللّٰه الجامعات بالأقدمية المطلقة فتتحقق بها العدالة جهد الطاقة ، ولن هذا النظام القديم القائم على الأقدمية خلو من السر الجديد الباتع الموسوم بـ (الرؤية) !!

ونظرا لكوني مواطنا صالحا غِرًّا متفائلا مقبلا على الحياة بكل ما يليق بصعيدي من حسن ظن وسذاجة !! ، فقد تقدمت بأوراقي عبر الشبكة (النت) إلى الموقع المذكور إلى (من يهمه الأمر) !! لأظفر بحقي الذي سلبوني إياه منذ سنوات طوال –لأسباب لم تُعلَن – ظلما وعدوانا ولأسباب لما يحن بعد أوان فتح ملفاتها حتى لا تفسد (الرؤية) !!

وكانت المكاتبة الواردة إلينا من التكية قد قالت إن من أراد أن يطمئن قلبه فليرسل سيرته عبر (النت) ثم يرسل منها نسخة ورقية مسحوبة مما أرسل على (النت) ونظرا لكوني مواطنا صالحا غِرًّا متفائلا يتلقى تصريحات المسؤولين بوسواس شديد ، فقد استنسخت مما (نتَّتُ) نسخة ورقية وأرسلتها مع مواطن لا يقل عني صلاحا وتفاؤلا وابتساما للحياة ، وكانت المفاجأة لذلك البريء صادمة ، وكانت الصدمة لذلك البريء قاتلة فبعد سفر سبع ساعات بقطار الصعيد ، وصل المواطن إلى المجلس الأعلى لتسليم أوراقي لـ (من يهمه الأمر) فوجد امرأة طروبا متفائلة أقبلت عليه بروح رياضية عالية قائلة في شخطة أوقعت قلب مبعوثنا البريء : "أين ختم النسر؟"، ارجع يا فتى من حيث أتيت وأبلغ من أرسلك أن (البلد مش سايبة) وأننا هنا في المجلس الأعلى للجامعات نتحدث عن الجودة والاعتماد والتطوير وتطوير التطوير وتجويد الجودة ولكن هذا كله لمجرد استدرار الملايين من الجهات الدولية التي تعجبها هذه اللغة ، ويستهويها هذا الفكر، فإذا خلا بعضنا إلى بعض ، فالتوقيع باهت ، والخط غير واضح ، وختم النسر غير موجود ، والتمغة سابقة الاستعمال ، وإيصال السداد غائب ، والرسوم غير مكتملة ... إلى آخر هذا التراث البيروقراطي المجيد !!

- ألم تقولوا إنكم يمكن أن تكتفوا بما أرسل عبر النت ؟ سأل الفتى الغر الصالح المبعوث
- بلى !! – أجابت المزمزيل ضاحكة ثم أضافت – وهل يرضيك أن نتسلم ورقاً خالياً من ختم النسر ؟ ونصدّق ما كتبه أستاذكم هو وزملاؤه (كده من غير اعتماد !!) ؟ أليس من الجائز أنهم كذابون مدلسون يريدون أن يغرروا بنا ؟

- إن معظمهم شيوخ أجلاء ولولا أن يُتهموا بالتقاعس عن واجباتهم لما تقدم منهم أحد إلى لجانكم هذه التي تؤلفونها بهذا الشكل المهين – بضم الميم – المذل (بضمها أيضا) ولا سيما أنهم يشاركون – كما هو حال من بعثني إليكم - في أعمال تلك اللجان منذ أربع عشرة سنة فيفحصون عشرة أبحاث في شهرين متتابعين أو يزيد مثلا ، ثم يتقاضون عن فحصها ثمانية وسبعين جنيها وثلاثة قروش (وبعض الكليات تريح نفسها وتريح الفاحصين فلا ترسل هذا المبلغ أصلا خوفا على كبار الأساتذة من الفساد إذا ألهاهم التكاثر في مكافآت الفحص !!)
- ولكن الحق أحق أن يتبع ، والحق الذي لا يدانيه حق ، هو أن الأصل في المواطن في بلادنا أنه كذابٌ نصابٌ مفترٍ مزوِّرٌ مدلسٌ غشاشٌ ، يُكِنّ للحكومة كل بغض ويتربص بها الدوائر ويريد أن يأخذ ما ليس له فيه حق ، وخاتم النسر – وحده - هو الذي يميز الحق من الباطل ، وشهادة الكلب (البوليسي) مقدمة في المحاكم والتحقيقات[كما لا يخفى على فطنتكم] على شهادة المواطن ولو كان هذا المواطن شيخا جليلا من شيوخ الأزهر ، أو قساً كبيرا من جلة القساوسة .
- فماذا عن الذين سيرسلون سيرهم (ألكترونيا) ولا يرسلون نسخة ورقية ممهورة بخاتم النسر ؟
- هؤلاء سيظلون حيث هم مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء إلى أن تُرسل سيرهم لجامعاتهم فتراجع وتعود مزينة بالخاتم العزيز !!

نقل إلينا المواطن الصالح الذي بعثنا به إلى العاصمة بالأوراق هذا الحوار، الذي أثار في النفس كثيرا من الشجن ، المتعلق بهذا المستوى المتدني من الفكر الذي لا أجد له وصفا أبلغ من وصف الراحل الفنان يوسف إدريس بأنه لون من (فقر الفكر) وله شواهد أخرى خذ منها مثلا :

- حين أثيرت مسألة (أن تبحث الجامعات لنفسها عن موارد ذاتية) لم تترجم جامعاتنا هذا المفهوم كما ينبغي أن تكون الترجمة ، بحيث تلتحم كلياتها بالمجتمعات المجاورة لها ، فتقدم استشاراتها العلمية وخدماتها البحثية وبرامجها التدريبية المتطورة لترتفع بوسائل الإنتاج كما هو الحال في كل الجامعات في الدول الأكثر تقدما ، بل قعدت بجامعاتنا قدراتها الفقيرة ، وتمخض فكر الفقر فيها عن أساليب بهلوانية لتنمية مواردها تصب كلها في خانة بائسة وحيدة هي (فقر الفكر)، فتبادلت عدم الاعتراف بشهادات التويفل لتتخذ منه موردا ذاتيا ،
- وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات عرضت قمصان نوم ومشدات أثداء نسائية بصور واضحة فاضحة مهينة لكرامة أية آنسة أو سيدة تريد الشراء ، وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع خطوط الهواتف المحمولة ، وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع البدل الرجالي الجاهزة ، وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع أجهزة كهربية ، أو دواجن ، وغدا ستوجد جامعات تقوم بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع الفياجرا وملخصات كتب الثانوية العامة وأنواع اللبان المثير وأحجبة الحصن الحصين.

- وقامت جامعات بالتفنن في امتصاص دماء آباء الطلاب بالمغالاة في أثمان الكتب ، أو بفرض تبرعات على كل – حتى !! - من يتثاءب من الطلاب .!!
- ومع ذلك فنحن إلى الأمام سائرون ، في ظل سيادة (الرؤية) و(التطوير) وستصرف الزيادات – لمن يريدها - مشروطة بالولاء والخضوع وإلا فلا ، وإن رغمت أنوف أدعياء حرية الجامعات واستقلالها ، ومرضى حماية مجانية التعليم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

===========

حلاوة التطبيع !

تتضور الدولة العبرية شوقاً إلى تطبيع علاقاتها مع الدول العربية!! ولا يمكن أن نتصور أن الصهاينة ذوي الثقافة الغربية ذات العيون الخضر، والعيون العسلية، يهيمون شوقاً بسواد العيون العربية، إحياءً لذكرى عبلة وعزة وبثينة اللواتي خبلن عقول شعرائنا القدامى فتركوا لنا هذا الشعر الخالد في العيون السود.

ولا يمكن أن نتصور أيضاً، أن الصهاينة ذوي الثقافة الغربية الرأسمالية رقت قلوبهم فجأة وخفقت جوانحهم بقيم الإحسان إلى الجار، والتصدق على المحتاجين من بني عمومتهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام).

بل لابد أن لإسرائيل في التطبيع مآرب أخرى غير سواد عيون العرب وإحسان العشرة معهم. وحتى نتعرف هذه المآرب دعونا نتصفح تاريخ التطبيع من خلال الحالة المصرية، باعتبار " مصر السادات" أول دولة قام نظامها الحاكم بالتطبيع مع الصهاينة ضمن صفقة اتفاقيات السلام التي وقعت بين البلدين عام ١٩٧٩ على خلفية اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨م. .

وقد وَرَدَتْ كلمة التطبيع في العلاقات بين إسرائيل والعرب أول ما وردت من اللغة الإنجليزية. لتنتقل الكلمة إلى الوثائق ونصوص الاتفاقيات التي وقعت بين مصر وإسرائيل بقصد إقامة علاقات سياسية واقتصادية بين البلدين وإقامة مشروعات مشتركة، وبما أن مصر كانت في حالة حرب مع إسرائيل، ولم يكن بينهما علاقات سياسية من أي نوع؛ فإن التطبيع كان يهدف إلى إنشاء علاقات لم تكن قائمة أصلاً، وهو ما

يختلف في المعنى والدلالة عن التطبيع الذي يتضمن إعادة الشيء إلى أصله أو جعله طبيعياً.

في هذا السياق يبدو مفهوم التطبيع غير دقيق، بل ومضلّل، فإذا كان القصد منه جعل الشيء طبيعياً، وإعادته إلى أصله فإن مصر والدول العربي لم يكن بينها وبين إسرائيل أي علاقة، وبالتالي يستحيل إعادة شيء لم يكن موجوداً أصلاً.

وإذا نظرنا لاستخدام مفهوم التطبيع في استعادة العلاقات بين الولايات المتحدة والحلفاء ودول المحور بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية نجده صحيحاً، ودلالته محددة فالولايات المتحدة والحلفاء كانت بينهم وبين دول المحور علاقات طبيعية سياسية واقتصادية وثقافية، ثم جاءت الحرب وأعلنت حالة الحرب، ومع انتهاء الحرب طرح مفهوم التطبيع كعملية قُصد منها استعادة العلاقات الطبيعية التي كانت قائمة أصلاً وتطويرها في مواجهة الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية.

إن عدم دقة مفهوم "التطبيع" ومخالفته لواقع وتاريخ العلاقة بين العرب وإسرائيل أثارت وما تزال جدلاً ونقاشاً حاداً حول مفهوم التطبيع وحدوده وأهدافه أو بالأحرى أهداف إسرائيل والمخاطر والفرض التي يتضمنها التطبيع كمفهوم وعملية، فالدول العربية لم تعترف بإسرائيل غداة قيامها عام ١٩٤٨، وقبل هذا التاريخ لم تعرف المنطقة كياناً سياسياً بهذا الاسم.

وقد دخلت إسرائيل في علاقات عداء وصراع مع الدول العربية، وظهرت في المخيلة العربية بصورة العدو المعتدي الذي يحرس المصالح الغربية في المنطقة. من هنا يصعب القول بأن المطلوب هو تطبيع على غرار ما حدث بين دول المحور والحلفاء بقيادة الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بل المطلوب هو إنشاء علاقات لم تكن موجودة

أصلاً وهي عملية صعبة ومعقدة للغاية نظراً لارتباط الصراع العربي الصهيوني بمفاهيم وقيم دينية وثقافية من الصعب تغييرها.

والرؤية الإسرائيلية للتطبيع تقوم على أساس تزاوج الخبرة التكنولوجية اليهودية مع فائض رأس المال العربي والموارد العربية الوفيرة، بما فيها العنصر البشري؛ من أجل تحقيق تطور اقتصادي سريع ومكاسب مشتركة، وكانت النداءات الإسرائيلية من خلال قوى عالمية مؤثرة بإنشاء سوق شرق أوسطية هي أهم مشروعات التطبيع المنظمة التي سعت إسرائيل إلى إنجازها بهدف الاستفادة من العرب، وكانت إسرائيل تتبنى إقامة نظام اقتصادي شرق أوسطي جديد يتحدد عبر ثلاثة مستويات، ذكرها صلاح زكي أحمد (ملف البيان السياسي)، وهي:

- **المستوى الأول**: إقامة تجمع اقتصادي ثلاثي، يجمع بين الأردن والكيان الفلسطيني الوليد، وإسرائيل، على غرار الاتحاد الاقتصادي القائم بين "دول البينيلوكس" الأوربية الثلاث ذات الأحجام الاقتصادية الصغيرة "بلجيكا،وهولندا ،ولوكسمبورج"
- **المستوى الثاني**: إقامة منظمة للتبادل التجاري الحر تضم كلاً من: مصر، وإسرائيل، والكيان الفلسطيني، الأردن، سوريا، لبنان، على أن تنتهي الترتيبات الخاصة بها في حدود عام٢٠١٠.
- **المستوى الثالث**: إقامة منطقة موسعة للتعاون الاقتصادي تشمل بالإضافة إلى منطقة التجارة الحرة بلدان مجلس التعاون الخليجي، تتم في إطارها ووفق التصور الإسرائيلي حرية انتقال رؤوس الأموال.

وضمن تلك التصورات تعد المستويات الثلاثة للتعاون الاقتصادي، مستويات متداخلة ومترابطة، يفضي الواحد منها إلى الآخر، وتعتبر المفاوضات متعددة الأطراف الجارية في سياق مشروع مدريد للتسوية – هي الآلية الفعالة لإقامة هذا النظام الشرق أوسطي الجديد من خلال سلسلة من الترتيبات الاقتصادية الإقليمية الجديدة، فكما هو معروف تغطي "المحادثات المتعددة الأطراف" عدداً من المجالات الحيوية، مثل: قضايا المياه، التنمية والتعاون الاقتصادي، البيئة، بالإضافة إلى الحد من التسلح، وقضية اللاجئين.

وسواء أكان المفهوم تطبيعاً أم شرق أوسطية فإن المطلوب هو القبول العربي بوجود إسرائيل، والتعاون معها اقتصادياً وتجارياً في إطار فتح الحدود والتوقيع على اتفاقيات تنظيم كل ذلك.

وبغضّ النظر عن المخاوف والمحاذير من التطبيع أو الشرق أوسطية فقد ظهرت بعض المتغيرات الجديدة في مسار المواقف العربية من إسرائيل يمكن رصدها على النحو التالي:

١- اتساع قاعدة الصلح والقبول بإسرائيل، فقد وقعت منظمة التحرير اتفاقية الحكم الذاتي في أوسلو، ووقعت الأردن إعلان مبادئ بالسلام في واشنطن، كما تواصلت اجتماعات المفاوضات متعددة الأطراف والتي تناقش قضايا الأمن والحد من التسليح والمياه، والتعاون الاقتصادي واللاجئون والبيئة، وقد جرت بعض هذه الاجتماعات في عدة دول عربية مما يوسع بطريقة غير مباشرة من دائرة التطبيع.

٢- التركيز على مشروعات التعاون الاقتصادي والتجاري وفتح الحدود، وتبادل العلاقات الدبلوماسية في المفاوضات العربية – الإسرائيلية، حيث تطرح

إسرائيل بدعم أمريكي فكرة التطبيع أولاً، وهو ما يعني إقامة علاقات طبيعية قبل الاتفاق على الانسحاب من الأراضي الأردنية والجولان وجنوب لبنان، وقد برزت فكرة التطبيع أولاً في إعلان واشنطن بين الأردن وإسرائيل حيث اتفق الطرفان على عدة مشروعات دون أن يتفقا على الانسحاب من الأراضي التي تحتلها إسرائيل، وكذلك تضغط إسرائيل على سوريا للقبول بالتطبيع قبل الانسحاب من الجولان.

٣- اختلاف وتيرة التطبيع ومستوياته ووجود فجوة كبيرة بين الموقف الرسمي والشعبي للدولة إلى القبول الرسمي بالتعامل مع إسرائيل، والرفض الشعبي بالتعامل مع إسرائيل، فمن الملاحظ أن التطبيع الرسمي إذا جاز القول يتقدم بكثير عن التطبيع الشعبي، ففي مصر والأردن والمغرب تقدم ملحوظ على المستويات الرسمية لا يتواكب معه تطبيع شعبي.

حلاوة التطبيع :

- في مارس ١٩٨٠ توصلت لجنة مشتركة تألفت بين البلدين : مصر وإسرائيل لتفعيل ما تم الاتفاق عليه بين السادات وبيجين من ضرورة "تطبيع العلاقات" وتدارست اللجنة مسألة تشجيع السياحة وانتهت إلى السماح للصهاينة ذوي السيارات الخاصة بدخول مصر عبر ممر رفح البري شريطة أن يثبتوا حيازتهم لمبلغ مائة جنيه مصري لدى نقطة العبور، ثم بعد ذلك فتح خط جوي للملاحة الجوية بين البلدين. بدأ نشاطه برحلتين أسبوعياً وازداد تدريجياً إلى أربع رحلات . وواكب ذلك افتتاح خط لشركة الطيران الصهيونية (العال)واتخاذها مكتباً لها بالقاهرة. ثم تسارعت وتيرة التطبيع السياحي، فتم فتح خط للنقل البري بين

شركة أتوبيس الدلتا المصرية وشركة (أجل) الصهيونية بواقع ٨ رحلات أسبوعياً بين القاهرة وتل أبيب.

- ومن بين مئات الشركات التي تعمل في مجال السياحة في مصر، قبلت سبع شركات فقط العمل مع الصهاينة بتنظيم رحلات بين مصر وإسرائيل، وقد قاطعت غالبية الدول العربية آنذاك تلك الشركات السبع ومنعتها من تنظيم رحلات إليها. فأغدقت عليها الأموال من الحكومتين المصري والإسرائيلية لتعويضها عن هذه المقاطعة العربية. غير أن التحقيقات في حادث أتوبيس سياحي قتل فيه ١١ يهودياً عام ١٩٩٠م كشف فيما بعد عن تلاعب صهيوني دائم بتلك الشركات السبع، حيث تبين أن إسرائيل تقدم للشركات بيانات مغلوطة عن الوفود السياحية والأماكن التي تقصدها في مصر وتتذرع بالدواعي الأمنية حيث إن بعض الشخصيات الإسرائيلية الهامة تختفي بأسماء مجهولة وسط هذه الوفود السياحية العادية.

ثمار التطبيع الشهية !! :

- وفي تقرير نشرته مجلة المجلة في عددها رقم ٥٢٣ الصادر في ١٩٩٠/٢/٢٠م تم الكشف عن عدد من القضايا والجرائم التي تورط فيها سياح إسرائيليون منها:

- شبكة إسرائيلية تم ضبطها قبل بضعة شهور ضمن وفد سياحي تتكون من ١١ فرداً كان بحوزتهم مليونا دولار مزيفة وقد اعترف المقبوض عليهم في التحقيقات بأنهم يعملون ضمن شبكة تهريب دولية مركزها تل أبيب ويتزعمها أحد قادة الجيش الإسرائيلي السابقين ويدعى رفائيل منشأة. كما اعترفوا أنهم تمكنوا من الدخول إلى مصر بدولارات مزيفة عدة مرات ضمن الأفواج السياحية.

- سجلت ٨٠ قضية تهريب وترويج عملات مزيفة من فئة المائة دولار مهربة من تل أبيب إلى مصر عبر أفراد وينظر فيها أما القضاء المصري.
- وإلى جانب شبكات تهريب الدولارات المزيفة هناك شبكات تهريب الهيروين وأخطرها ضبط في منتصف العام الماضي أثناء تهريب الهيروين في معجون الأسنان وأعضاؤها بعض العاملين في المركز الأكاديمي الإسرائيلي ويبلغ عددهم ٥ أفراد وكان قد تم اتهامهم قبل ذلك ضمن شبكة التجسس الإسرائيلية في القاهرة التي كان يتزعمها الملحق العسكري الإسرائيلي السابق والذي طردته السلطات المصرية بالإضافة إلى اثنين من الأمريكيين كانوا يعملون في هيئة المعونة الأمريكية في مصر وشخص سويدي مقيم في القاهرة وموظف مدني سابق بوزارة الدفاع المصرية.
- وهناك شبكات أخرى لتهريب الآثار والقيام بأعمال تجسس في مصر حضر أفرادها ضمن أحد الأفواج السياحية الرسمية في إسرائيل وضبطت أجهزة الأمن المصرية مجموعة من الآثار الصغيرة وأحجاراً كريمة مع مجموعة من الحاخامات اليهود أتوا إلى مصر في أوائل العام الماضي لزيارة المعابد اليهودية.
- كذلك كشفت أجهزة المخابرات العامة في مصر في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ عن شبكة تجسس مكونة من بعض الإسرائيليين داخل أحد فنادق القاهرة في ميدان الحجاز بمصر الجديدة وهي تقوم بعملية جمع وتجهيز المعلومات.
- كسفت شبكات للدعارة الإسرائيلية في مصر كان آخرها خلال شهر يوليو (آب) الماضي في مدينة الإسماعيلية وحي المهندسين بالقاهرة.

وفي ضوء هذا، نستطيع الآن أن نفهم سر ولع إسرائيل بتطبيع علاقاتها مع العرب فهي تدرك مدى حاجتهم إلى الجنس والمخدرات ومدى استعدادهم لترويج العملات المزورة ومدى استعداد "بعضهم" من ضعاف النفوس للعمل كجواسيس لمصلحة الصهيونية. فالتطبيع سيوفر لإسرائيل أسواقاً لنشاطاتها (المتميزة) التي لا تستطيع ممارستها بنفس الدرجة من الحرية في المجتمعات العربية اليقظة.

==============================

جامعات تعلو وجامعات تتهاوى !!

"إن العلم سلاح إسرائيل الجبار الذي يجب أن يستغل ببراعة ومهارة وبكل وسيلة متوفرة لنا" هذه الكلمات منسوبة لـ"حاييم وإيزمان" أول رئيس لدولة إسرائيل وعالم الكيمياء والبارز في ذات الوقت والذي وضع الأسس الأولى لسياسات إسرائيل فيما يتعلق بالنظام الأكاديمي الإسرائيلي والبحث العلمي وقد أنصبت جهود القيادات الإسرائيلية منذ قيام الدولة على إنشاء مؤسسات علمية متينة الركائز تحكمها قواعد علمية صارمة وكفلوا لها كل فرص النجاح اعتماداً على التقاليد العلمية الرصينة من جهة وعلى ما توفرت لهم من فرص الاحتكاك بالمجتمعات العلمية الغربية المتقدمة في أوربا والولايات المتحدة وكذلك في الاتحاد السوفيتي السابقة وساعدهم في النجاح في هذه المهمة استفادتهم من العلماء اليهود في الجامعات الأوروبية والأمريكية والسوفيتية الذين هاجروا إلى الدولة الصهيونية حيث تشير بعض الدراسات الأكاديمية إلى أن نسبة العلماء المهاجرين إلى إسرائيل بلغت ٣٣٪ من إجمالي مجموع المهاجرين عام ١٩٦٨ وأن نسبة الكفاءات الأوروبية تساوي ٦٥٪ من أساتذة الجامعة العبرية وكان الاتحاد السوفيتي هو النموذج الصارخ لهجرة الكفاءات العلمية لإسرائيل وفي تقرير نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٨ يذكر كاتبه أن عدد المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق والمعسكر الاشتراكي بعد انهيارهما إلى إسرائيل منذ نهاي الثمانينات وحتى عام ٢٠٠٠. بلغ حوالي مليون يهودي وتميزت هذه الموجة الجديدة من الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بأنها هجرة نوعية " تمثل قطاعات رقيقة التعليمة متميزة الدراسة ذكر أن ربع مليون منهم على الأقل من حاملي الدرجات العلمية في الطب والهندسة والتكنولوجيا ومنهم عدد يتراوح

بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عالم حاصل على شهادة الدكتوراه وطبقا لتصريحات وزير الاستيعاب الإسرائيلي وصحيفة الحياة اللندنية ١٦/١/١٩٩٦م، فإن تأثير الهجرة لإسرائيل كان بمثابة المعجزة إذ اتاح لنا تشكيل رأس مل بشري خارق، وأضاف أنه.. من بين القادمين ٥٨ ألف مهندس و١٠ آلاف باحث علمي و١٤ ألف طبي وعلى الرقم من أن بعضهم أضطر إلى القبول بوظيفة تقل عن مؤهلاته بسبب عدم توافر وظائف في مجال اختصاصه. فإن المستوى العلمي لهؤلاء يفوق بكثير مستوى الإسرائيليين الأصلي". ولم تكنف إسرائيل باعتصار ينبوع الهجرة من الاتحاد السوفيتي السابق فقط بل اتجهت أنظارها نحو لولايات المتحدة وأوربا لاجتذاب علمائها من الشباب ودفهم لترك بلدانهم والهجرة إلهيا بسيل من الإغراءات ووسائل الترغيب لجعلها " هجرة اختيار" لا "هجرة اضطرار".

وحسب كرم سعيد (مختارات إسرائيلية – ١٢٨٤ أغسطس ٢٠٠٥) فإن إسرائيل تحتل المكانة الأولى في العالم من حيث العدد النسبي لحاملي الشهادات العليا في العلوم الطبيعية من مجموع السكان وإذا عقدتا مقارنة بسيطة بين إسرائيل والدول العربية فيما يختص بالبحث العلمي نجد أن نسبة العلماء والتقنيين في إسرائيل ٧٦٠ لكل ١٠٠٠٠٠ شخص عام ٢٠٠٠ مقابل ٤٥٠ لكل ١٠٠٠٠٠ شخص في مصر و ١٢٥ لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة في تونس كما يصل حجم الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل ٢.٤ ٪ من إجمالي الناتج القويم مقابل ٢٪ في بريطانيا أما متوسط الإنفاق في الدول العربية – حسب تقرير منظمة العمل العربية لعام ٢٠٠٤) يصل إلى ٢ في الألف من الناتج المحلي .وباعتبار النشر العلمي واحداً من أهم المقاييس المستخدمة لتقدير مستوى الإنتاج العلمي لدولة ما واعتماداً على بيانات معهد ISI ومقره فيلاد يلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تم فهرسة المجلات العلمية التي يبلغ تعدادها ٣٥٠٠ مطوعة مصنعة في ثمانية فروع وقد اتضح من تحليل هذه

البيانات أن النشر العلمي للباحثين والعلماء الإسرائيليين حقق ما نسبته ١٪ من البحوث المنشورة في العالم حيث بلغ ١٠٢٠٦ بحوثا إسرائيلية منشورة عام ١٩٩٥ في حين لغ إجمالي البحوث المنشورة للباحثين والعلماء العرب في العام نفسه ٦٦٥٢ بحثا والغالبية العظمى من هذه الأبحاث العربية ليست على المستوى الأكثر اعتبارً علمياً هذا ما أكدته أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في الرياض في إبريل ١٩٩٩، ووفقا لإحصاءات معهد ISI في عام ٢٠٠٣ فإن وفق معيار عدد العلماء الذين ينشرون بحوثا مقارنة بعدد السكان فقد أظهر أن إسرائيل تبوأ المكانة الأولى بنسبة ١١,٧ لكل ١٠,٠٠٠ وتسبق كل من الولايات المتحدة ومعدلها ١٠ وإنجلترا ومعدلها٨,٤٪.

وإذا راودنا الشك في مدى نزاهة الإحصائيات التي يصدرها معهد ISI الأمريكي فلننتقل إلى الدراسة التي أجرتها جامعة جياوتونج الصينية العام الماضي ٢٠٠٥ والتي صنفت الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جميع دول العالم وفق خمس معايير أكاديمية تعتمد بشكل رئيسي على الإنجازات العلمية والبحوث المنشورة في مجلات محكمة وعدد الاقتباسات المرجعية منها والجوائز العلمية ونوعية البرامج وغير ذلك من عناصر التعليم الجامعي والبحث العلمي ويتم ترتيب الجامعات وفق ما تسجله من نقاط في جدول يضم أرقى ٥٠٠ جامعة ومؤسسة تعليمية على مستوى العالم إضافة إلى تصنيفات إقليمية مثل أرقى ١٠٠ جامعة أوروبية و١٠٠ جامعة آسيوية .... إلخ وأشارت الدراسة إلى ورود الجامعة العبرية بالقدس في الترتيب٩٠ وجامعة تل أبيب رقم ١٠١ ومعهد وايزمان ١٠٥ وثلاث جامعات أخرى في المائتين الثالثة والرابعة واحتلت إسرائيل المرتبة ١٢ في الترتيب العالمي للدول وفي الترتيب الأسيوي جاءت الجامعة العبرية في الترتيب

السابع واحتلت جامعة تل أبيب الترتيب التاسع ومعهد وايزمان في الترتيب ١٨ وجامعة بارايلان ٣٨ ومعهد التحتيون ٢٢ وجامعة بن جوريون ٣٩ واحتلت إسرائيل المرتبة الثانية من بين الدول الآسيوية بعدا ليابان أما الجامعة العربية التي يبلغ عددها ١٨٤ جامعة فلم يرد ذكرها على الطلاق! أما من حيث مصداقية ونزاهة فيكفي أن نتوقف عند الحقائق التالية:-

١- الجامعة الصينية التي قامت بالدراسة جاء ترتيبها ي موقع متأخر من القائمة (٤٠٤) ولا تتضمن القائمة أي جامعة صينية في المائة الأولى منها.
٢- الصين كبلد جاء في الترتيب التاسع عشر من القائمة وما لا يتناسب مع امكاناته العلمية والبشرية.
٣- جامعة تايوان الوطنية جاء ترتيبها في المرتبة ١٥٣ مثل أي جامعة صينية والكل يعرف حساسية الصين دولة وشبعاً تجاه تايوان.

وبالنسبة لنا كعرب لا توجد مصلحة للجامعة الصينية في عدم ذكر أي جامعة عربية في القائمة كما أنها ليست صاحبة مصلحة في تعظيم التوافق الإسرائيلي دون وجود ما يدعو لذلك.

الجيش الإسرائيلي كان هو الحاضن الأكبر وكذل المستفيد الأكبر للطفرة العلمية في إسرائيل وربط قادة إسرائيل دوما بين العلم والتكنولوجيا والتفوق العسكري الإسرائيلي على البلدان العربية ويقول البروفيسور جادى أريفا أحد أساتذة جامعة تل أبيب في هذا الصدد: "إذا أردت أن نفهم صناعات التقنية العالية في إسرائيل ، عليك أن تبدأ بفهم الجيش". ومنذ عام ١٩٤٨ أنشئ في صفوف الجيش الإسرائيلي فرعا باسم "سلاح العلوم" تحول بعد ذلك إلى "قسم البحث والتخطيط" التابع لوزارة الدفاع وهو ما يطلق عليه الاسم

اسم "هيئة تطوير الوسائل القتالية" المعروف اختصاراً باسم "رفائيل" وقد تحدد مهمة "رفائيل" في تطوير وسائل قتالية جديدة عن طريق التكنولوجيا المتقدمة جداً وللعاملين بها صفة موظفي الحكومة وإن كانوا يتمتعون بامتيازات العاملين في حقول البحث العلمي بمعاهد التعليمي العالي وفي عام ١٩٨٣ كان يعمل بها نحو ستة آلاف موظف معظمهم من الفنيين رفيعي المستوى وقد لعبت هذه الوحدة دوراً هاماً في تطوير الصواريخ "أرض-أرض" والصواريخ "ارض-جو" من طراز "شافيت" كذلك في تطوير نظم التوجيه ونظم الحرب الإلكترونية والصواريخ "جو – جو" وأجهزة الكمبيوتر المرتبطة بالتطبيقات العسكرية والقنابل الذكية كما لعبت "رفائيل" دوراً بارزاً في تطوير برنامج الصواريخ البحرية "غابربيل" شطح –سطح" ويكفي أن نعرف– وحسب الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية عام ١٩٨٠ أن أكثر من ٧٦٪ من إجمالي الإنفاق القومي المخصص للبحث العلمي إلى الأبحاث العسكرية أو تلك المرتبطة بالأمن القويم وهذه النسبة هي الأعلى في العالم فيما يتعلق بمعدلات الإنفاق على البحوث العسكرية إذا ما قورنت بدول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرى أحمد بها الدين شعبان (إسرائيل من الداخل – أعمال المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية – القاهرة ٢٨ – ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢) أن مجال الكمبيوتر وصناعة المعلومات من أكثر المجالات نجاحاً في إسرائيل ضمن حقول البحث العلمي المختلفة وحسب مجلة "وايرد" الأمريكية المتخصصة في شؤون المعلوماتية وتقنيات الكمبيوتر فإن إسرائيل حازت المركز الرابع من حيث التأثير على صناعة المعلوماتية في العالم كما يوجد في إسرائيل أكثر من نصف عدد وصلات الانترنت في منطقة الشرق الأوسط ونقلا عن مجلة نيوزويك الأمريكية ذائعة الصيت فإن "إسرائيل هي الجهة العالمية

الوحيدة المؤهلة لمنافسة وادي السليكون" بكاليفورنيا في مجال صناعة أجهزة الكمبيوتر وتطور هذه الصناعة، وتصنف إسرائيل في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الشركات الجديدة ذات الصلة بالكمبيوتر، التي انتشرت في عقد التسعينيات الماضي".

ومثلت إسرائيل بما امتلكته من بنية أساسية جيدة وكوادر مهنية عالية التأهيل وبما طرحته من ميزات استثمارية مغرية منطقة جذب ضخمة لكبريات الشركات العاملة في جال تكنولوجيا المعلومات ومن أبرزها.

- شركة **IBM**: التي أنشأت واحداً من أهم مراكزها (المحدودة) في الخارج بإسرائيل عام ١٩٧٤.
- شركة **Microsogt**: عملاق شركات البرامج العالمية التي أنشأت فرعها عام Microsoft - Israel ١٩٨٩.
- شركة هيولت – باكارد H-P أنشأت منها إسرائيل أيضا في أواخر الثمانينات من القرن الماضي.
- شركة **Motorolla**: يعتبر فرع إسرائيل من أقدم الفروع الأجنبية للشركة حيث تأسس عام ١٩٦٤ وصدر منذ ١٩٩٥ وحتى ١٩٩٩ بحوالي ٦٠٠ مليون دولار.
- شركة **Intel** : ومصنعا في إسرائيل يمثل أكبر مصانع الشركة خارج الولايات المتحدة وينتج فيه معالج "بنتيوم – ٤".
- لعلنا ندر الآن لماذا يصر تقرير اليونسكو "العلم في العالم" الصادر عام ١٩٩٦ على أن الجامع العبرية بالقدس تتفوق على ما تنجزه الجامعات العربية مجتمعة فيما يتعلق بنشر الأبحاث العلمية.

==================

" تعقيم" التعليم !!

= هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد الفصول الدراسية التي تضم ستين تلميذا ومساحات الغرف التي يدرسون بها وحالتها من حيث التهوية والتدفئة والإضاءة ؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد المدارس التي تعمل فترتين ، وتلك التي تعمل ثلاث فترات؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد المعلمين الذين يعانون من حالات صحية تبلغ حد العجز وما تزال القوانين تلزمهم المواظبة وممارسة المهنة – على الورق – في مدارسهم؟

= و هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد مئات الآلاف من الجنيهات التي صرفت كمكافآت وأجور وحوافز لثلة معينة تحيط بكل من الوزيرين؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد المرات التي قام فيها أي أستاذ أو باحث مصري في أي من تلك المؤسسات البحثية التابعة للوزارة بدراسة ميدانية حقيقية حول وضع من الأوضاع السابقة أو ما يشابهها؟ ويرينا كيف استعانت الوزارة بنتائج دراسته في حل مشكلة بعينها؟

= و هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد التلاميذ الذين انقطعوا عن الدراسة لعدم قدرة أسرهم ماديا على مواجهة مصروفات التعليم؟

= و هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد موظفي وزارة التعليم العالي الذين يتقاضون (إكراميات !!!!!!) من مستشفيات جامعية تابعة لوزارتهم ؟ ومن معاهد عليا خاصة تابعة لوزارتهم؟ أو أولئك الذين عينوا ذويهم في تلك المعاهد الخاصة (ولو على الورق) لتسويغ تقاضي ال.... إكراميات !!! ؟

= و هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد النواب والوزراء وكبار المسؤولين الذين يستصدرون التراخيص التجارية والتوكيلات بأسماء زوجاتهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتهم اللائي خلفنهم ؟ وحلائل أبنائهم ؟

إلى هؤلاء وهؤلاء أقدم النص الآتي المقتبس من افتتاحية صحيفة هاآرتس الصهيونية يوم ٥/١١/٢٠٠٧ :

[واجه المدرسون المتظاهرون منذ أكثر من ثلاثة أسابيع في مفترقات الطرق الرئيسية في أنحاء البلاد والذين يحتجون على وضع التعليم – واجهوا ظاهرة جديدة في الفترة الأخيرة، ألا وهي انضمام أولياء أمور وطلاب وغيرهم كثيرون إليهم، والإعراب عن التضامن معهم.

صحيح أن بداية الاحتجاج كانت في الإضراب الذي اندلع في العاشر من أكتوبر إلا أنه يشمل الآن جمهوراً غفيراً ومتنوعاً. حتى الآن شارك آلاف عديدة في عمليات الاحتجاج التي لم تعد تتركز فقط في التظاهر ضد سياسة الحكومة في التعليم، وإنما تأخذ طابع النقاش المعمق حول وضع الهيئة التعليمية ووضع المدرسين في إسرائيل.

يبرز الأمر بوجه خاص في المخيم الذي أقيم في "حديقة الورود" أمام الكنيست والذي يتركز فيه جانب كبير من الاحتجاج في القدس. يملأ مدرسون المخيم بالتناوب حيث

يلقون دروسا حول التضامن العمالي والمواطنة. ويجرون نقاشات واعية حول التعليم.. صحيح أن الأمر يتعلق بنتيجة جانبية للوهلة الأولى للإضراب. لكنها في حقيقة الأمر مهمة للغاية: فهذه هي المرة الأولى، منذ فترة كبيرة التي يجرى فيها في إسرائيل حوار "تربوي – قيمي" حول غايات التعليم، وحول طرق تحقيقها، وحول صعوبة التعليم في فصول تضم ٤٠ تلميذا، وحول تأثير الاستقطاعات المالية الكبيرة على الساعات التدريسية في السنوات الماضية، وكذلك حول وضع المدرس.

تجرى عمليات احتجاجية مماثلة في أماكن أخرى هي، في معظمها، ثمرة مبادرة محلية من المدرسين وأولياء الأمور على السواء، مما لاشك فيه أن الإضراب كشف عن عدم ارتياح للحالة التي وصلت لها الهيئة التعليمية. ويبدو أيضا أن الجمهور يعي أن الأمر لا يتعلق فقط بكفاح نقابة مهنية من أجل الأجور، وإنما القضية المحورية في هذا الكفاح تتعلق بالمجتمع كله.

وعلى خلاف تخوفات مسئولين كبار في وزارتي المالية والتعليم، فإن الاحتجاج ليس موجهاً من فوق. صحيح أن نقابة مدرسي المرحلتين الإعدادية والثانوية تحاول التنسيق بين العمليات، لكنها لا تهيمن عليها ولا تملي جوهرها ، غير ذلك، لا يتردد المدرسون الذين ينظمون الاحتجاج في أنحاء البلاد في انتقاد كبار مسئولي النقابة، ويبدو أنهم سيردون حتى بحدة إذا هم أبدوا استعداداً للتنازل عن مطالب من قبيل تقليص عدد التلاميذ في الفصول.. الحقيقة أن مسئولي النقابة يدركون ذلك، ولذا تعهدوا علنا بألا يقبلوا أي اقتراح لا يتضمن اهتماماً بمطالب تقليل عدد التلاميذ وإعادة الساعات التدريسية.

حتى الآن ترفض الحكومة التعهد بذلك، رغم أن إضراب المدرسين في المدارس الثانوية، وفي جزء من المدارس الإعدادية، دخل أسبوعه الرابع، واستمراره منوط بقدر كبير

بقرار محكمة العدل. ومهما يكن قرارها، فإن النتيجة البديهية للإضراب هي تفجر الحوار العام حول التعليم اللائق.

ولكي ينتهي الإضراب، فإنه يتعين أيضا على وزارتي المالية والتعليم أن تعترفا بأن الأمر لم يعد يتعلق بكفاح حول زيادة في الأجر. لقد فهم الجمهور أن الهيئة التعليمية غارقة في أزمة عميقة تفوق قضية النسب التي ستضاف إلى أجور المدرسين.]

وبعد قراءة هذا النص : هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد من يهمهم أمر المقارنة بيننا وبين الصهاينة في شأن التعليم؟ إنهم يتظاهرون من أجل تخفيض عدد التلاميذ عن أربعين تلميذا !!! وأنا أعرف مدارس (يتكوم) فيها ستون تلميذا في غرف ليست معدة لتكون فصولا بل لتكون مخازن!! ومع ذلك فإن معدل إنشاء المدارس الجديدة في تراجع مخيف من جاءنا عاطف ومن بعده نظيف . إن تعليم الصهاينة (بهذا الوعي الجماهيري وبهذا الحس الحكومي الذي لديهم) سيظل ولودا ودودا وستتبوأ جامعاتهم المراكز الأولى بأي مقاييس عالمية كما حدث عام ٢٠٠٣، وسيظل تعليمنا (بهذه الغفلة الجماهيرية وبهذا التبلد والغباء الحكومي المتوطن) عقيما..عقيما ... عقيما !!!

فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك .

===================

بِمْ ...!!

كلمة (بِمْ) بكسر الباء وسكون الميم ، تشيع في العامية المصرية ولا سيما في قولهم (ما حدش يقدر يقول بِمْ !!) ودلالتها قريبة من دلالة (تلت التلاتة كام؟) في قولهم (ماحدش قادر يقول تلت التلاتة كام ؟) وتنحصر هذه الدلالة في عجز (أو صمت أو نفاق) من يشعر بالغبن أو بالقهر أو بمجاوزة الحد عن مواجهة من يقهره أو يغبنه أو يتجاوز حدوده . عجز خاص : ينم عن خوف شديد ، أو صمت ينم عن قهر شديد ، أو نفاق ينم عن ضعف شديد.

وأيا ما كان الحال، فإن النتيجة واحدة : يزداد الطاغي طغيانا ، ويظن نفسه ملهما قدّيسا لا يخطئ ، لأنه لا أحد يعارضه ، ويزداد الضعيف ضعفا ، والمقهور قهرا ، ويظن نفسه مبتلًى

ويبشره علماء الطغيان بأن الابتلاء لون من الاجتباء ، وكلما تمادى في صبره على الابتلاء اقترب أكثر من أبواب الجنة وازداد حظه من الحور العين ، لأن الصبر على الابتلاء لا حدود لما وراءه من مثوبة .

ومن هنا تروج بين الدهماء أفكار التبعية والولاء والصبر على البلاء والسمع والطاعة لأي " بتاع أو بتاعة " ، ويصبح الحق غريبا ، والمُطالِب به عجيبا ، ولو كثر المطالبون فسيظلون دائما في خانة التمرد لأنهم [.. شرذمة قليلون] ويصبح قول (بِمْ...) مؤشرا على الخروج ، وتهديدا لاستقرار تجار الآثار وأصحاب البروج ، وإيذانا بخروج يأجوج ومأجوج .!!

وفي أوائل شهر أبريل من عام ٢٠٠٨ [بَمْبَمَ] بعض الفتيان والفتيات بحواسيبهم ومحمولاتهم ، وتنادوا بلزوم البيوت ، وعدم الخروج ، حتى لا يُتَّهَموا بـ"الخروج " ، وتكاثر

قول (بم) على مواقع الشباب ، حتى أقلقت (بِمُّهم) تلك كبريات الأسماء والألقاب فاهتزت لطنين تلك ال(بم) الرقيقة عروش محافظين فطارت في الهواء ، ومادت مقاعد رتب كبيرة فغاصت في الماء ، وعاد الشباب إلى عبثهم بحواسيبهم ومحمولاتهم لاهين ضاحكين بعد أن استهوتهم اللعبة ونووا تكرارها ليستمتعوا برؤية العيون الراقصة المتربصة وهي تبدو على الشاشات متلصصة ، وليستمتعوا برؤية الكروش والمؤخرات الملأى وهي في المقاعد- أمام حسناوات المذيعات – غائصة، وليروا أقدام الكبار تختل حين يمشون وكلماتهم تتقاطع وتتلوى حين يتكلمون فلا يكادون يُبِينون عما يشعرون .

ولعل الشباب ضحكوا وأسرفوا في ضحكهم حين انتهى إليهم نبأ تجزئة بعض المحافظات ، و" تلوية " بعض المحافظين ، ثم بعدما استبان لذوي الشأن أن تلك التجزئة جاءت ضيزى فعدلوا عنها ، وعدّلوها مسرعين ليتبين للناس ألا دراسة علمية سبقت تلك التجزئة التي أعقبت " انتحابات " المحليات ، فأوجبت – أي التجزئة – إما تقسيم الأعضاء أو اختيار غيرهم .

ولعل الشباب ضحكوا وأسرفوا في ضحكهم حين رأوا أن تلك ال(بم) الصغيرة التي يكتبونها في منتدياتهم آناء الليل وأطراف النهار ويلهون بها لينسوا ما هم فيه من همٍ بالليل ومذلةٍ بالنهار ، وبطالةٍ بين الليل والنهار ، تحرك جيوشاً ، وتبدّل عروشا ، وتهز كروشاً فأسروا تكرارها يتلهّون بها ويرون فيها مغازلةً لحكومة لا تعرف عنهم إلا أنهم – وإن تكاثر عددهم - [....شرذمة قليلون] " صائعون " لم تعرف التربية الحق طريقا إلى نفوسهم القلقة

ولكن الحق الذي لا شك فيه أن هؤلاء (العيال) لن يكفّوا عن عبثهم بحواسيبهم ولا عن تلاعبهم بمحمولاتهم ، ولن يصح أن يلعبوا بنا كما يحلو لهم .. فهل نتركهم هكذا

يتمادَوْن في غيّهم ؟ ونفكك لهم المحافظات فلا يقنعون ؟ ونطيّر لهم رؤوس المحافظين فلا يكتفون ؟ الحق أن هذه لعبة خطرة شديدة الخطر. ولا يصح أن يسكت وزير التعليم غير العالي بل يجب عليه أن يجدّ ويكدّ في عقد المؤتمرات و"مأمرة" المنعقدات وأن يغيّر أرقام الجلوس وأرقام القيام وأرقام الركوع حتى ينتهي الموضوع فلن تسلم الجرّة في كل مرّة والحمد للّٰه أنها طالت المحافظين ولم تنل من الوزراء نيْلا .

ولا يصح أن يسكت وزير التعليم العالي بل يجب عليه أن يتخير من أولئك الشبّان فريقا يدفع بهم إلى معسكرات إعداد " القادة " التي يقتطع لها من ميزانيات الجامعات ملايين ينفقها على (شرذمة منتفعين) بلا أي طائل ، وليطلب منهم – هذه المرّة – أن يجعلوا لأولئك الشبّان نصيبا من كعكة المشروعات وتنمية القدرات وقدرنة التنميات . حتى يبعثوا أولادهم إلى فرنسا ليتعلموا بمئات الآلاف من الفرنكات – كما يفعل معاليه – من مرتبه!!! فيعودوا شبابا هادئا لا يقولون لشيء (بم) .

ولا يصح أن يسكت وزير الأوقاف بل يجب عليه أن يأمر وعاظه وخطباءه أن يوجّهوا الشباب المتفيّس (= مرتادي ال FACE BOOK) إلى أن الدنيا زائلة وأن خير ما فيها هو العمل الصالح الباقي . أفلا ينظرون إلى الوزير كيف دفع بأموال وَقَفَها أصحابها على أعمال البرّ ليسهم بها في تعمير توشكى ؟ وهل هناك بِرٌّ أبرّ من توشكى في هذه الدنيا الفانية الزائلة؟ أفلا ينظرون إلى معاليه ينفق عشرات الملايين على الرسيفرات ليؤذّن للقاهرة كلها مؤذّن واحد حتى يأمن أهلها من الضجيج والضوضاء التي لا مصدر لها إلا تعدد الأذان؟ ولعل الشباب يسمعون لمعاليه فيقتدون ويتأثرون ولعلهم لا يسرفون على معاليه في هذه الورطة الرسيفرية التي دهمته من حيث لا يحتسب حين تقسمت القاهرة إلى محافظات ثلاث ، أفيكون توقيت ٦ أكتوبر هو ذاته توقيت عزبة النخل؟

ولا يصح أن يسكت علماء التليفزيون الرسمي الذين لا يشاهدهم إلا مَن كَتَبَ الله عليهم العمل بالتسجيل والإضاءة وما إليها فهم يسمعونهم – أثناء التسجيل – مُكرَهين – [مع أنهم يعلمون ألا إكراه في الدين] فعلى هؤلاء العلماء الأفاضل أن يبصِّروا هؤلاء الشبان بأن قول (بم) قد يرتفع بقائله من مستوى "المكروه " إلى مستوى "الحرام " فعليهم أن يتوبوا إلى ربهم ، ويحطموا تلك الحواسيب وأجهزة المحمول لأنها من البدع ، وكل بدعة ضلالة ، ولكل ضلالة دلالة ، فهي تدل – إذا أسرفوا على أنفسهم وعلى قومهم في استعمالها – على أنهم [... شرذمة قليلون] لإيران منتمون، وبـ "روسيا " معجبون، ومن حماس مموَّلون وإلى جهنم مصيرهم لو كانوا يعلمون.

فيا أيها الشبان : ثوبوا وتوبوا، الصبر على الابتلاء من علامات الإيمان . وقول (بم) عيب على من كان في مثل ثقافتكم الرفيعة التي لولا فضل الله وكرم وزير التعليم العالي وسخاؤه مع الجامعات ما ظفرتم بها يوم كنتم تدرسون .

==========================

بالتربية لا بالقانون !!

زفت إلينا القنوات الفضائية تقارير دولية حديثة تؤكد أن مصر تحظى بمكانة دولية رفيعة فهي – وحدها – تختص بالثلث أي بنحو ٣٠٪ من ضحايا الطرق على مستوى العالم !! ولعل هذا التميز يعوضنا عن الهزائم النكراء في بقية ميادين الحياة ، وخروجنا من المنافسات الدولية في أي مضمار.

والغريب أن حكومتنا الإلكترونية توظف كل كوارثنا لجباية الأموال، فكل تشريع يصدر يندر أن يكون وراءه هدف إلا (تنفيض) جيوب المطحونين ، ومن أبشع ما صدر هذا العام قانون المرور ، فمنذ صدوره تزايدت حوادث الطرق وتضاعفت أعداد الضحايا .

والحل في قضايا المرور والتحرش والنشل والتثبيت والسطو وغيرها من جرائم الشارع لا يكون أبدا بالتشريع ، بل يكون بالتربية ، والتهذيب ، ووجود القدوات الصالحة في كل المواقع

ولقد أنزل الله تعالى كتابه العزيز ليكون هادياً للمؤمنين ، ودستوراً شاملاً لحياتهم ونبراساً يسترشدون بنور هديه فيستقيم سلوكهم وفق الشرع الحنيف، ولذلك لم يفرط ربنا عز جاهه في شيء كما قال تعالى : : { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ } [الأنعام ٣٨/]

وإذا جهد العلماء –بشتى تخصصاتهم – في تدبر القرآن الكريم فسيجدون لكل مشكلة حلا، ولكل أزمة سبيلاً ، ولكل مأزق مخرجا .والتربويون على وجه الخصوص مطالبون أكثر من غيرهم بتدبر القرآن ، والنظر في أسراره ، بحكم كونهم معنيين بدراسة السلوك البشري ، ومحاولة إقامته على أرشد السبل وأقومها .

والمرور في الأصل ليس مشكلة بذاته ، لكن ما اكتنف حياة الناس من تسارع وتنافس ، وحب للغلبة ، ورغبة في التفاخر والتظاهر ، وما تعانيه الطرق من ازدحام وتكدس وتقصير المختصين في توفير أماكن للوقوف ، وانعدام التربية الأسرية السلوكية أو ضعفها واختلاط التشريعات الخاصة بالمشاة والسائقين وإشارات المرور...الخ ، كل تلك المؤثرات جعلت من عملية " المرور" مشكلة نراها جديرة بالبحث والتحليل في ضوء معطيات الكتاب العزيز.

آداب سير المشاة :

لقد نبهنا القرآن الكريم إلى أن للسير في الطرق آداباً وأحكاماً يجب مراعاتها منها :

١ - الاعتدال والتمهل:

قال تعالى: { وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ } **[لقمان / ١٩]**

أي امش مقتصداً مشيا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط بل عدلاً وسطاً بين بين، وهذه الآية وردت في سياق وصية لقمان لابنه فبعد ما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال: "واقصد في مشيك" أي توسّط فيه. والقصد: ما بين الإسراع والبطء؛ أما ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام من أنه كان إذا مشى أسرع، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كان إذا مشى أسرع - فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت؛. وقد مدح الله سبحانه من هذه صفته فقال تعالى :

{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ } **[الفرقان/ ٦٣]**

أي يمشون بسكينة ووقار من غير تجبر ولا استكبار، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياء وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا".

وقوله تعالى: "هونا": الهون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار. وفي التفسير: يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد. والقصد والتؤدة وحسن السمت من أخلاق النبوة. وروي في صفته صلى الله عليه وسلم أنه " كان إذا زال زال تقلعا، ويخطو تكفؤا، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب." [التقلع: رفع الرجل بقوة والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي وقصده. والهون : الرفق والوقار. والذريع الواسع الخطا؛ أي أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه؛ خلاف مشية المختال] كما قال القاضي عياض.

٢- خفض الصوت :

ومن آداب السير أيضا خفض الصوت ، ويدخل في ذلك – في رأينا – ما يلجأ إليه بعض السائقين من إساءة استعمال زامور السيارات، وارتفاع أصوات الأغاني الصادرة من المذياع أو أجهزة التسجيل وأصوات الناس أنفسهم فإن في ذلك كله إزعاجاً لسكان المنازل المتاخمة للطرق ، كما أن فيه إرباكا للسائقين الآخرين ، وقوله تعالى (واغضض من صوتك) أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ، ولا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع؛ وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرْيَطاؤك! [والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير. **والمريطاء: [ما بين السرة إلى العانة]**

وقوله تعالى "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" أي أقبحها وأوحشها؛ والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه؛ وفي الآية دليل على قبح رفع الصوت في المخاطبة وتشبيه له بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية. وفي الصحيح عن النبّي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال: (وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا باللّٰه من الشيطان فإنها رأت شيطانا). وهذه الآية أدب من اللّٰه تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة؛ وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، حتى قال شاعرهم:

جهير الكلام جهير العطاس

جهير الرواء جهير النعم

ويعدو على الأين عدوى الظليم

ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهى اللّٰه سبحانه وتعالى عن هذه الخلق الجاهلية بقوله: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" أي لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار؛ فجعلهم في المثل سواء.

وبذلك نتأدب بأدب القرآن الكريم ، ونرى في إساءة استعمال آلة التنبيه في السيارات تشبها بأخلاق الجاهلية ، إذ إن الضغط على تلك الآلة باستمرار ، واختيار الأنواع المزعجة منها فيه نوع استكبار واستعلاء وتفاخر وكلها من صفات الجاهلية .

٣- غض البصر :

وهذا الخلق ليس بعيداً عما نحن بصدده، فالسيارات لها حكم المسكن من جهة الحرمة فلا يحل للمشاة ولا للسائقين أن يدققوا النظر في سيارات الآخرين لئلا ينتهكوا حرماتهم ويسببوا لهم الحرج .

٤- حمد الله على نعمة الطرق :

إن الله تعالى امتن على عباده بما مهد لهم من الطرق، ونحن نرى ما تعانيه الدول حاليا حين تتكلف شق طريق وتمهيده، فتنفق الأموال وقد تهدر الأرواح – كما حدث في شق قناة السويس وكان الضحايا بالآلاف – فما خلقه الله تعالى من طرق ممهدة نعمة جديرة بالشكر والحمد والامتنان ، قال تعالى : { ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾} [طه / ٥٣] وقال أيضا :

{وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ } [الأنبياء /٣١] وقال أيضا : { وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ } [نوح /١٩- ٢٠] وفجاجا : أي واسعة ، أي أن بسط الطرق الواسعة ، وتمهيدها للسير، مما ييسر على الناس الضرب في مناكبها ، لطلب الرزق ، وابتغاء فضل الله حيثما وجد ، **وقال جل شأنه** :

{ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ } [الزخرف / ١٠]

ولذا فيجب على كل مسلم شكر الله على نعمة الطرق وتيسير وسائل الوصول للأماكن المختلفة.

آداب القيادة في ضوء القرآن الكريم:

يقول تعالى : {وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ } [الزخرف/١٢- ١٣]

تضمنت هاتان الآيتان آداب استعمال الدواب والمركبات الميكانيكية التي عبر عنها بالنوع الذي كان معروفا للعرب وقت نزول القرآن وهو السفن: " الفلك " ، والأنعام المقصودة هنا هي الخيل والبغال والحمير والإبل فهي التي تُركَب ، فكأن النوعين المذكورين في الآية يشملان ما يُركب في البر والبحر ، والآداب المتضمنة في تينك الآيتين هي :

١-الإيقان بأن تلك المركوبات لم تكن لتذلل للإنسان إلا بتسخير الله تعالى إياها

٢-إحسان قيادتها وقد عبر عنه بالاستواء على ظهورها .

٣-تذكر نعمة الله في تذليلها حال الاستواء عليها.

٤- التعبيرعن شكر الله على تسخيرها بتسبيحه وتحميده .

٥- التبرؤ من الحول والقوة ، فالإنسان – من جهة القوة البدنية – أضعف كثيرا من أي من تلك المركوبات ، ولولا فضل الله ورحمته لما استطاع السيطرة عليها .

٦- التيقن من لقاء الله ، وذلك ورد في الآية التالية لتينك الآيتين وهي قوله تعالى:

{وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ } [الزخرف / ١٤] وهذا التيقن يجعل المؤمن قريبا من ربه ، متحسبا للموت في أي لحظة ، فزعاً من إزهاق أرواح أي من مخلوقات الله بله الإنسان .

نظرة لغوية في الآيات :

عن قوله تعالى: "لتستووا على ظهوره" قال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس، فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند؛ فلذلك ذكر، وجمع الظهور، أي على ظهور هذا الجنس.

وقال القرطبي : قوله تعالى: "لتستووا على ظهوره" يعني به الإبل خاصة بدليل ما ذكرنا. ولأن الفلك إنما تركب بطونها، ولكنه ذكرهما جميعا في أول الآية وعطف أخرها على أحدهما.

وقوله تعالى: "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين؛ في قول ابن عباس والكلبي. وقال الأخفش وأبو عبيدة: "مقرنين" ضابطين. وقيل: مماثلين في الأيد والقوة؛ من قولهم: هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة. ويقال: فلان مقرن لفلان أي ضابط له. وأقرنت كذا أي أطقته. وأقرن له أي أطاقه وقوي عليه؛ كأنه صار له قرنا. قال الله تعالى: "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين. وأنشد قطرب قول عمرو بن معديكرب:

لقد علم القبائل ما عقيل

لنا في النائبات بمقرنينا

وقال آخر:

ركبتم صعبتي أشرا وحيفا

ولستم للصعاب بمقرنينا

و قال ابن السكيت: وفي أصله [أي الإقران] قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من: أقرن يقرن إقرانا إذا أطاق. وأقرنت كذا إذا أطقته وحكمته؛ كأنه جعله في قرن - وهو الحبل - فأوثقه به وشده. والثاني: أنه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير؛ يقال: قرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينه.

تذكر الموت واجب على كل راكب وقائد مركبة :

والذي نلاحظه في مجتمعاتنا العصرية ، من طيش وغرور في قيادة السيارات والدراجات البخارية والشاحنات وما إليها ، مرده إلى نزق الشباب ، وقلة التدين ،

والغفلة عن تذكر الموت ، والاغترار بقوة السيارة ومتانة صناعتها وجودة كوابحها وسلامة أجهزتها ومهارة قائدها ، غير أن ذلك كله ليس بشيئ إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، ولذلك قال القرطبي رحمه الله :

"علمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن؛ وهي قوله تعالى:

"وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾"

[هود/٤١] فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك. وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا.

وحكى سليمان بن يسار أن قوما كانوا في سفر وكانوا إذا ركبوا قالوا: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" وكان فيهم رجل على ناقة له رازم [الرازم من الإبل: الثابت على الأرض لا يقوم من الهزال.] فقال: أما أنا فاني لهذه لمقرن، قال: فقمصت به فدقت عنقه. وروي أن أعرابيا ركب قعودا له وقال إني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه. ذكر الأول الماوردي والثاني ابن العربي. قال: وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان؛ فيقول متى ركب وخاصة في السفر إذا تذكر: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له بمقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والجور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال؛ يعني بـ "الجور بعد الكور" تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه. وقال عمرو بن دينار: ركبت مع أبي جعفر إلى أرض له نحو حائط يقال لها مدركة، فركب على جمل صعب فقلت له: أبا جعفر! أما تخاف أن يصرعك ؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (على سنام كل بعير شيطان إذا ركبتموها

فاذكروا اسم الله كما أمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله) [أي أنها إنما تحملكم بأمر الله وتسخيره]. وقال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله، فلما استوى على الدابة قال الحمد لله، ثم قال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" ثم قال: الحمد لله والله أكبر - ثلاثا - اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" .

ويذكر القرطبي حالة من الغرور في عصره تشبه بعض أحوال شباب المسلمين الغافلين في أيامنا هذه فيقول إن على الراكب أن يكون على ذكر دائم لله ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أوفي بعض الزوارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يستقون حتى تمل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم؛ لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره.

وروى ابن كثير في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إذا رجع إلى أهله قال آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون وهكذا رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

==========

إرشاد اللبيب إلى فنون التسريب !!

حدثنا أبو دجاجة بن ديك بن فروجة الرومي عن أبي البصل بن صلصة بن قوطة المعروف بالذبيح قال: زرت أصبهان عام ست وستمائة لآخذ العلم عن مشاهير علمائها وأتلقى الإجازات عن جِلَّة من كبار مشيختها ، فلقيت هناك أبا الفرج البيلاوي المعروف بظرفه ولطفه ، وأقمنا مع عدد من طلاب العلم في خان نظيف يقال له (هوليداي إن) قريب من مساكن الجن، في واد من وديان أصبهان البديعة، لم يجدوا له اسما فلقبوه بـ"شرق التفريعة ".!!

وطاب لنا هناك المقام ، نتلقى النحو والصرف واللغة والعروض وجه النهار على شيوخنا فإذا جننا الليل طابت أوقاتنا بالسهر، وأذهبنا عن أنفسنا العناء بالضحك والسمر، وذات ليلة طلبنا من أبي الفرج أن يقص علينا من غرائب تلك البلدان ، ما تطرب له النفوس فتنسى الغربة والأحزان ، فقال :

" جرت كائنة من الغرائب في عهد مولانا الوزير الصالح جمل الدين بن هلال الدين بن شهاب الدين بن بهاء الدين المراجيحي الملقب بالعادل ، فقد كان الطلاب يؤدون امتحانات الثانوية العامة في بلاد سيحان وجيحان، فجاءهم في التفاضل سؤالان وجيهان، فعجز عن حلهما الأحمران والأخضران والأبيضان والأسودان ، والقائمان والنائمان ، ولم يبق في عموم القطر من له ابن يمتحن إلا وفقد بصره وطلق امرأته وأدمن الأفيون ، أو دخل السجون ، وواضعو تلك الامتحانات في تلك البلاد ، يبغضهم العباد ، فهم قوم غلاظ شداد في غلظ الجاموس، قصيرة قوائمهم ، لهم أخفاف ثقال ، وهم فى ألوان الخيل ولكل منهم أنف كأنف أبي ذؤابة، وأذنان صغيرتان كأذني الخيل ولبعضهم ذيل مثل ذيل الجاموس ولبعضهم صهيل كالخيل ، ولبعضهم شحيج كالبغال، ولبعضهم أنياب

كأنياب السباع ولبعضهم حافر مشقوق كحافر البقر وإذا ظفر واحد منهم بتلميذ أو بولي أمر تلميذ في مكان آمن ، فإنه يأكله ، وإذا ظهر أولئك الممتحِنون (بكسر الحاء) للناس في وضح النهار، يحصل منهم الضرر الشامل لأهل النواحي ، فهم يرعون الزروع فإذا حصل منهم ضر، ولازموا تلك الجهات يطرح لهم أهل القرى شيئاً من الترمس في الموضع الذي يظهرون منه فيأكله أحدهم ويعود إلى بيته فإذا شرب ماء، ربا ذلك الترمس في جوفه فينتفخ فيموت .

ولهؤلاء الممتحنين صنم نظيف لطيف يعبدونه يسمونه (الوزير الأول) ويعرف بأبي الهول لا يظهر منه سوى رأسه ، وبقيته مدفونة في زكيبة من زكائب الفرنجة يقال لها البدلة عند أهل مصر والشام ، ويقال طوله سبعون ذراعا وفى وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما ،ومخه من الصوان المانع ويقولون إنه طلسم بمنع الماء عن بر مصر.ومن العجائب في عهده أن قرية من أعمال المنيا وهي شرقي النيل ولها سور وأبواب وهي قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فإذا كانت أيام الامتحانات يرون في كل يوم قبل طلوع الشمس أناسا غير جنس بني آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها ، فإذا دخل الناس تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون إليها ويخرجون منها ...!!

وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية. ومن العجائب أن ببلاد المنيا وكفر الشيخ وقنا وغيرها ضيعة يقال عنها (شفافية) بها عمود من نحاس اصفر وعليه صفة طائر من نحاس فإذا كانت ليلة اليوم الأول لامتحان الثانوية العامة نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زروعهم وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام إلى العام وهذا دأب ذلك الطائر في كل سنة .

ومن أعجب العجائب أن حكيما من الحكماء في بعض مدائن المنيا صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فيجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بسؤال من أسئلة الامتحان فيضعه في ذلك الحوض فتختلط الأسئلة كلها بعضها ببعض حتى تصير شيئا واحدا ثم يقف الساقي على ذلك الحوض ويسقى فلا يطلع لكل واحد في قدحه إلا ورقة مجابة مدققة مراجَعة مصورة في أحسن صورة .

قلت لصاحبي : فما الذي يضير الإعلام المريض في بلادكم من تفريج الكرب عن المتحَنين – بفتح الحاء – من الصغار الأبرياء من الطلاب؟ أوليس الامتحان من المحنة ، والمحنة شدة ، والشدة كرب ،والمعروف لنا أن من فرّج عن مؤمن كربة من كربات الدنيا نال أجرا عظيما ؟

قال صاحبي : تسريب الامتحانات على هذا النحو يجعل من العملية التربوية كلها لهوا ولعبا ويخل بهيبة وهيبة ..!!

قلت لصاحبي : أوليست الحياة الدنيا كلها – بنصوص الشرع الحنيف – لهوا ولعبا ؟

أو ليس التعاون على تجاوز محنة الامتحان باباً عظيما من أبواب التعاون على البر والتكافل وسد حاجة المحتاج وإغاثة الملهوف وإعانة المضطر، وكلها – كما ترى – من [المروءات] التي يمارسها الكبار في الانتخابات العامة ، والصفقات الكبرى ، ويفعلها بعض سفهاء أساتذة الجامعات مع أبنائهم ، أفلا تدركنا الرجولة والحزم والانضباط إلا مع أولئك العصافير الصغار من طلاب الثانوية الأبرياء؟ أهنا فقط يحرم التسامح ويحل الحل كله يوم الانتخابات والاستفتاءات ؟

قال : بلى ، ولكن هذا امتحان ينبغي أن تشد له الشدائد من عزائم الرجال .

قلت له مازحا : أي رجال ؟ أهؤلاء الذين صمتوا حين أسرت (ج ي ب و ت ي !!!) مائة صياد من أهلهم لمدة عام كامل واستولت على مراكبهم فلم تنبس خارجيتهم بحرف واحد؟ أم هم أولئك الذين دمرت صواريخ جيرانهم أربع عشرة باخرة صيد واحتجزت ستا وخمسين وأسرت من عليها من الصيادين خلال عامين فلم تعلم خارجيتهم أو علمت ولم تبلغ كما كان يقال !!؟ أم هم أولئك الذين يسرّبون آلاف الشباب العاطلين عبر البحر فرارا من الجوع والتعطل فإذا غرقوا أفتى العلماء الأجلاء بأنهم ليسوا شهداء لأنهم سافروا طلبا للمخدرات؟

تسريب للشباب ، وتسريب للصيادين ، وتسريب لمراكب الصيد ، وتسريب للمصانع الناجحة ، وتسريب لخيار المواقع والأراضي التي تباع للكبار بالملاليم ، وتسريب لقوانين السوء في جنح الليل ، وتسريب لأرواح أهالي الحدود برصاص اليهود ، وتسريب لأهل الكفاءة في مؤسسات التعليم ، وتسريب لأموال الطامعين في توظيف أموالهم ، وتسريب لفيروسات الكبد ، وتسريب للسرطان ليكون حقا لكل مواطن يستخدم دما مسرطناً ، وتسريب للدقيق من مخاز السوء، و.... و...... فيا أخي هوّن عليك (ماجاتش على الثانوية !!)

واستغرقت في ضحك ظننت أن يشاركني فيه جلسائي فلم أسمع لهم ضحكاً، ولم أحس لهم أثراً، فنظرت حولي وأنا مسترسل في ضحكي فإذا بي أفاجأ أن أبا الفرج وصحبه قد (تسرّبوا) من حولي وتركوني قائما أخطب في طواحين الهواء..!!

========================

اشترِ صحتك . . . وودِّع تليفزيون الحكومة !!

على الرغم من كل المحاذير المحيطة بتعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة ، فإن فوائد نشرة أخبار تليفزيون الحكومة الكثيرة أكدتها معظم الدراسات التي تعرضت لها حيث إن مادة النخعامين ومادة الهمبكتيتامين- وهي المكون الأساسي في النشرة - لها تأثيرات إيجابية عديدة ، فهي مادة محفِّزة كتلك الموجودة في الشاي والشيكولاتة ومشروبات الصودا ، ويحتوي فنجان نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على مستويات مختلفة من النخعامين وذلك حسب نوع النشرة ، حيث يحتوي فنجان نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على حوالي ١٣٥ مليجراماً من النخعامين مقارنة بـ ٩٥ مليجراماً في نشرة أخبار الفضائيات والغريب أن أقل نسبة "نخع " وبالتالي أخفها ضرراً تلك الموجودة في حبوب النشرة الفضائية والتي تحتوي على نصف كمية النخعامين الموجودة في حبوب النشرات الحكومية الشهيرة .

فوائد طبية :

وبتعاطي ثلاث جرعات من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على فترات متباعدة في اليوم الواحد نجد أن للنشرة الحكومية جوانب إيجابية عديدة أهمها :

١- تحفيز النشاط وتعزيز التفكير والمزاج حتى لو بكميات قليلة .

٢- دعم اتساق العضلات ومتانتها خصوصاً عند تناولها قبل ممارسة التمارين الرياضية.

٣- رفع معدل استهلاك الطاقة الأمر الذي يسهم في حرق السعرات الحرارية وحرق الدم الفاسد !!.

٤- المساعدة في تليين مجاري التنفس مما يخفض وتيرة نوبات الربو.

٥- مادة النخعامين تعمل ضد التأكسد ولها قدرة حماية أكثر من فيتامين E أشهر العوامل المضادة للأكسدة .

٦- نشرة أخبار تليفزيون الحكومة (غير المحمصة) تستعمل كعلاج للإسهال لاحتوائها على حمض التانيك القابض.

٧- نشرة أخبار تليفزيون الحكومة مدرة للبول حيث تحتوي على كمية جيدة من عنصر البوتاسيوم .

وهنا قد يواجهنا سؤال مشروع هو : هل نشرة أخبار تليفزيون الحكومة تسبب الإدمان؟

والسؤال يبدو مثيراً للاهتمام ، فالحقيقة – كما أكدها صديقنا الدكتور شريف باشا باثولوجي

– أن مادة النخعامين تُصنَّف كواحدة من المجموعات الدوائية مع النيكوتين ضمن مجموعة محفزات الجهاز العصبي المركزي *CNS stimulants* وهي بالفعل كذلك ، ولكن من عيوب هذه المجموعة أنها تسبب الإدمان حيث أن مادة النخعامين ترفع مستوى الدوبامين *DOPA amine* الذي يعمل كنظام مكافأة في الدماغ، وعلى ذلك فعندما يتناول المرء نشرة أخبار تليفزيون الحكومة بشكل منتظم من المحتمل جداً أن يصاب بنوبات البَلَه الذي ينجم عن استهلاك كميات ضئيلة قد لا تتجاوز فنجاناً واحداً في اليوم ، وبعد ذلك يمكن أن يعاني المرء من أعراض انسحاب النخعامين فيما لو حاول الإقلاع عن تعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة وتشمل : الصداع والتعب والتوتر والاكتئاب وارتخاء الأعصاب وأعراضاً أخرى تشبه أعراض الأنفلونزا ولكنها قطعاً تكون أهون بكثير من أعراض الانسحاب المرتبطة بالنيكوتين أو الكوكايين أو باقي المواد الأخرى المسببة للإدمان .

مضار نشرة أخبار تليفزيون الحكومة

وبالرغم مما أظهرته الدراسات السابقة حول فوائد نشرة أخبار تليفزيون الحكومة الصحية فقد حذرت دراسة جديدة أجريت في توشكى من أن الإكثار من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يضر بالقلب والشرايين ، فقد وجد العلماء في جامعة " هِشِّك بِشِّك " الهلالية أن عشاق نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يعانون من تصلب في الشرايين والأوعية الدموية الرئيسية في الجسم أكثر ، مقارنة بمن لا يتعاطونها ، وحذّر العلماء الهلاليون من أن انخفاض مرونة الشرايين بسبب إصابتها بالتصلب يعد عاملَ خطرٍ أساسياً للإصابة بأمراض القلب والسكتات الدماغية ، وأكد الباحثون أن على الأشخاص الذين يتعاطون أكثر من ثلاث جرعات من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يومياً عليهم تقليل استهلاكهم منها خصوصاً إذا كانوا يعانون من ارتفاع ضغط الدم أو عوامل خطر أخرى مرتبطة بأمراض القلب .

ولاحظ فريق البحث بعد قياس صلابة جدران الشرايين وقدرتها على التمدد والانقباض أنها كانت معتلة ووظائفها ضعيفة عند من تعاطوا أكثر من جرعتين من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يومياً قياسا بمن لم يتعاطوها .

وفي دراسة أخرى أكثر تشاؤماً حذر أطباء صعايدة مُغرقون في صعيديتهم – ويقال إن أنسابهم تمتد لضحايا قطار الصعيد ٢٠٠٣- من أن استهلاك أكثر من نشرة (أَنَسفقية) واحدة فقط يزيد خطر الإصابة بالالتهابات المرتبطة بأمراض القلب والمفاصل والسكري والسرطان والاحتقان الأذيني ، وأوضح الباحثون في دراستهم التي نشرتها المجلة الأمريكية للتغذية أن الإكثار من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يزيد مستويات المواد الالتهابية التي تشمل *Protein C* *التفاعلي* و *Amyloid-A* و*Inter Leutine-6* في الدم

بصورة كبيرة مما يدل على تفاقم حدة العمليات المسببة للالتهابات ، ووجد هؤلاء بعد متابعة ١٥١٤ رجلاً ١٥٢٨ امرأة لا يملكون تاريخاً سابقاً للإصابة بأمراض القلب أن الرجال الذين استهلكوا أكثر من تقرير واحد من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يومياً شهدوا زيادة في مستويات مادة *Inter Leutine-6* الالتهابية بنحو ٥٠٪ وفي مستويات بروتين سي التفاعلي بنسبة ٣٠٪ مقابل ١٢٪ في مستوى *Amyloid-A* مقارنة في الذين لم يتعاطوها أبداً ، أما في النساء فقد لاحظ الباحثون أن تلك المواد الالتهابية زادت بنسبة ٥٤٪ و ٣٨٪ و ٢٨٪ على التوالي .

المرأة ونشرة أخبار تليفزيون الحكومة :

وعن علاقة المرأة بنشرة أخبار تليفزيون الحكومة تؤكد د. كايداهم أبو غلاَّب وهي طبيبة أمراض ونساء وتوليد تقدم برنامجاً تلفزيونياً شهيراً في مقال نشرته مجلة السنبلاوين الدولية لوجع القلب والمصارين [ع ٣٣٠-١٩/٣/٢٠٠٥] أن المرأة التي تتناول أكثر من جرعتين من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة في اليوم قد ترفع احتمال عدم حدوث إخصاب بمقدار الضعف ، وكذلك إن تناول المرأة الحامل لجرعتين من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يزيد من احتمالات حدوث إجهاض بنسبة ٣٠٪ ، كما أن تناول أكثر من خمسة تقارير وتصريحات حكومية يومياً يسبب تغيرات في الكييسات الليفية في الثديين فتشعر المرأة بألم فيهما ولكن ...

ربما يفهم البعض من سياق المقال أن نشرة أخبار تليفزيون الحكومة من المخاطر التي تحدق بحياة الإنسان والتي يجب تجنبها تماماً ، وهي بالطبع مرتبطة بكثير من المشاكل الصحية ولكن تناولها بكمية معقولة وعلى مسافات متباعدة يجعلنا نستفيد من جوانبها الإيجابية التي بدأنا بها المقال وهناك بعض النصائح والمحاذير التي يسوقها الأستاذ

موهوب أخصائي الصحة العامة بمقهى السعادة وهي: [مجلة " العتتبة قزاز" ــ ع٣٤٨- ٢٠٠٥/٧/٢٣]:

١- لا يجوز تعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة بكثرة في المرة الواحدة .

٢- لا يجوز تعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على الريق لاحتوائها على حمض النيكوتنيك وما له من تأثير سيء في المعدة .

٣- لا يجوز تعاطيها لمن يشكو من قرحة أو زيادة الحموضة في الجهاز الهضمي .

٤- يحذر تعاطيها للأم الحامل وخصوصاً في الأشهر الأخيرة من الحمل .

٥- تمنع نشرة أخبار تليفزيون الحكومة عن الأطفال وذوي الأمراض العصبية .

٦- يحظر تعاطيها لمرضى البواسير والتشققات الشرجية لما لها من تأثير قابض من فعل مادة النخعامين القابضة التي تحتويها .

٧- لا يجوز إعادة محتويات نشرة أخبار تليفزيون الحكومة أمام من لم يشاهدوها ممن لديهم بعض الحروق والجروح - كما جرت العادة عند بعض أهل المنوفية والقليوبية- حيث تعمل كطبقة عازلة بين الأنسجة المتضررة مما يعيق الالتئام .

٨- يجب أن يخفف تناول نشرة أخبار تليفزيون الحكومة لمن تجاوز الأربعين فما فوق .

======================

السد العالي هرب ... !!!

باستثناء الاستقبالات البروتوكولية في بعض المناسبات ، لم يحدث في تاريخ مصر أن خرج رئيس الدولة هو وأهل بيته جميعا لاستقبال أحد كائنا من كان ، إلا عندما خرج الرئيس مبارك وقرينته ونجلاه لاستقبال الفريق الكروي المصري العائد بكأس أفريقية أوائل فبراير الحالي (٢٠٠٨)، أما حينما عاد أحمد زويل بجائزة نوبل فقد أرسلوا إليه وزيراً يستقبله.! وحين عاد البرادعي بجائزة نوبل فقد أرسلوا إليه وكيل وزارة على المعاش ، وحين عادت ابنتا نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، استقبلهما عم فرج مسؤول العلاقات العامة في شركة (تحت السجر يا وهيبة) للإنتاج الفني بجمهورية جزر القمر الشقيقة !! أما حينما يعود أحمد عمر هاشم فلا يستقبله إلا مندوبو الجمارك. وقد رد عصام الحضري على هذه الحفاوة الرسمية خير رد – كما نشرت جريدة الدستور صبيحة يوم أمس الجمعة ٢١فبراير٢٠٠٨- حين أخذ أسرته وهرب إلى النمسا ليتعاقد مع ناد سويسري ، كان راوده قبل ذلك مقابل أربعمائة ألف دولار فيما نشرت الأهرام يوم الجمعة نفسه. رد عصام الحضري على احترام رمز الدولة له ولفريقه ، وعلى احترام الجماهير، ردا ينم عن حقيقة نفوس حفنة من البشر ، لها سمات لا تستطيع أن تتخلى عنها مهما تجتهد كما قال الشاعر الجاهلي المعروف زهير بن أبي سلمى : ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم، ولا يحق لأحد أن يلوم شاباً رأى أن يصفع دولة رسمية كرمته ، وشعبا أحبه وهتف له ، ولكن اللوم كله نوجهه للإعلام الذي يمارس فروسية عنترة ، وبطولة أدهم الشرقاوي، وإجرام هتلر وشجاعة قطز ضد عامل بسيط يتظاهر مطالبا بلقمة ترد عن أطفاله بأس الجوع ، ويمارس الإعلام جبروته – ممثلا في تلك الغطرسة العفنة التي تلوح في

إيماءات محمود سعد و " فكاكة " معتز الدمرداش وخفة ظله القاتلة ، وممثلاً أيضا في سيول سلس مقالات بعض المرتزقة من صحفيي لاظوغلي – ضد أسرة فقيرة تستجدي علاجا ، أو حفنة محتجين يتسولون علاوة بضعة جنيهات ، يسترون بها بناتهم ويعفون بها أسرهم عن الحرام والرشى والشحاذة فـ"يتعنطز" عليهم أباطرة الإعلام ويلقنوهم أعنف الدروس في التربية والتهذيب والله الذي لا إله إلا هو إني لأعرف عظاماً ممن خاضوا حروب ٦٧ والاستنزاف و٧٣ باع بعضهم أثاث بيته لعلاج مرضاهم أو ستر بناتهم أو سد حاجاتهم ومازالوا يعيشون بيننا جياعاً بمعاش هازل هزيل مهزول ، ولكنهم كرام النفوس ، أعزة ، وهؤلاء " الأغيلمة " الصغار انتصروا في الكرة وحصدوا الملايين والسيارات من مشجعيهم في مصر ، وسافروا للإمارات – صغار النفوس – لينالوا المزيد من الملايين والمهانة ، لا وجه للمقارنة بينهم وبين من رفعنا رؤوسنا بدمائهم من أبطال حرب أكتوبر الذين يقبعون – في شيخوختهم – متضورين مرضى محبطين . لا يعرف الإعلام (القميء) طريقا إليهم .

هذا الإعلام الفارس المغوار الشجاع (الأقرع) استخذى استخذاء مبكياً أمام منظر بثته الفضائيات يوم (النصر الكبير!!!) حين ركب الحضري فوق خشبة المرمى ، وقام ببعض الحركات البهلوانية السخيفة ، وختمها بإخراج لسانه وتحريكه يمينا ويسارا أمام الكاميرا لجمهور الدولة المستضيفة ، وبالتبعية لكل من يجلس أمام الكاميرا . هذا السلوك (الحضري جداً !!!!) غض عنه إعلامنا الطرف غضا فلم يشر إليه قلم ، ولم تعد به شاشة ، ولم يعلق عليه معلق من أولئك العلماء الأعلام الفحول الذين أوسعونا تحليلا وتأويلا لما دار من انتصار لقد نشرت الدستور الخبر تحت عنوان (هروب عصام الحضري) ونشرته الأهرام تحت عنوان (الحضري يسافر سراً....!!!) وهذا هو دأب الأهرام في (تخفيف) الصدمات كما لمسناه منها على مدى خمسين عاماً.

وأنا واثق كل الثقة بأن إعلامنا سيجد من فحول علماء الكرة الأعلام من سيصول ويجول في أمر هذا الهروب الكبير، ولكن أحدا منهم لن يستطيع الربط بين تكريم الدولة وهذا السلوك الشائن، بل ستنصب الحوارات والمناقشات حول أحقيته وعدم أحقيته، وردود فعل مؤسسات الكرة الرسمية.. إلخ . لكن : هل سيقول أحد : إن في هذا السلوك إهانة لكل الشعب ولكل من رحب بهذا الانتصار، وركلة قذرة لكل الإعلاميين الذين تغاضوا عن إخراج ذلك الفتى للسانه لنا ولهم ؟ ولمن أطلقوا عليه الهرم الرابع أو السد العالي؟ حقاً إن الذين "اختشوا" لفي بلاء مبين . كان الله في عونهم .

===================

أمريكا تصنع جوع العالم الثالث

ترجم الدكتور حسن أو بكر مدرس المقاومة البيولوجية بقسم الحشرات بكلية الزراعة جامعة القاهرة واحداً من أهم الكتب التي تتناول ما يسمى بالمساعدات الأمريكية في مجال الغذاء والتنمية . وهو كتاب "أمريكا وصناعة الجوع" وهو من تأليف ثلاثة من الباحثين الأمريكيين هم الباحثة (فرنسيس مورلابيه) و(جوزيف كولينز) المؤسس الأول لمعهد (الغذاء وسياسة التنمية) الذي صدر عنه هذا الكتاب في الثمانينيات) وثالثهم الباحث ديفيد كينلي ، ومعهد (الغذاء وسياسة التنمية) هو معهد تطوعي يسعى إلى بذل الجهود لتغيير العالم الجائع، وقد قام الباحثان الأولان بتأليف كتاب "صناعة الجوع" ١٩٨٣ في سلسلة "عالم المعرفة" ترجمة أحمد حسان.

ومما يتميز مؤلفو كتاب "أمريكا وصناعة الجوع" أنهم ابتعدوا كثيراً عن الخطاب السياسي المباشر، وطرحوا موضوعاتهم من خلال الممارسة العيانية، بعيداً عن (التنظير) المرهق للقارئ ليصلوا به في سلاسة إلى نتائج العشرات من الكتب لجادة. ويتميز الكتاب أيضا بالتغطية الواسعة جغرافيا لتجارب ما يسمى (بالمساعدات الأمريكية) التي هي في الحقيقة قروض واجبة السداد بما عليها من فوائد ، بحيث يصبح جزء كبير من المعونة الآتية إلى معظم البلدان في العالم الثالث في كل عام موجَّها وجوبا إلى سداد ديون مستحقة عن سنوات سابقة مما ينشط اقتصادياتهم بزيادة مبيعات حفنة من الشركات العملاقة في الدول المانحة، ويضعنا الكتاب أمام كم هائل من التنوع في الأمثلة والعلاقات الداخلية والخارجية بين الأنظمة محل (الرعاية) والضغط الأمريكي، وبين النظام الأمريكي لنصل إلى أهم العراقيل الداخلية والخارجية المحددة لدور هذه (المساعدات).

كما يتميز الكتاب أيضا بمزج ذي طابع فريد بين الرؤية النظرية الحديثة و المعاصرة لاتجاهات التفاعل بين القوى الداخلية والخارجية ودورها في تفاقم مشكلة الجوع في العالم وذلك في أسلوب خاص في عرض الكتاب الذي جاء على شكل سؤال وجواب وقد يبدو هذا مدرسيا إلا أنه يصيب هدفه دون تعقيد أكاديمي في فضح الدور الأمريكي الزائف والمخرب لما يسمى بمعونات وقروض مواجهة الجوع.

يتضمن الكتاب عشرين سؤالا بحيث يتصدر كل سؤال أحد فصول الكتاب العشرين والأسئلة هي:

هل تركز برامج الولايات المتحدة للعون على أشد البلدان فقرأ ؟ وإذا كانت معونات الولايات المتحدة لا تذهب إلى أحد البلدان فقرأ . فهل تركز المعونة –على الأقل– على تلك البلدان التي أبدت حكوماتها التزاما بمساعدة الفقراء؟ وهل تعتقدون أن معوناتنا الاقتصادية تعمل على تجميل وجه النظم الاستبدادية، وإذا قدم المزيد من معونات الولايات المتحدة للتنمية عبر مؤسسات الإقراض الدولية المتعددة الأطراف كالبنك الدولي مثلا – فهل يؤدي ذلك إلى حل مشكلة استخدام دولارات المعونة في تحقيق الأغراض الضيقة للسياسة الخارجية والاحتكارات؟ هل تذهب غالية المعونات الخارجية للولايات المتحدة إلى الزراعة والتنمية الريفية؟ إذا كان الربع فقط من قروض البنك الدولي يستخدم في الزراعة والتنمية الريفية، فماذا يفعل البنك الدولي بالباقي؟! هل تركز مشروعات الزارعة والتنمية الريفية – التي تمولها وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية والبنك الدولي- على صغار الزراع الآن؟ من المؤكد أنه ينبغي أن تكون هناك مشروعات لوكالة التنمية الدولية والبنك الدولي قد ساعدت الفلاحين على زيادة إنتاجهم، هل يمكننا القول أن هذه المشروعات تساعد الفراء والجوعى؟ إذا كانت السيطرة على الأرض وغيرها

من الموارد عاملا ضروريا يحدد المستفيد من برامج المعونة، فهل تقوم وكالة التنمية الدولية والبنك الدولي الآن بتشجيع الإصلاح الزراعي وغيره من وسائل إعادة السيطرة على موارد الإنتاج الزراعي؟ ألا تملك هيئات مثل البنك الدولي ووكالة التنمية الدولية من الوسائل المتقدمة والمهارات ما يضمن عدم ضياع أموالها؟ وحتى لو تذهب معظم المعونات إلى الزراعة والتنمية الريفية أو إلى القراء، فهل تساعد هذه المعونات الغذائية الأمريكية على توصيل الوفرة الأمريكية إلى الجياع في كل أنحاء العالم؟، ألم تخضع المعونات الغذائية الأمريكية للإصلاح بحيث أصبح الغذاء من أجل الجياع على قمة أولوياتها الآن، ماذا يحدث عندما تذهب المعونة الغذائية إلى بلد يعاني معظم سكانه من الجوع، ماذا عن مشروعات (الغذاء من أجل العمل)؟ وماذا عن حالات الطوارئ؟ أليست هناك أوقات للأزمات -كالفيضانات والحروب وانهيار المحاصيل تكون فيها المعونات الغذائية ضرورية لمنع المجاعات؟ هل تقترحون إلغاء المعونات الغذائية المزمنة عندما تؤيدون وقف المعونات الرسمية إلى هذا العدد الكبير. ألستم بهذه الطريقة تدفعون الأمور إلى وضع بالغ القسوة وغير محمود العواقب. وهل المعونة غير الحكومية هي الحل؟ وما هي إذن الاستجابة المناسبة لأولئك الراغبين في مساعدة الجوعي فيما وراء البحار؟).

وتكشف الإجابات على هذه الأسئلة ومناقشتها الدور الأمريكي متمثلا في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للتنمية والتعمير ووكالة التنمية الدولية وغيرها من المؤسسات التي توجه منحها وقروضها أساساً إلى أكثر الدول رجعية وشوفينية وديكتاتورية، ويظهر في نهاية المطاف أن هذه المعونات ليست سوى وسيلة فعالة من وسائل حماية القلة والنخبة المسيطرة. ومقاومة أية اتجاهات تسعى إلى تغيير بناء القوة المسيطر، وأن المساعدات لا تصل إلى الفقراء بقدر ما تصل في معظمها إلى الأغنياء، وأن هذه المساعدات

ما هي إلا وسائل فعالة من أداوت إحكام تبعية بلدان العالم الثالث للنظام الرأسمالي العالمي. ويجعلها وعاء نهب متزايد من قبل الشركات متعددة الجنسية. وأنها لا تؤدي إلى تنمية القطاع الزراعي ، أو تنمية إنتاج الغذاء المحلي، بقدر ما تسهم في تحقيق المزيد من تدهور هذا القطاع الأساسي من قطاعات الإنتاج فتستشري فيه أمراض الأمية والبطالة والهجرة إلى المدن.

ويكشف الكاتب أيضا عن كم هائل من التفاصيل جمعها المؤلفون حول الدور التخريبي الذي يمارسه النظام الأمريكي بالنسبة للغالبية العظمي من البسطاء من شعوب العالم الثالث. بل ودوره في تزييف وعي المواطن الأمريكي نفسه.

ويركز الكتاب على قضية غياب القوة بالنسبة لأولئك الذين يعانون من الجوع حيث إن بناء القوة في أيدي الأغنياء لذا يصعب على الفقراء، إن لم يتم تحسين أحوالهم الوصول إلى السلطة والمشاركة في التخطيط والتقعيد والتقييم والحصول على منافع التنمية ويكشف المؤلفون أن الانفجار السكاني ليس نتيجة الجوع في الريف وفقره، كما يشيع البلهاء والمغرضون ، وليس بسبب ندرة الموارد الزراعية أو الافتقار إلى التكنولوجيا الحديثة، بل إن السبب الجذري للجوع هو زيادة تركيز السيطرة على موارد إنتاج الطعام في قبضة حفنة قليلة من الناس – وهي مجموعات النخبة المتميزة التي تستحوذ على مقدرات موارد إنتاج الطعام من أجل مصالحها الخاصة. وأن محاولات زيادة إضفاء الطابع التجاري على الزراعة لها هدف مختلف أشد الاختلاف عن التنمية الريفية .

إنني أنصح عبدة العم (سام) والراكعين الساجدين حول البيت الأبيض أن يقرأوا هذا الكتاب لعلهم يوعون أو يحدث لهم ذكراً، وإن كنت أشك في حدوث ذلك لأن تلك الجلود الغليظة التي أدمنت الانبطاح، فقدت القدرة على القشعريرة.

إيضاح العِلل للهلال والجَمَل..!!

نجح الرمزان / الهلال والجمل / في الظفر بأكبر قدر من السخط الشعبي ، ووفرا للحكومة التي تشرف بهما أعظم فرصة لتنال من كراهية الناس وبغضهم ما لم تكن تحلم به حكومة منذ عرفت البشرية الحكومات .

فقد استمات الوزيران واستبسلا في توتير أعصاب الكبار والصغار ، وتفنّنا في استفزاز الإعلام المرئي والمسموع والمقروء استفزازًا كاد يصل ببعض إخواننا من الإعلاميين حد التفكير في الانتحار – كما فعل الصبية الصغار من تلاميذ الثانوي الذين لم يجدوا حيلة مع الوزير ولم يهتدوا سبيلا - أو اعتزال المهنة .

وأفلح الرمزان بكفاءة ساحقة في استجلاب القهر لنفوس الجميع ، واستمطار دعوات الصالحين والطالحين لرب العباد أن ينكّل بهذه الحكومة وأن يُريَ الناس فيها عجائب القدرة والإرادة إكراما لهذين الرمزين .

أما الهلال فإنه يصدّق نفسه ويريد من الناس أن يصدّقوا ما هم متأكدون من كذبه وغشه وفساده ، وهو تلك " المشروعات " المزعومة للتطوير ، وما هي في الحقيقة ، وبشهادة كل منصف أمين صادق مع نفسه ،إلا وسائل لتوفير دخل يستر عورات رواتب الأساتذة ، وسأذكر لمعاليه وللرأي العام مثالا عايشته حين كنت عميدا للكلية التي أعمل بها كان ذلك عام ١٩٩٦ حين توفي زميل لنا كان "أستاذا " ورئيس قسم !!!!! ، وبعد وفاته بشهور جمعني القدر مع مديرة إدارة المعاشات بالجامعة فسألتها عن معاش زميلنا الذي يتقاضاه أولاده الأربعة وأرملته .. كم يبلغ؟ فقالت لي : ٤٢٥ (أربعمئة وخمسة وعشرون جنيهاً) ففجعت لأنه كان يتقاضى قبل وفاته ألفي جنيه شهرياً تقريبا، وكنت أعرف أن أولاده في مدارس لغات وهرعت إلى رئيس الجامعة وحكيت له القصة وطلبت منه أن

نسعى للحصول على ما كنت أقرأ عنه في الصحف مما يسمى بـ(معاش استثنائي) و تطلب الأمر عقد مجلس كلية ومجلس جامعة ومخاطبة لوزير التعليم العالي ومخاطبة أخرى منه لوزير التأمينات الاجتماعية ، ومجالس تجتمع وتنفض ولجان تبحث وتقرر.. لينتهي الأمر بأكبر مبلغ مما يسمونه (المعاش الاستثنائي) وهو ١٢٠ (مئة وعشرون جنيها) – هذا إذا ووفق عليه !!! –

في مثل هذه الأوضاع وما هو أسوأ منها تعلن الهيئات الدولية المانحة أو المُقرِضة عن فرص للدعم فيتقدم أساتذة فقراء النفوس وفقراء الجيوب بمشروعات مزعومة يزخرفون أوراقها ويزيفون مقاصدها ويزينون سطورها برسوم بيانية وأشكال هندسية وخطوط متوازية حينا ومتقاطعة حينا آخر ، ومربعات من ذوات الأبناط الزاهية ومثلثات ودوائر من ذوات الألوان الزاهية ، ويقدمون هذا كله محاطا بمسميات تدير الرؤوس كالخمور المعتقة ، فيُستجاب لطلباتهم وتُقبل منهم أعمالهم وهم فرحون مستبشرون ، فغدا سيصرفون ويأكلون ويتمتعون ، ويتعرَف منهم إلى الرفاهية من لم يتعرف... هذا هو ما يطنطن به معاليه ليل نهار ويدلّس به على سادته وكبرائه على أنه (التطوير !!!)

كل كبير وصغير في أي جامعة يعرف حقيقة كلامي هذا ويعرف أن ما يسمونه التطوير حاليا هو : تدليس .. تدليس .. تدليس ، وأي محاولة لنفي هذه الحقائق هي محاولة لستر عيب مفضوح ، أو محاولة لتجميل واقع مرير، ولا دافع لهذا كله عندي ، وعند أصغر دارس للصحة النفسية ، إلا : الجوع ، وحده !! وفقر النفوس واحتراف النفاق .

وهناك أدلة كثيرة للتثبت مما قلت :

- فأنا أتحدى أن يحضر عضو هيئة تدريس واحد على مستوى الوطن كله تلك

الدورات القميئة التي يسمونها (تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس) إذا ما فكوا الارتباط بينها وبين التقدم للترقية ، أتحداكم : اجعلوها اختيارية وأرونا كم (نَفَرا) سيحضرونها إن كنتم صادقين

- وأنا أتحدى أن تستطيع الوزارة إعلان قوائم المكافآت التي نالها معالي الرمز من تلك المشروعات بالأرقام الحقيقية والمسميات الحقيقية ومن كل الجامعات .
- وأتحدى أن تستطيعوا إعلان السير الذاتية لجميع من يحاضرون في تلك المشروعات مصحوبة بالمبالغ التي حصلوا عليها ، حيث سيتبين أسيادكم وكبراؤكم الهزل الذي تصورونه لهم على أنه "التطوير" !!

أما الرمز الثاني ، فهو يعاني ويعاني ، فحوله رجلان من الذين أنعم أسلافه عليهما يحيطان بمعاليه إحاطة العصابة المسلحة بعابر سبيل (غلبااااااااااان) تجرده العصابة من كل حول وقوة ثم تفعل به ما تشاء ، دون حياء ، الرجل أستاذ فيزياء ، ويعلم - ونحن نعلم أيضا - كيف جيء به للوزارة ولماذا جاء، وذانك الرجلان اللذان أنعم أسلافه عليهما تلقفاه منذ جاء فزيّنا له ما زيّنا ، وحسّنا له ما حسّنا ، وسرّعا له ما شاء أن يراه سريعا ، وبطّأا له ما أحبّ أن يراه بطيئاً ، حتى رضي عنهما ورضيا عنه ، فانطلقا .....!!

حتى إذا أتيا إلى امتحانات الثانوية وجداها فرصة سانحة ينفذان بها خطة أحكم زميله الهلال - معهما - وضعها للتضحية بصاحبه ليستمر هو ، و.. كان ما كان .

وأما الإعلام فقد وقع أسير الغفلة، وراح رجاله وضيوفه يضربون أخماساً لأسداس والأمر هيّن:

- مشكلة نصف الدرجة والدرجة مفتعلة لأن أساس الأزمة – كما يعلم حتى البلهاء- ليست في الدرجات وإنما هي في ضيق الأماكن المتاحة بالجامعات وقلة عدد

الجامعات بالقياس إلى عدد السكان ، فإسرائيل (٦ مليون) بها سبع وعشرون جامعة وعدد ضخم من المعاهد العليا والأردن (خمسة ملايين) بها إحدى وعشرون جامعة غير الجامعات الخاصة

- ومشكلة ضعف تلاميذ التعليم العام سببتها الحكومات الثلاث الأخيرة ففي الست السنوات الماضية تم إنقاص المقبولين بكليات التربية من ٤٢ ألفا إلى ١٤ ألفا بالتدريج ، فإذا أضفنا إلى عامل الإنقاص الحاد توقف الحكومة عن تعيين من تخرجوا ، وأخذنا في الاعتبار من ماتوا ومن سافروا ومن أحيلوا للمعاش ، ورأينا كيف تسد الوزارة هذا العجز الصارخ - الذي صنعته !! – بأئمة المساجد والمهندسين الزراعيين ومفتشي المساحة وباعة اللب ، لأمكننا أن نتفاءل حقا بتعليم أفضل تتحقق له الجودة والاعتماد... على الله !!

=======================